روايات
عالمية
للفتيان

بيتر بان

تأليف: جي - ايم باري

ترجمة: شفيق مهدي



بيتر بان

بيتر بان
ترجمة : شفيق مهدي
الطبعة العربية الاولى ١٩٨٧م

الناشر: وزارة الثقافه والاعلام . دار ثقافة الاطفال
ص. ب ١٠٤١ . بغداد – العراق

سلسلة روايات عالمية للفتيان
تصدرعن قسم البحوث والنشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام رئيس مجلس الادارة: فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة: فاروق يوسف

فريق التوثيق الألكتروني

بيتر بان

تأليف: جي - ايم باري

ترجمة: شفيق مهدي

فريق التوثيق الألكتروني

محمد رضا مهدي

أسعد علوان حسين

بيتر بان

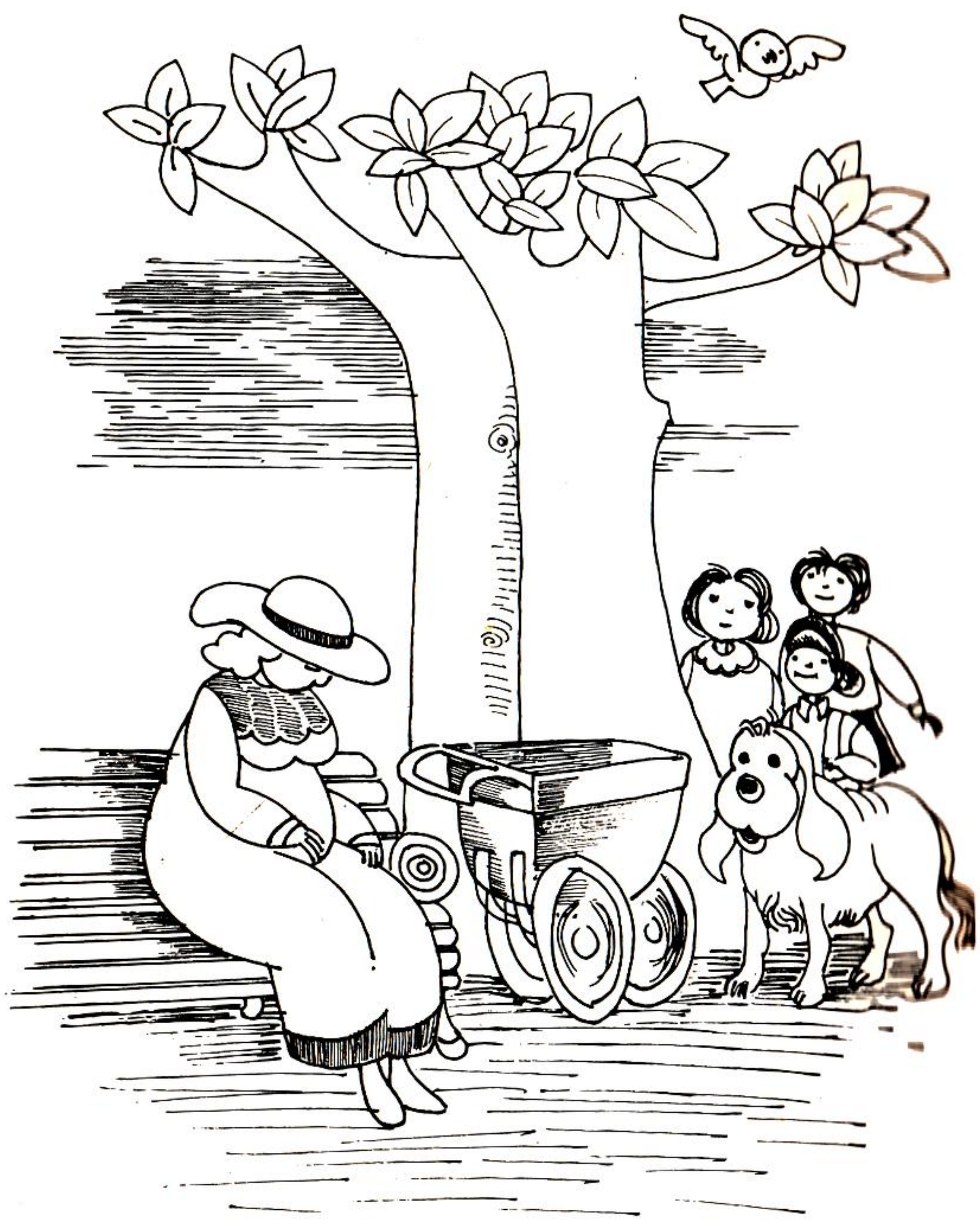
الفصل الأول

الظل

كان «بيتر بان» مخلوقاً غريباً ، انه بين بين ، فهو ليس شيئاً واحداً، ولا شيئاً آخر. لقد كان، بالتأكيد، ليس ولداً عادياً، على الرغم من أنه يبدو مثل ولد. لم يكن جنياً، بالرغم من سمعة السحر التي قيلت عنه. انه يستطيع الطيران مثل طير، لكنه لم يكن طيراً. وعلى الرغم من أنه يستطيع السباحة مثل سمكة، .ويغوص مثل دلفين، الاّ أن أي أحد، لم يعده واحداً من مخلوقات الماء.

في زمن ما، عاش في حدائق «كنسنكتن»، ومازال يذهب إلى هناك ليلعب. وعلى الرغم من أن نافذة حجرة نوم أطفال «دارلنك» مطلة على الحدائق، والأطفال ينحنون نحو الخارج لمشاهدة مايستطيعون مشاهدته، لعدة سنوات، الاّ أنهم لم يظفروا بلمحة واحدة منه.

كانوا ثلاثة: «وندي»، «جون»، «ميشيل». كانوا يسكنون في بيت، في طريق «بايز ووتر»، الذي يحاذي جانب المنتزه، حيث تقع حدائق «كنسنكتن». ويوجد



قطارفقط يربط بين الطريق والحدائق، على ذلك الجانب . وكل البيوت تطل عليه، كل واحد من فوق الآخر. انه بيت غير مرتفع، أبيض متعرش، وسط صف طويل من البيوت الكبيرة القبيحة، المطلية باللون الأحمر. وفي الحقيقة، فان الحجرة الواقعة فوق الاسطبلات، في مقر حديقتهم، هي أول مكان كتبت فيه قصة «بيتر».

كان هناك، دائماً، الشيء الكثير الذي يستحق المشاهدة، من نافذة حجرة نوم الأطفال. كان «جون» يفضل مشاهدة الحافلات التي تجرها الخيول، على الرغم من أنه كان يتمنى أن تركض الخيول بدلاً من الزحف بهذا البطء، الواحد وراء الآخر، في خطوط لاتنتهي أبداً. وكان معظم تفكير وندي منصباً على الجنيات الموجودات في قمم الأشجار.

أما «ميشيل» فكان يجب أن يحمل، لكي يستطيع رؤية النفاخات الحمراء والخضراء والصفراء، التي كانت تبيعها المرأة العجوز، بجانب الباب الرئيس. لقد كانت هناك، دائماً. جالسة فوق صندوق مقلوب ؛ انها سمينة جداً، متوردة الخدين، تلتفع بشال أسود، حول صدرها، مثبت بدبوس كبير. وكانت خيوط حزمة النفاخات الكبيرة، ملتفة دائماً حول احدى يديها. كانت

النفاخات تسحبها بقوة، فكانت نصف خائفة من انها ستطير بها يوماً ما، وكثيراً ما تقول لـ«جون»:

– ستفعلها في أحد الأيام! أنظر إذا لم تفعل ذلك! تطير بي عبر الحدائق. ولكن ما الذي سيحدث لي بعد ذلك؟ لا أعرف ذلك بالتأكيد!

كان الأطفال يترددون على الحدائق، في كل يوم تقريباً. ويقفون بجانبها دائماً، في الرواح والمجيء. وأحياناً، يبتاعون فيما بينهم، نفاخة واحدة، غير ان في مناسبات خاصة، يبتاع كل واحد منهم لنفسه نفاخة.

لقد حدث الأمر في الحديقة، عندما التقوا لأول مرة، بكلبة كبيرة، من نوع «نيوفا وندلاند»، سموها «نانا». كانت رمادية بيضاء ولها رأس كبير وعينان كبيرتان كئيبتان ،؛ كانت تحب مراقبة الخراف، وهي تحت الأشجار، لكنها تحب مشاهدة الأطفال أكثر، وكلهم كانوا يتحدثون اليها بتودد وحب، ويضحكون، لذا لم يمانع أحد عندما كانت تريح ذقنها على عرباتهم، إذ كانت تفعل ذلك بسهولة، فقد كانت كبيرة جداً.

عقدت أواصر الصداقة مع «ميشيل» و«جون». وعقدت معها «وندي» صداقة أيضاً. ويبدو انها تولعت بهم منذ البداية، فكانت تتبعهم عندما ينطلقون للعب، لكنها

كانت تتصرف بذكاء خاص عند اعادتهم لأمهم، عندما تتم استعداداتها للعودة إلى البيت. ثم انها اعتادت على السير بجانبهم برصانة، حتى الباب، حيث المرأة بائعة النفاخات.

في أثناء ذلك الصيف، كانت تتردد كل يوم على الحدائق، ترعى أطفال «دارلنك»، وبدأت أمهم تضحك منها، وأخبرت زوجها باعتقادها أن «نانا» ستكون مربية لطيفة لأطفالهم، لاتكلف سوى مبلغ ضئيل من المال. لم يكونوا يملكون مالاً كثيراً، فكان ذلك شيئاً مهماً. لقد كانوا يرغبون في الحصول على واحدة من المربيات الرائعات، من اللواتي كانت تشاهدهن السيدة «دارلنك» مع الأطفال الآخرين، لكنهم كانوا يعرفون أنهم لا يستطيعون الحصول على واحدة.. قالت في أحد الأيام:

– «جورج».. تبدو تلك الكلبة وكأنها انسان حقاً. انها ناذرة نفسها للأطفال. لطالما ظننت أنني أستطيع أن أدربها للعناية بهم.

لم يرحب السيد «دارلنك» بفكرة كلب يرعى أطفاله. لكنها استعطفته قليلاً، وقالت انها على الأقل سترى فيما إذا كانت «نانا» تعود لشخص. اعتقدت بائعة

النفاخات أن لا أحد لها، وقالت انها دائماً تأتي للحدائق لوحدها، ولم تسمع أحداً يناديها.

لقد اعتادت «نانا» أن تراقب أطفال «دارلنك» وهم يعبرون طريق «بايزووتر» بأمان، وتسير بجانبهم حتى يصلون إلى بابهم الخاص. وعندما تغلق السيدة «دارلنك» الباب الأمامي، كانت غالباً ماتراها تبدأ النظر بتوق من خلال القضبان. بعد أيام قليلة، ذهبت السيدة «دارلنك» الى الباب فعلاً، ودعتها للدخول، فدخلت «نانا» من الباب الأمامي، وهي تسير برصانة الى حجرة نوم الأطفال، وكأنها كانت، هناك، من قبل، عشرات المرات.

في ذلك المساء، شاهدها السيد «دارلنك» لأول مرة، وبدأ بدوره يتساءل أيضاً، فيما إذا ستكون مربية صالحة. وبالطبع فان الكلب أرخص من المربية الملائمة: لا أُجور.. لا كوي ملابس..لا أيام عطل، كما أن طعامه لا يكلف كثيراً. شيء يستحق التفكير.. ثم.. آه! يالها من قصة سيقصها في دائرته!

«فكر فقط».. أضافت زوجته، «..اننا قد نقدر على الخروج في الليل، مرة أخرى، أحياناً».

وسرعان ما طلب «جورج» وجاراً كبير الحجم بشكل

خاص.. كبير لدرجة إنه هو نفسه، يستطيع الدخول فيه، من غير مشاكل. اشترى سلسلة ليربطها في الليل. وضع الوجار خلف الحديقة. شعرت السيدة «دارلنك» بعدم الراحة، فقد ظنت انه من الأفضل أن تنام «نانا» في حجرة نوم الأطفال. «هراء ياعزيزتي».. قال زوجها بصرامة.. «المكان الملائم للكلب، خارج الأبواب».

في ذلك المساء بعد أن ذهب الأطفال إلى الفراش للنوم، أمر «نانا» بالنزول إلى الطابق الأسفل، فرفضت الذهاب. لم يكن يرغب في أن يهزمه كلب، فدفعها نحو الأسفل، خارجاً نحو الحديقة، بيد أن «نانا» كانت تصارع في كل خطوة يدفعها فيها. ثبت السلسلة، وقال بصرامة حادة:

«الى الوجار!». ردد ذلك عدة مرات، لكن «نانا» اكتفت بان مدت جسمها بعيداً عنه، وحاولت أن تخرج رأسها من طوقها.

«حسن إذن!» قال سيدها.. «لا تدخلي وجارك اللطيف الدافيء. تصرفي بطريقتك، وابقي خارجه. لكنك سوف لن تدخلين حتى يحين الصباح. ولاتجعلينا نتشاجر، في هذا الأمر، أكثر».

وعلى أية حال، فانها عندما وصلت الى الباب

الخلفي، رفعت رأسها، ونبحت برعب، لدرجة أن السيدة «دارلنك» خرجت لترى ماذا حدث. لقد قالت ببساطة، انها لاتستطيع سماع تلك الضوضاء. وذكّرت «جورج» بأن الجيران لن يحبونها أيضاً، وهذا قد حل المشكلة، وبغير رغبته تماماً، أطلق «جورج» سراح «نانا»، وأدخل الوجار الثقيل إلى الداخل، في حجرة نوم الأطفال، بالضبط، ووضعه على الأرض بصدمة قوية، توقع منها أن تُسقط سقف غرفة الاستقبال.

وباشمئزاز قال «وجار!».. ثم سار وهو يلوي كتفيه، آملاً أن يثير القليل من الشفقة. وعلى الباب غمغم: «تبذير مال اضافي». ولكن سرعان ماتم الاعتراف بأنهم امتلكوا كنزاً بامتلاك «نانا» ؛ فقد كانت ترعى الأطفال بطريقة مذهلة. وهي تعرف تماماً ماذا تعني درجة خطورة جرح أو سعال. كانت ترعاهم وهم يسيرون في طريقهم، كما تفعل أمهم بالضبط. كانت توقفهم في الباب الرئيس، للتحدث مع بائعة النفاخات، حتى أنها كانت تعرف كم نفاخة عليهم أن يشتروا. وكانت تجعلهم يختارون المكان الذي يحبون أن يذهبوا اليه. وكانت صبورة على «وندي» و«جون» عندما يصّران يومياً على لمس شجرة التين، الواقفة في الجانب الأيمن من الباب الرئيس، والحاملة تيناً

أخضر، والذي كانوا يطلقون عليه اسم «تين». ومن ثم كان عليهم الذهاب دائماً إلى شجرة الزان اللطيفة، الواقعة على اليسار، والتي تسمى «شجرة سيكو». وسر هذه التسمية هو أن ولداً يدعى «سيكو»، أضاع، مرة بنساً بين جذورها، ولكنه وجد بنسين عندما كان يبحث عنه. اضافة إلى ذلك أصبح «سيكو» قرصاناً عندما كبر. وكان لكل من «وندي» و«جون» نزهتها المفضلة ؛ فبينما كان «جون» يحب السير حول البركة، كانت «وندي» تحب النظر دائماً، إلى بلاط الطفل، حيثُ ولدت الملكة «فكتورية»، وإلى «بك بني»، حيث يقع تمثالها، بعد أن نصبت ملكة لفترة من الزمن.. لتلك الأسباب أحبت «وندي» و«جون» و«ميشيل» في ان يكون كلب مربياً لهم. أحبتها «وندي». كانت شخصاً عاقلاً واعياً، تعرف دائماً ماذا تفعل فيما بعد، وتنجزه، بصورة عامة، من دون احتجاج. ولم يحصل لها أبداً، انها كانت «تؤمر من قبل كلب!»، لكن هذا ما يشعر به «جون» وهذا ما يحز في صدرها عميقاً. لقد كان يتمرد على أي شيء تطلب منه أن يفعله. وكان «ميشيل يحاربها، لأن «جون» يفعل ذلك. وهو في الحقيقة لم يكن يقصد ذلك، فقد كان يعدّها أكبر تسلية عندما يركب فوق ظهرها، وتسير به

حول الحجرة. وعندما تزرر آزراره بأسنانها، وتدغدغه شواربها، كان يحب ذلك أيضاً.

صحيح أن كل الأطفال يحبون الكلاب، لكن «جون» يحب أن يكون السيد كذلك. انه يريد هو أن يكون الآمر الناهي الذي يصّدر الأوامر، ولايرضى بغير ذلك بديلاً. وقد اكتشف بأنه لايستطيع النقاش مع «نانا»، كما يفعل غالباً مع أمه. كانت «نانا» تكتفي بدفعه الى المكان الذي تريد هي أن يذهب اليه، أو تسحبه إلى الخلف، من ظهر سترته، وهو يكره ذلك. ولكن على أية حال، ان الحصول على «نانا» كان نجاحاً عظيماً.

«لقد وُلِدَتْ مربية».. قالت السيدة «دارلنك» لزوجها بفرح، ذات مساء. «الطريقة التي تأخذ بها الأطفال إلى النوم، تكادِ لاتصدق». لقد كان ذلك بعد أسبوع، عندما حدث شيء غريب ومقلق، كانت السيدة «دارلنك» جالسة لا تعمل شيئاً، بالقرب من موقد حجرة نوم الأطفال، تراقب «نانا» وهي تهرول غادية ورائحة، لتجهز كل شيء لوقت النوم، عندما شعرت فجأة بتيار من الهواء، كما لو أن الشباك الذي بجانبها قد فتح. استدارت بسرعة، وتأكدت بما فيه الكفاية، أن الشباك كان مفتوحاً. وكان هناك ولد غريب

يقف في داخل الغرفة. له شكل مثير. جريء لكنه قلق قليلاً في الوقت نفسه. صرخت:

— من أنت؟ ماذا تفعل هنا؟

وعند سماع صوتها، جاءت «نانا» مهرولة من الحمام، فشاهدت الولد أيضاً. ثم حدث شيء غريب آخر زمجرت «نانا»، فنط الولد، وبدا وكأنه يطير من خلال النافذة المفتوحة، فقفزت قفزة مرعبة، لتمسك به، لكنها لم تستطع سوى الامساك بظله، بوساطة مخلبها الكبير.

أسرعت السيدة «دارلنك» إلى النافذة، ونظرت نحو الأرض، وهي تتوقع أن ترى الولد مرمياً على الأرض، ولكن لم يكن هناك شيء.. لا شيءَ يمكن مشاهدته، سوى طير كبير، يخفق بجناحيه مبتعداً باتجاه قمم أعالي الأشجار. لكن «نانا» كانت تحمل بمخلبها الظل الذي أمسكت به، فلم يكن هناك أدنى شك في أن شخصاً ما، كان هناك.

أبعدت السيدة «دارلنك»، الشيء الرمادي الناعم عنها. كان يبدو مثل فضلة من أرق نسيج حريري رمادي. ولما نفضته أمامها، طفا في الهواء، وامتد بشكل يشبه تماماً، شكل ظل الولد.. ولد بحجم «جون».

جلست «نانا» على قائمتيها الخلفيتين، تراقب بذكاء

حاد، وقد أبعدت فكيها عن بعضها البعض، وأخرجت لسانها الوردي.

«انه ظل الولد حتماً، يا «نانا». قالت السيدة «دارلنك» ذلك، وهي تشعر بحيرة وخوف. «لاتدعيه يرجع يا«نانا»! لاتدعيه أبداً.. هل ستفعلين ذلك؟».

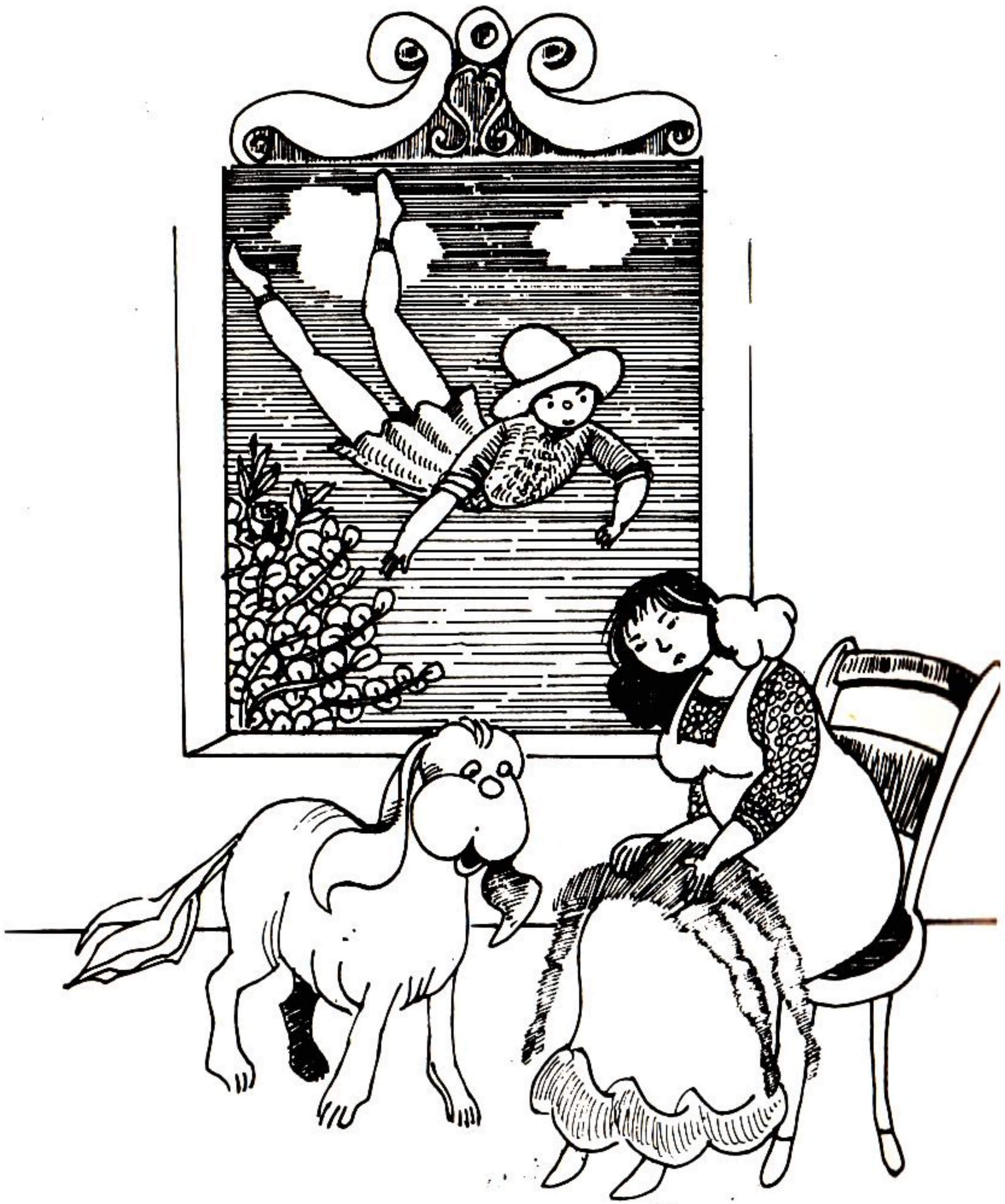
فهمت «نانا» كل شيء.. وطوت السيدة «دارلنك» الظل، ثم وضعته بعيداً، في أعلى الجرار الأيسر للخزانة. وقالت لنفسها انه من الحماقة أن تشعر بمثل ذلك بالخوف. لم يكن غير ولد مثل «جون». لكنه بالتأكيد لم يكن مثل «جون». الأولاد الذين مثل «جون» لايحلقون إلى أعلى وأسفل نوافذ الطابق العلوي، كما بدا الولد وهو يفعل ذلك.

لم يحدث شيء آخر لبعض الوقت، على الرغم من أن السيدة «دارلنك» ظنت أنها رأته ينزلق مرة بسرعة، أو مرتين، فوق النوافذ، حتى أنه اقترب أحياناً، ونظر إلى الداخل، ولكن لم يشاهده أحد في داخل البيت مرة أخرى، غير أنه في احدى الليالي، وبينما كانت تحكي لأطفالها حكاية من حكايات ما قبل النوم، وهي مواجهة للنافذة، بدلاً من أن تدير لها ظهرها، كما كانت تفعل غالباً، ظنت أنها رأته ثانية، ليس سوى وجه، من خلال

الزجاج. كان يحوم هناك لتوه، غير أنها لما نظرت بعينين طارفتين نصف مفتوحتين، ونظرت مرة أخرى، كان قد ذهب، فظنت أنه ربما كان طيراً أبيض من طيور الحدائق. لم يلاحظ «جون» و«ميشيل» اللذان كانا يجلسان على الأرض قرب قدميها، يتدفآن بحرارة النار، شيئاً. واستمرت الأم في القصة..«...وقالت سندريلا...»، لم تكن تريد أن يُعرف شيئاً عن الولد الموجود قرب النافذة. ومنذ أن أُصبحت «نانا» جيدة جداً مع الأطفال، قرر الوالدان أن يخرجا ليلاً، سوية. وقد حدث أن وجهت اليهما دعوة للعشاء، من قبل أصدقاء يسكنون على بعد عدة بيوت، في مكان قريب يسمح ل«ليزا» -خادمتهم الصغيرة- أن تذهب اليهما، وتحضرهما إذا حدث أي مكروه، كما ظنت الأم.. لهذا قبلت الدعوة. وطلب منها «جورج» أن تحسب له حساباً، لأن هذا العشاء قد يكون مهماً بالنسبة لوظيفته في المدينة.

لم تخبر «جورج» شيئاً عن الولد الذي كان في نافذة حجرة نوم الأطفال، لسبب واحد وهو أن السيدة «دارلنك» تعرف تماماً أنه سيضحك منها، وهي لذلك تشعر بعدم الراحة، حتى لو تظاهر بأنه يمزح.

وعندما حل المساء الذي فيه دعوة العشاء، نسيت



مخاوفها تماماً، فكانت فرحة منبهرة، عندما فكرت بأنها سترتدي ثوبها المسائي الأبيَض الجميل، وتجمل نفسها. بدأت تستعد في وقت مبكر، لكي تستطيع أن تقول وداعاً لأطفالها، وهي في كامل زينتها، ولكي تساعد «جورج» أيضاً.

حجرة نوم الأطفال مربعة الشكل، كبيرة، ذات إفريز زاه حول جدرانها، مزين بحكايات مصورة، وبرسوم لحيوانات الغابة. وكان هناك حمّام يؤدي إلى خارجها. أما غرفة اللعب، فكانت تلي الباب. ولا توجد هناك قضبان للنافذة التي دخل منها الولد الغريب، كما هو معتاد في معظم حجر نوم الأطفال. كان سرير «وندي» الأقرب إلى الموقد الموضوع حوله حاجز من الصُّفْر. كان الولدان في الجانب الآخر من الغُرفة.. فوق كل سرير مثبت على الجدار، مصباح ليلي خافت.

في ليلة الحفلة، كانت «نانا» مسترخية أمام النار، تغفو بفرح، منتظرة دقات الساعة أن تدق ست دقات ؛ فقد كانت اللحظة التي تبدأ فيها عملها. نهضت ومطت جسمها، وساقاً فساق.. عطست، وبدأت تجهز كل شيء لنوم الأطفال. جلبت مايحتاجونه للنوم من أشياء، ووضعتها فوق حاجز النار لتدفأ. ثم

ذهبت من سرير لآخر، ساحبة اللحاف، طاوية الملابس، نافضة الوسائد.. تفعل هذا كله بأسنانها، ولكن بدقة تامة، لئلا يتمزق شيء ما. ذهبت إلى الحمام، وسحبت السدادة من اناء الصابون، بوساطة مخلبها، وعالجته بلطف، ووضعتها في حفرتها، ثم فتحت الحنفية، وذهبت لتجلب «ميشيل». وكالعادة، لم يكن مستعداً، وانطلق يصرخ حالما سمعها قادمة.. «اذهبي!» صرخ باكياً.. «لم يحن الوقت بعد، يا «نانا».. لم يحن الوقت! لا أريد الذهاب إلى الفراش.. لا أريد! لا أريد!».

وصلت الضجة إلى أسماع الأم، وجاءت من غرفة نومها، لتتأكد من أن كل شيء على ما يرام. كانت تثق بـ «نانا»، لكنها أحبت أن يعرف الأطفال أنها قريبة منهم. وعندما وصلت إلى حجرتهم، كان «ميشيل» في الحمام. فحصت «نانا» درجة حرارة الماء بمخلبها، لتتأكد من أنه لاحار جداً، ولا بارد جداً. وكان يلعب بزورق قديم وبطة طافية، بينما كانت تفرك ركبتيه.. «حبيبي..» صرخت الأم، ورمت اليه قبلة... قرقر ضاحكاً، فكان كل شيء على مايرام.

ومن غير سبب معّين، كانت السيدة «دارلنك» تسير ببطء قرب النار، تراقب ألسنتها الراقصة التي حولت لون

ثوبها الأبيض إلى وردي.

لم تكن الستائر مسدلة. وكانت النافذة تصنع مربعاً مظلماً، على الضد من الغرفة المضاءة. كانت تدندن برقة، عندما أربكت ضجة صغيرة كلَّ شيء.. هل كانت نقرة؟ على النافذة؟ أدارت رأسها بسرعة. نعم.. كان هناك ذاك الولد مرة أخرى، ينظر نحو الداخل.. حقاً، أمام عينيها، يحاول بشجاعة وترو أن يدخل..

وبألم مفاجيء صاحت «وندي! جون!».. وبسرعة جاء الاثنان يركضان من غرفة اللعب، وهما يضحكان على اللعبة التي كانا يمارسانها.. انهما حتماً لم يلقيا نظرة نحو النافذة، بل اتجها مباشرة إلى أُمهما. نسيت «وندي» كل شيء، وراحت تبدي اعجابها بملبسها المحبب. لمسته، وضربته بلطف، بأناملها.. «أوه.. ياأُمي.. أنت جميلة جداً!» غمغمت بحرارة. لم يمنحها «جون» أكثر من نظرة رجولية، وبدأ يتحدث عن أشياء أُخَرْ.. «كنا نلعب لعبة التظاهر..» قال، «..نكون أنت وأبي».

وقد لاحظت فيما بعد أنه يرتدي قبعة «جورج» الحريرية القديمة التي كانت تنزل فوق أُذنيه.

وقف ثابتاً وطويلاً، يزم ذقنه، وقال بصوت عميق رتيب «هناك ضوضاء أقل!».

ضحكت «وندي» وماما ، لم يكن مثل بابا تماماً.
«لنتظاهر الآن بان لدينا طفلاً».قالت «وندي».. «استمر يا «جون».
قال بصوت صارم، يشبه صوت الأطباء، وانحنى قليلاً.. «أنا سعيد لأن أخبرك، أيتها السيدة «دارلنك»، أنك أم.».
صفقت «وندي» بيديها، ورقصت بجذل، لكن «جون» استدار نحوها، وقال بصوته المألوف: «لا تكوني حمقاء! من الأجدر بك أن تقولي: ولد أم بنت».. «أوه، أنا سعيدة جداً، ليكون لنا طفل.»... أجابت «وندي».. «لاأهتم من أي جنس يكون.
«آه! هذا هو الاختلاف بين الرجال والبنات»، قال «جون»..
«الآن فعلتيها».
صرخت «وندي»، وهي في أحسن حال من حالات صوتها قائلة: «أنا فرحة لأن أخبرك أيها السيد «دارلنك»، أنك الآن أب». لم يبد «جون» أي استغراب، غير أنه تساءل بنفس الصوت الصارم: «ولد أم بنت؟».
«بنت!» صرخت «وندي» منتصرة.

إشمئز «جون»، فصرخت. «أوه.. لم تخف!». لكنه ذكّرها بأنها لم تنته بعد.
«آه.. صحيح.. لقد نسيت». واستعادت ملامحها ثانية، وصرخت قائلة: «أيها السيد «دارلنك»، أنا سعيدة لأن أُعلمك بأنك قد أصبحت أباً مرة ثانية.».
«بنت أم ولد؟».
وكان صوته أفضل هذه المرة، لكنه رفع حاجبيه متسائلاً. لقد تمرن على هذا مؤخراً. وكانت بدايته في استعمال حاجب واحد، من غير أن يحرك الآخر..
«ولد.» قالت «وندي».
«آه.. ذلك شيء أحسن».. قال «جون».
«أليس مقرفاً ياأمي؟» صرخت «وندي».. «يريد أولاداً دائماً.».
عاد «ميشيل» إلى ظهر «نانا»، مرتدياً منامة قديمة ل «جون»، كبيرة جداً عليه. لقد نشّف وجهه بسرعة، غير أن لعبتهما جذبت انتباهه في الحال، فانسل نحو الأرض، وصرخ: «والآن أنا... خذاني أنا».
«لانريد أولاداً أكثر».. قال «جون».. «عندنا الكفاية. لانريد أي طفل آخر».
- «ولكن يجب أن تأخذاني».. انّ «ميشيل»، مصوّباً

نظره من «جون» إلى ماما وإلى الخلف ثانية.

«اثنان يكفيان».. أعاد «جون» القول، من غير اكتراث.

«لا أحد يريدني!» صرخ «ميشيل»، فجاءت ماما للنجدة.

«أنا أريدك ياعزيزي».. قالت بسرعة.. «لا أستطيع أن أفعل شيئاً من غير ثلاثه.».

«ولد أم بنت؟» تساءل وهو مرتاب قليلاً..

«ولد طبعاً!».. أكدت له ذلك، فاندفع نحوها بسرور، وهو ينطح رأسه برأسها بحب. قطع عليهما ذلك صوت الأب، وهو يرن على طول الممر.

-«ماري! ماري!» نادى ثم بدا وكأنه يبحث عنها في الأعلى والأسفل، من غير أن يجد لها أي أثر..

-«ماري.. أين أنت؟».

-«في حجرة نوم الأطفال».. أجابت وهي تضحك.. «ماذا حدث؟».

«ربطة عنقي»، تذمر بينما كان متوجهاً نحوها. «انها لن تربط بالتأكيد.. لن تربط حول عنقي في أي حال من الأحوال. قد أستطيع أن أجد ربطة جميلة هنا أو هناك، فانها سوف لن تربط، عندما تجد نفسها حول عنقي.

سوف تتضرع لأن تعفى من المهمة.».

«قلها ثانية، يابابا». صرخ «ميشيل»، وكأن بابا يلعب له لعبة ظريفة.. «قلها ثانية!».

نظر اليه السيد «دارلنك» نظرة محذرة، واستمر بصوت أعلى مما يتوجب:

-«أحذرك يا «ماري»، اذا لم تربط ربطة العنق هذه حول عنقي، كما ينبغي، وحالاً، وإلاّ سوف لن آخذك لتناول العشاء هذا المساء، وسوف لن أذهب للدائرة أيضاً.. أنت وأنا سنجوع... والأطفال سيجوعون، وسنرمى في الشارع.».

-«دعني أجرب ياعزيزي».. قالت ماما بهدوء تام. وربطت - طبعاً - ربطة العنق كما ينبغي، في وقت لايكاد يذكر. انها دائماً تفعل هذا، غير أن بابا يعامل هذا الشيء، وكأنه معجزة صغيرة، وتقديراً لها، فانه يأخذ «ميشيل»، ويضعه على كتفه، ويبدأ اللعب معه بحبور.

دخلت «نانا» لتأخذ «جون»، فاحتج بصوت عال، كما فعل «ميشيل»..

-«لا.. لن أدعك تحميني يا «نانا».. أتسمعين؟ لا أريدك أن تفعلي ذلك.. أقولها ببساطة، انك لن تفعلي

ذلك.».

توقف السيد «دارلنك» ليقول بقساوة، بنفس نبرة الصوت التي كان «جون» يقلدها جيداً، قبل بضعة دقائق:

-«اذهب واستحم حالاً ياسيدي.».

انتهى ذلك المرح، فانسلت «وندي»، مبتعدة، إلى الحمام الآخر. لم تحممها «نانا». أحنى بابا كتفه إلى أقرب سرير، فنزل «ميشيل»، وقفز إلى هناك بسعادة.

«جاء دورك الآن.. فاسرع!».

قال الأب متذكراً فجأة، ان عليهما الذهاب في الوقت المحدد، ليتناولا عشاءهما.

وعندما اتجه نحو الباب، جاءت «نانا» لتأخذ منامة «جون»، فمسته برفق، فصرخ في نزق:

-«أنظري ماذا فعلتِ! أنظري فقط! «ماري».. تعالي وانظري ماذا فعلت تلك المتوحشة في سروالي. انه مكسو بالشعر. لاأستطيع أن أخرج وأنا في هذه الحال. سوف لن أزيله. أنت كلبة خرقاء يا «نانا»، خرقاء! خرقاء!».

انكمشت «نانا» وهي تسمع صوته. وقبضت بأسنانها على المنامة، الموضوعة على حاجز النار، وانسلت خلسة

خارج الغرفة، وذيلها بين ساقيها.

كان السروال جديداً، ذو شريط مجدول في أسفل الساق. ولم يكن للسيد «دارلنك» من قبل سروال ذو شريط أسفل الساق، فكان منزعجاً جداً.. قالت ماما بصبر:

-«تعال هنا ياعزيزي.. سأُنظفه بالفرشاة.».

واستطاعت - طبعاً - في دقيقتين، أن تلتقط كل الشعر، غير أن «جورج» كان يصر على أسنانه قائلاً:

-«أنا أقول هذا دائماً: مكان الكلب خارج الأبواب! ارتبتُ بأمر ادخالها منذ البداية».

-«لكنها كنز..» لاطفته ماما.. «في الحقيقة، يا «جورج»، لاأُعرف ماذا أعمل من غيرها الآن!».

استنشق «جورج» الهواء بقوة، وقال ان لديه أكثر من الشك والارتياب، وهو ان «نانا» تنظر الى أطفالهم وكأنهم جراء!

-«أوه.. لا!».. صرخت ماما، فبدت وكأنها أصيبت بصدمة.. «أنا متأكدة أنها تعرف أنهم بشر، ياعزيزي».

-«أستغرب هذا!»، أجاب «جورج» بقرف.

-«لانستطيع أن نفعل شيئاً من غيرها الآن.» قالت

ماما بسرعة. وكانت نبرة صوتها قد جعلته يرمقها بحدة، مستغرباً فيما إذا كان هناك شيء يحصل من غير أن يعرف. فكرت السيدة «دارلنك» بسرعة، لتداري الأمر:

—«شاهدت شيئاً غريباً جداً، عندما جئت لتوي إلى هنا.» نظرت اليه بعينين ثاقبتين متضرعتين.. «كانت «نانا» في الحمام، مع «ميشيل».. وكان «جون» و«وندي» في غرفة اللعب.. وقد شاهدت أنا، بصورة واضحة جداً، وجهاً في النافذة؛ وجه ولد.».

وعندما كانت تشعر هي بخوف، كان «جورج» لا يصدقها، فسخرمنها قائلاً:

—«وجه في النافذة، وجه ولد! خارج نافذة طابق ثان.. شيء مضحك!».

تنهدت الأم.. «شيء مضحك أو غير مضحك..» أجابت، «كان هناك، وكان الولد يحاول فعلاً أن يدخل. لقد شاهدته.».

بلع الأب شيئاً أراد أن يقوله، لأن الأفكار الثانية أظهرت الحاجة إلى العون، ورغب في أن يجعلها تشعر بمثل ذلك، فقال ببطء أكثر، وشفقة أكثر: «ولد.. هه؟ يحاول الدخول إلى هنا؟«.

—«نعم»، قالت الأم بجدية، «استمع لي». ثم

خفضت صوتها لئلا يسمعها الأولاد.. «انها ليست المرة الأولى التي يكون فيها هنا.. لقد وجدته في هذه الغرفة، بالضبط، قبل حوالي أُسبوع، واقفاً على الأرض، قبالة النافذة. لم يكن خائفاً، على الأقل عندما شاهدني، ولا أظن أنه جاء ليسرق شيئاً..» ولمحته بنظرة مستفيئة، لئلا يضحك منها.. «وعندما نظرت، دخلت «نانا»، لكنه، ببساطة، طار من النافذة المفتوحة، يا «جورج». أعرف أنه شيء يصعب تصديقه، لكنني شاهدته. حاولت «نانا» أن تمسكه، لكنها أخطأته، على الرغم من أنها أمسكت ظله. أنا أظن أنه جاء باحثاً عنه.».

«حسن..» بدأ حديثه مابين السخرية والجد.. «آمل أن تكوني قد احتفظتِ بالظل، ياعزيزتي.».

—«فعلتُ ذلك طبعاً.» أجابت الأم، وأحضرته من الخزانة. وبحركة لطيفة، أخرجته ونشرته، فكان شيئاً يشبه ظل ولد، تماماً.

رفع «جورج» يده ليلمس الشيء، لكنه لم يفعل، لأنه بدا له مثل نسيج عنكبوت، وهو لايحب أن يلمس نسيج العنكبوت، لأنه يلتصق باصابع يديك، ويسقط قطعاً صغيرة. سار خطوة، أو خطوتين، في الحجرة، وقد وضع يديه في جيبي سرواله، ويصفر برقة بين أسنانه. انه

ببساطة، لم يعرف ماذا يصنع به، لكنها تبدو مزحة، وحري به أن يقصها في دائرته.

كانت السيدة «دارلنك» تراقبه بثقة.

«يوجد شيء آخر..» استمرت تقول.. «له شيء من الضوء القليل يلازمه. انه يدور حوله مثل نقطة ضوء بقدر حجم البنس، في أعلى وأسفل الجدران.. في الصدوع حول الكراسي، فوق الأسرة.. في كل مكان. وفي الحقيقة، انه يبدو وكأنه يبحث عن شيء.».

«آه..» قال، «اصطدت الظل.» كان مغتبطاً مرة ثانية. استدارت ماما، وعندما رأت «نانا» أن كل شيء على مايرام، تجرأت ودخلت، وفي فمها قنينة دواء «ميشيل». وعندما رآها، أخذ يصرخ منذراً، بانه مادة مرعبة، ولن يتناوله.

-«تعال يا «ميشيل».. كن رجلاً.» قال الأب مشجعاً اياه.. «تناوله كما يفعل الولد الصالح.» قالت الأم.. «وسأذهب الى الطابق السفلي، وأحضر لك حلوى تأكلها بعد تناوله.. أكبر حلوى في الصندوق!».

-«أنت تفسدينه، يا «ملري»!» قال الأب.

-«أنا لا أحبه،» نشج «ميشيل» وهو يتخوف من أن الجميع يقف ضده هذه المرة، لكنه سمع ماما تنزل إلى

الطابق السفلي، وتشعل الأضوية، في غرفة الجلوس حيث تحفظ الحلوى.

-«لما كنت في سنك،» قال الأب، «لم أُحدث أية جلبة عندما أتناول دوائي، بل العكس ؛ كنت أشكر والدي الرحومين، لأنهما ابتاعاه لي، ليجعلاني بصحة جيدة.».

ضحك «ميشيل» نصف ضحكة، لكنه كان يبكي نصف بكاء أيضاً. جاءت «وندي» مرتدية ملابسها، لتستعد للنوم. كانت دائماً تواقة للمساعدة، فأخذت الأب جانباً، وقالت بابتهاج: «والدواء الذي كنت تتناوله، أكثر قرفا من دواء «ميشيل»..أليس كذلك ياأبي؟».

-«أتعس كثيراً..» وافق الأب على كلامها، بحرارة، «ولكي أُريك ياصغيرتي «ميشيل»، انني لو لم أضيع القنينة، لتناولت جرعة منه معك!».

انه لشيء قاتل أن يقال هذا، حينما لم يكن يعنى الأمر. اندفعت «وندي» مسرعة، وقالت: «آه.. أنا أعرف أين هو ياأبي! سأُحضره لك!».

فتح فمه، وأغلقه ثانية، إذ لم يكن لديه شيء ليقوله بصوت مرتفع. بدأ «ميشيل» ينشرح. وعندما جاء

«جون» وهو نظيف جداً، من حمامه، استغاث به «جورج»، لأن «جون» هو ابنه الأكبر، وعلى الرجال أن يتضامنوا سوية.

«جون»، قال بلهجة مقنعة، وهو يعرف أنه حتماً قد سمع ما قاله، «جون».. انه تلك المادة الدبقة، المرّة والحلوة في الوقت نفسه. تعرف نوعه!».

ما كان «جون» يعرفه، في تلك اللحظة، وهو مرتاح النفس، انه لاتوجد أية قنينة دواء له.

–«لا تُعر للأمر أهمية ياأبي.. قال ذلك، «كل شيء سينتهي بسلام.».

عادت «وندي» بالقنينة وهي ظافرة.. «بذلت كل جهدي لأسرع ياأبي..»،قالت ذلك وهي تلهث، وقدمت له الدواء، بعد أن أخرجت فلينته منه، فأصبح جاهزاً للشرب».

«آه.. بسرعة كبيرة»، قال موافقاً بمرارة.. «والآن يا «ميشيل»، دعني أرى أنك تأخذ دواءك أولاً..».

«أنت الأول..»، قال «ميشيل» على الفور، من غير وجود أي أثر لأنين.

ويبدو أن الأب قد فقد سيطرته.. «سيمرضني»، قالها محذرا الجميع، «وعلي أن أذهب خارج البيت لتناول

العشاء.. وهو عشاء مهم».

– «هيا.. ياوالدي»، قال «جون» بنفاد صبر.

– «امسك لسانك»، زجره «جورج»، «اذهب الى الفراش».

أُصيبت «وندي» بالذهول حقا، واضطربت، «ظننت أنك تحبه..» قالت ذلك.

«ليس هناك شيئ معه..» أجاب، «في الحقيقة توجد كمية كبيرة في قنينتي.. هذا ليس عدلا!».

– «هيا ياأبي»، صرخ «ميشيل» بفرح.. «أنت الاول..».

– «بل أنت الاول..» زعق الأب.. «أخبرتك بذلك سابقا، وأنا أُنتظر».

بعد قليل من الجدل الاضافي، من ذلك النوع، اهتدت «وندي» الى حل يشرف الطرفين، فصاحت: «تناولاه سوية». «والآن: واحد.. اثنان.. ثلاثة.. هيا كلاكما!».

بلع «ميشيل» دواءه برجولة، غير أن الأب وضع قنينته خلف ظهره، متظاهرا بأنه قد شرب دواءه. صدم الأطفال، وعوى «ميشيل» من الغيظ، فراح الأب يرتجف، وسمعته الأم..

«أوقف هذه الضجة حالا!» جأر بصوت عال..

«قصدت أن أتناوله، الآ أنه.. إنه قد أخطأ في بطريقة ما، وهذا كل شيء».

استقبل هذا الايضاح بصمت. كان رأس «نانا» الكبير يحلق حول باب الحمام، وبدا وكأنها قد صدمت أكثر من الاطفال.

وفي الحقيقة، كان السيد «دارلنك» منزعجاً أيضا. وكانت نظرات «نانا» لاتحتمل، أكثر من عيون أطفاله، وليتجنب نظرات الجميع، فكر في فكرة عظيمة.

«أنا أعرف..» صاح وضحك عاليا.. و «نانا» ذهبت عائدة الى الحمام، وكان ماء الحنفية يجري، وهي تغسل الحمام.. «فكرت في مثل هذه المزحة.. انها ستجعلكم تضحكون كثيرا.. سأعطي دوائي لـ «نانا». ونرى ماالذي سيحدث».

لم يجعلهم هذا يضحكون. نظروا اليه ببرود، وقالت «وندي» ببرود شديد: «ياللمسكينة »نانا» العزيزة!»

«أطفال صغار مزعجون -حمقى!» انفجر بابا قائلا ذلك.. «اذهبوا للنوم، وأسرعوا. أنا خجل لأن لاأحد منكم يملك ذرة واحدة من روح المزاح!».

كان «جون» يقف قرب سريره، وخطا نحوه برفقة. وأخذت «وندي» دورها من غير أن تلقي لمحة واحدة نحو

أبيها.

لقد حدث كل شيء بسرعة. ولم يكن للسيدة «دارلنك» أدنى شك في أن كل شيء كان على غير عادته، عندما عادت، الى الحجرة، وهي تحمل الحلوى لـ «ميشيل».

«كل شيء على مايرام؟» سألت بعذوبة، وهي تحمل الحلوى، لتريه كبر حجمها.

«بابا لم..» بدأ حديثه بذلك، لكن ملاحظته قد تلاشت عندما أكد والده بصرامة: «كل شيء قد انتهى على مايرام، عزيزتي، وبصورة مرضية. شكرا لك. «ميشيل» شرب دواءه».

عندما سمعت «نانا» صوت سيدتها، عادت. أشار «جورج» الى انائها. وبصوت شديد الحلاوة، حثها على شرب قدح من الحليب اللذيذ. اتجهت «نانا» نحوه، وهي غير متوقعة ذلك، محركة ذيلها بحركة تدل على طلب المعذرة. لسانها الوردي كان مطويا طية واحدة فقط. وبرفعة عظيمة دخلت وجارها، واختفت عن البصر.

حدقت السيدة «دارلنك» حولها -بدهشة، ورمقت زوجها بنظرة ثم رفعت الاناء.. كان هناك في الهواء أكثر من شيء غير مريح، عندما شمته. شمته عدة مرات،

وكأنها لاتصدق أنفها.. قالت مستغربة:

«جورج».. انه دواءك! ، فتمتم: «انها ليست سوى نكتة»، وفجأة أصبح كل شئ مريعا، وليس لطيفا. نهضت «وندي» من سريرها، وأسرعت لتهدئ «نانا».

«انها تبكي»، قالت لأخويها.. «هراء!» صرخ «جورج» بغضب. «انها تستمرئ النكتة، كما آمل.. ولكن استمروا! استمروا! واجعلوا منها ضجة فارغة. لا أحد يقلق عليّ طبعا. لا أتوقع ذلك».

«أسكت يا «جورج»،» قالت السيدة «دارلنك»، «كل من في البيت سيسمعك».

«دعيهم!» صاح وغضبه يحتد في كل دقيقة.. «وشئ آخر سأخبرك به: لاأريد ذلك الكلب في حجرة نوم أطفالي، ساعة أخرى، أخرجي يا «نانا»! أتسمعين؟ انزلي الى الأسفل!».

وقفت «وندي»، وكان صوت «نانا» يسمع وهي تستغيث وتضرب ذيلها بأرض الوجار.

«قلت اخرجي!» أعاد «جورج» ذلك بصوت مرتفع. «سآخذك بنفسي الى الطابق الأسفل، وأربطك ثبات».

تعدى الأمر النكتة، وبدت السيدة «دارلنك»

مرعوبة، فتوسلت: «أرجوك.. أرجوك.. تذكّر ما قلته عن الولد الذي في النافذة».

لكن «جورج» كان غاضباً جداً، ولا يطيق سماع أي شيء. ولم تبذل «نانا» جهداً أبداً لتفعل ما طلب منها. شعر بالتحدي ثانية. لقد أمرها أولاً، ثم بدأ يتزلف لها.

«يا «نانا» الطيبة..» راح يتودد اليها بلطف. «تعالي واخرجي لنزهة مع السيد! تعالي يا «نانا»! أيتها الكلبة الطيبة، للنزهة!».

زحفت نحو الخارج ببطء، غير متأكدة مما سمعته، وهي تحرّك رأسها من جانب إلى آخر، مستسلمة، وذيلها منكس بقنوط. وحالما استطاع أن يمسك طوقها، بدّل «جورج» نبرته المتزلفة، وسحبها بقوة تامة خارج الغرفة. سمعت العائلة صوت مخالبها، تنزلق فوق مشمع الأرض، وعرفوا من صوتها أنها مجبرة على النزول للطابق الأسفل. صُفقت باب المطبخ بقوة، ثم ساد صمت.

«انه يربطها بالسلسلة.» نشجت «وندي».

«انها بائسة حقاً.» قال «جون» بعد لحظة..«اصغوا اليها فقط».

«هذا ليس نباحها البائس»، صاحت «وندي»..«انه نباح الخطر».

«الخطر!» تساءلت السيدة «دارلنك» متعجبة، وهي تنظر من واحد إلى آخر.. «آه، «وندي» .. ماذا تقصدين أي خطر؟».

«لا أعرف»، ردت «وندي».. «ان نباحها للتحذير من الخطر.».

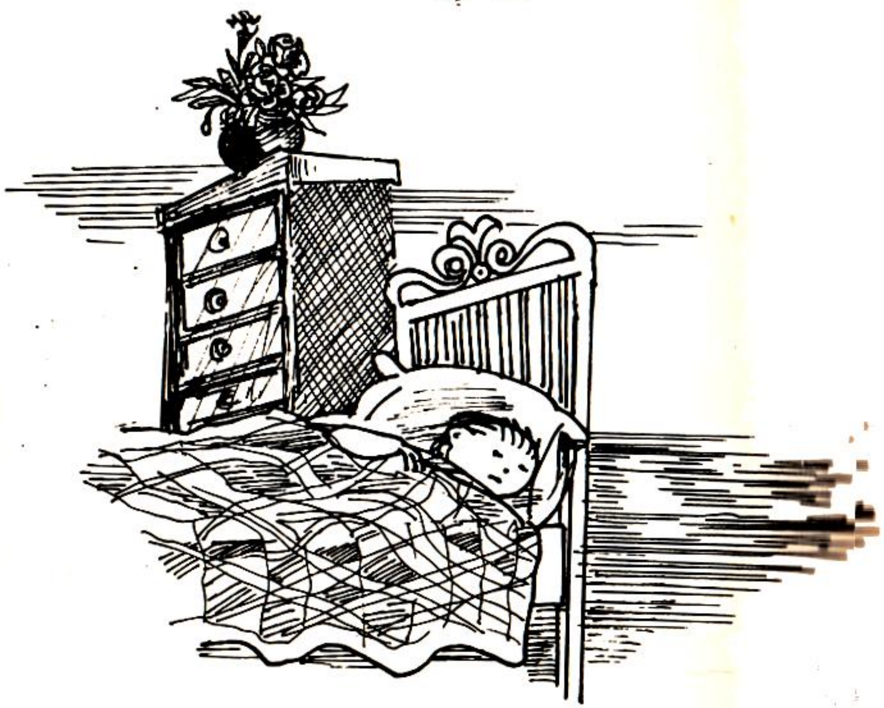
لم تكن الأُم على يقين في أن تصدقها، أم لا. لكنها خائبة لأن هذا قد حدث في نفس الليلة التي تريد بها الخروج مع «جورج»، ومباشرة بعد رؤية الولد. ذهبت إلى النافذة، ونظرت منها. لم تشاهد شيئاً سوى القمر، يلقي ضوءه على قمم الأشجار. وكانت ماتزال هناك بعض الطيور البيض تطير في الجوار.

«هل هناك شيء ياماما؟ تساءل «جون». أغلقتِ النافذةَ وعادت اليهم، ثم قالت: «لا.. لا أظن ذلك. أنا متأكدة من أنه لايوجد شيء يدعو للقلق. انزلوا الآن يا أعزائي، واذهبوا للنوم». لكنها أضافت لنفسها: «كم أتمنى في أن لا أخرج هذه الليلة.».

أحس «ميشيل» بقلقها، فتساءل: «ماما.. هل سيحدث شيء بعد أن نطفيء الأضوية؟» غير أنها لمّا غطتهم، كانت تفكر في أخبار «ليزا»، بأن تلقي عليهم نظرةً، من وقت لآخر، وتتأكد من أنهم على أحسن

مايرام. توقفت عند الباب، وهي راغبة عن اطفاء ضوء المصباح الكبير، الذي يضيء كل زاوية في الغرفة، بوضوح تام..«ياأضوية الليل العزيزة..» قالت بصمت.. «لتضيئي بحقيقة ووضوح هذه الليلة، واحفظي أعزائي بأمان حتى أعود.».

ثم أغلقت الباب بسرعة، تاركة وهج النار فقط، والأضوية الخافتة، المعلقة فوق الأسرة. كانت دافئة تحت البطانيات. وكانت الحجرة هادئة وديعة. وغفا الأطفال وناموا قبل غلق الباب الأمامي، حتى أنهم لم يسمعو «ليزا» تعود إلى المطبخ مع «نانا».



الفصل الثاني

سأعلمكم الطيران

بعد فترة من مغادرة السيد والسيدة «دارلنك» البيت، بدأت أضوية الليل المعلقة فوق الاسرة الثلاثة، تشتغل بهدوء، وبعد ان تلاشت النار، خفقت الشموع، وانطفأت الواحدة بعد الاخرى...

عم الظلام الحجرة للحظات قليلة، ثم هبط نور صغير، لا يزيد حجمه على حجم البنس من النافذة، الى الأرض، ثم أخذ يتحرك بسرعة هنا وهناك، وبالضبط كما وصفته السيدة «دارلنك» لـ «جورج» – وكأنه يبحث عن شيء. وفجأة قذفت النافذة بقوة فانفتحت، وهب نسيم بارد، جعل الستائر تتلاطم في داخل الحجرة، حتى سحبتها بقوة.

وانزلق ضوء قليل من القمر والنجوم الى داخل الحجرة، مما خفف درجة الظلام، فظهر ولد يقف على حافة النافذة، يقف منتصباً مثل صولجان، ويحدق حوله بانفه، وكأنه فرح بسبب شيء ما.

كان أطول من «جون» قليلاً، يرتدي ملابس من

المستحيل أن يرتديها «جون» تبدو وكأنها مصنوعة من أوراق الخريف، ملتصقة مع بعضها بمادة رمادية ، ربما تكون من نسيج عنكبوت خريفي. كان يرتدي سترة طويلة من غير كمين، أو سترة وثوب محكم ضيق طويل.

ألقى نظرة على الاسرة الثلاثة، واشر برأسه، مقتنعاً ان الاطفال الثلاثة نائمون جميعاً، ثم نادى بنعومة:

«تنكر بل! تنك، أين أنت؟»

وفجأة توهج ابريق فوق رف الموقد، وكأن شمعة في داخله.

«اظهري، ايتها الحمقاء» قال الولد. «لا أستطيع الدخول هناك. ألم تجديه لحد الان؟».

بينما كان يتكلم، انزلقت نقطة الضوء فوق فوهة الابريق، وبدا كما لو انه جواب لحلى السؤال، سمع رنين قليل. لقد كان جواباً فهمه الولد، ثم سأل بنفاد صبر: «في أي صندوق؟ أي نوع من الصناديق هو؟ لا أعرف ماذا تعنين يا «تنك». هذا؟».

رن الجرس بسخرية.

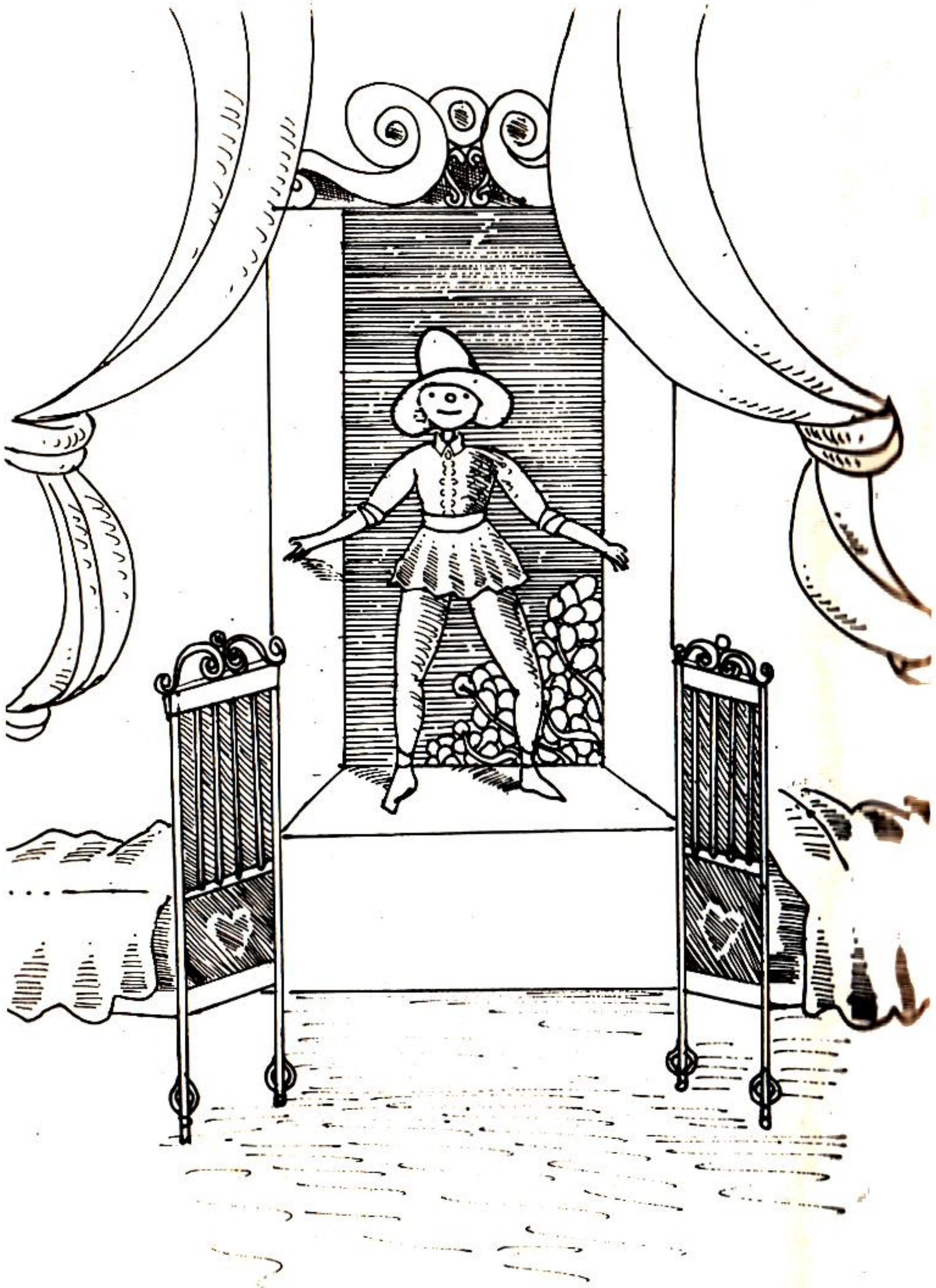
«حسن.. هذا؟ هذا ليس صندوقا. انه خزانة جرارات. أي جرار هو؟ اسرعي!».

«تنكربل» ونقطة الضوء كانا شيئاً واحداً، ثم كان

هناك رنين اخر، عندما اختفى الضوء داخل الجرار الواقع على الجهة اليسرى، في الاعلى – الجرار الذي وضعت فيه السيدة «دارلنك» الظل طار الولد باتجاهه، في اللحظة التي استدارت فيها «وندي» وهي في سريرها. وفي الحال ارتفع الولد في الهواء، ومن غير أي جهد حط على رف الموقد بصمت، واقفاً قريبا من الحائط، حيث يخفيه الظلام تماماً عن العيون، وقف هناء يراقب، غير ان «وندي» استمرت في نومها، فانزلق بسرعة ليلقي عليها نظرة. كان يسلي نفسه الى حد كبير، رغم ان ذلك كان يحدث بصمت.

ثم ذهب الى خزانة الجرارات، وبعثر المحتويات يميناً ويساراً، من غير ماعناية حتى وصل الى الظل، الذي التقطه ونشوة النصر ارتسمت على محياه، فاغلق الجرار بسرعة بيده الأخرى، من غير أن يلاحظ ان «تنك» كانت بداخله.

لقد كان مسروراً جداً باستعادة ظله، لدرجة انه ظل يرقص حول الغرفة، وهو يمسكه بيديه، وهو يضحك، ويطفر طفرات صامتة وفوق الأسرة والكراسي. ثم جلس على الأرض ليرتديه ثانية. وضع قدمي الظل على قدميه ليسويهما سوية، متوقعاً انهما سيدخل الواحد في الأخر.



بصورة طبيعية، لكن ذلك لم يحدث، فقد سقط الظل، حالما أبعد يده عنه.

«ياللشيء المقلق!» تمتم مع نفسه بنزق، ونهض ليرى ما يستطيع أن يفعله ليجعله يلتصق به. في الحمام، وجد قطعة صابون، ما تزال رطبة، اثر استحمام «جون» فيها، وعاد بها. جلس مرة ثانية، ومسحها فوق أخمص قدمه، وضغط الظل عليه، لكن هذا لم ينفع أيضاً.

لقد كان غاضباً وشعر بخيبة أمل، لدرجة انه اضطجع على الارض وبكى، فسمعته «وندي»، واستيقظت. لم تكن خائفة، على الاقل، لمشاهدة زائر هناك، لكنها فكرت كم ان الأمر مثير.

«ماذا حدث؟» تساءلت. «لماذا تبكي؟»

قفز على قدميه وانحنى لها انحناءة كيسة.

«أوه.. شكراً»، تمتمت ذلك وهي تشعر بالامتنان، وارادت ان تعيد الانحناءة، لكنها لم تفعلها بصورة جيدة، لأنها كانت في السرير.

«ماهو اسمك؟» سأل الولد.

«وندي مويرا انجليا دارلنك».، استذكرت ذلك بحزم وبفخر. «وما هو اسمك؟».

««بيتربان». » بدا الاسم قصيرجداً، وتمنى للحظة ان

له اسما مؤثرا رنانا مثل اسمها.. وجعلت الامر يسوء عندما سألته مستغربة: «اهذا هو كله؟»

وبدأ يقضم أظفاره، ويتمتم: «نعم». قالت «وندي» انها أسفة، لكنه أخبرها ان ذلك لا يهم.

«أين تسكن؟» سألته.

قفز على قدميه، وابعد ساقيه، وارجع رأسه الى الوراء، وراحت عيناه تضحكان بشجاعة عليها، لان له جواباً جيداً على ذلك.

« »، قال لها ذلك، لكن «وندي» اكتفت بأن قالت: «ياله من عنوان مضحك!»

«انه ليس مضحكاً على الاطلاق،» أجاب «بيتر» بفطرية.

«حسن، اي عنوان يضعون على الرسالة التي يبعثونها لك؟»، تساءلت.

«لا استلم رسائل.» أجابها.

«حسناً.. ورسائل امك؟»

«ليس لدي امهات.» اجاب وهو يشهق.

ذلك كان فوق احتمال قلب «وندي» الشفوق، وقفزت من السرير، لتواسيه، وسرعان ما تحرك «بيتر» ليصبح بمنأى من الوصول اليه.

«لا تلمسيني»، قال. «لا يسمح لأحد ان يلمسني.» لكن «وندي» كانت من النوع الذي لا يتأثر بسهولة في مثل هذه المواقف.. «لطفك يارب، لماذا لا أبداً؟» قالت.

«أوه.. لا أعرف.» قال «بيتر» ذلك وهو يهز كتفيه لا مبالاة. وفي الحقيقة انه ذكر ذلك، لان الفكرة جاءته في الحال، رغم انه يملك شعوراً بانه كان مصيباً.

«لاعجب اذن انك كنت تبكي.» قالت «وندي» متوددة اليه «لم أكن أبكي». قال ذلك وهو يشهق. «ظلي لا يلتصق بي.»

نظرت اليه «وندي» فشاهدت الظل مجعداً مكوماً فوق الأرض. شيء خيالي أن تفقد ظلك!

«شيء تعيس بالنسبة لك!» قالت في صوت مليءٍ بالعاطفة، لكنها سرعان ما أخذت تضحك، عندما رأته يحاول ذلك. «أوه «بيتر».. هل حاولت أن تلصقه بالصابون؟ كأن هذا ينفع!»

«وكيف لي أن اعرف انه لا ينفع؟» سألها بذكاء.

«ماذا كنت تفعلينه إذن؟»

«سأخيطه.» أجابت بثقة.

«أوه.. انك جاهل لحد مروع!» اخبرته ذلك، لكنه

صرخ: «لا!» خطر ببالها جواب، رغم انها كانت تفكر في ان حتى الاولاد يجب على الأقل أن يتعلموا الخياطة ولكن على شخص ما ان يفعل ذلك. وعلى اية حال فانها تحب أن تمديد المساعدة، فقالت: «سأخيطه لأجلك. لكننا نحتاج الى ضوء اكثر.»

مدت يدها ولدهشته ان الحجرة سرعان ما اضيئت. لم يشاهد من قبل مثل هذا يحدث، فقفز في الهواء، لكنها طلبت منه ان يعود ويجلس بجانبها بصورة مناسبة حتى تستطيع ان تخيط ظله عليه.

حذرته قائلة: «استطيع أن اقول انه قد يؤلمك قليلاً.» لم يكن «بيتر» متأكداً منها، لكنه اقترب اكثر، ومد قدمه.

«لا أهتم اذا أذ اني.» قال بترفع – وبهدؤ لم يعهده من قبل..

«أنا لا أبكي أبداً.»

وعلى اية حال، فانه قطع نفسه عند اول طعنة، لأنها آذته. وفي الثانية أطلق صوتا قصيرا حاداً، لكن «وندي» استمرت تعمل بأناة، وكأنها تنجز عملاً متواصلاً، كاخراج شوكة مثلاً، او وضع اليود فوق جرح. تحمل «بيتر» ذلك، حتى تم العمل، ووضعت

ابرتها جانباً. ثم نهض، يسير بحذر، في هذا الطريق وذلك، ليرى ان كان الظل يعمل أم لا.

«انه ليس على ما يرام»، دمدم قائلاً، لأنه كان رخواً عند قدميه.

«لا ادري ان كان يتوجب علي كيه أم لا.» اقترحت «وندي» ذلك، لكن «بيتر» قفز مسرعاً وهو يحوم حول الغرفة، يقفز ويرقص، وفي كل قفزة يبدو ان الظل يقترب منه اكثر. وبسبب مرحه، وقف على أطراف اصابعه، وصاح مثل ديك يافع: «كوكو.. كوكو! هذا هو ذكائي!.. انظري يا «وندي».. انظري!» ثم جعل ظله يرقص على الحائط..

«انه يفعل ذلك حقاً»، قالت ذلك. «خداعك! أظن انه ليس لدي شيء معه؟ لقد حصلت عليه ثانية بنفسك، طبعاً!»

«أوه.. لقد ساعدتني قليلاً»، قال «بيتر» ذلك وهو يديره في هذا الطريق وذلك.

«ولما كنت لا أفيد الأن..» قالت ذلك برفعة، «فانني سانسَحب على الأقل.» ثم عادت إلى سريرها وسحبت الشرشف فوق وجهها. توقف «بيتر»، ورمقها بنظرة، ثم اتجه مبتعداً وقال بصوت عال:

«وندي».. أنا ذاهب.. وداعاً!» وعمل صوت خطوات على الارض، وانتظر ليرى التأثير الذي تركه. ولما لم يحدث شيء، قال: «وندي، لقد ذهبت»، وهو يجر قدمه.

وعندما لم يجرها ذلك من فراشها، حط على قضيب سريرها، ولكزها في مقدمة ابهامه.

لا تنسحبي يا «وندي». قال متودداً اليها. «أنا دائماً أصيح مثل الديك عندما ينتابني سرور. لا استطيع السيطرة على نفسي.»

لم تنم منها أية علامة تدل على انها سمعته، لذلك اضاف بعد لحظة، وببراعة: ««وندي».. بنت واحدة تساوي أكثر من عشرين ولداً!»

وفي الحال رفعت الغطاء من وجهها، ونظرت منه بعينين راقصتين.

«حقا يا «بيتر»؟ أتعني ماتقول؟»

ضحك. وفي الحقيقة انه كان يصيح مثل الديك كلما نجح. «بالطبع»، صاح قائلاً ذلك.

- «كم هو شيء رائع هذا منك! أضن انني سأنهض ثانية.

رتبت نفسها ببهاء زهي على حافة السرير، فجاء

وجلس بجانبها.

«سأعطيك قبلة لأجل ذلك، إذا اردت.»، قالت.

«حسن،» قال لها، «شكراً،» ومد لها يده لتقبلها. استاءت «وندي» من مثل هذا الجهل. «ألا تعرف حقاً ماهي القبلة؟» سألته فأجاب «سأعرف متى تمنحيني اياها.»

لم تكن متأكدة ماذا تفعل، لكنها لا تريد أن تجرح مشاعره. بحثت في جيبها عن شيء تعطيه، فوجدت كشتبانها.

«خذ، » قالت له، ورمت الكشتبان في يده.

«أوه.. هذه هي القبلة.. أليس كذلك؟» تسأل بفرح.

«والأن، اتودين أن أعطيك واحدة؟»

«إذا تفضلت،» أجابت «وندي» باحتشام، متوقعة أن تكون قبلة حقيقية بالرغم مما قد حدث، لكنه سحب زراً من ردائه، واعطاه لها فشاهدت انه كان بلوطة صغيرة.

«شكراً جزيلاً،» قالت له... «سأضعها مع سلسلة حول رقبتي كانت تفكر انه اغرب ولد حقاً. لا أم، لا بيت ملائم، وحتى انه لا يعرف ماهي القبلة!

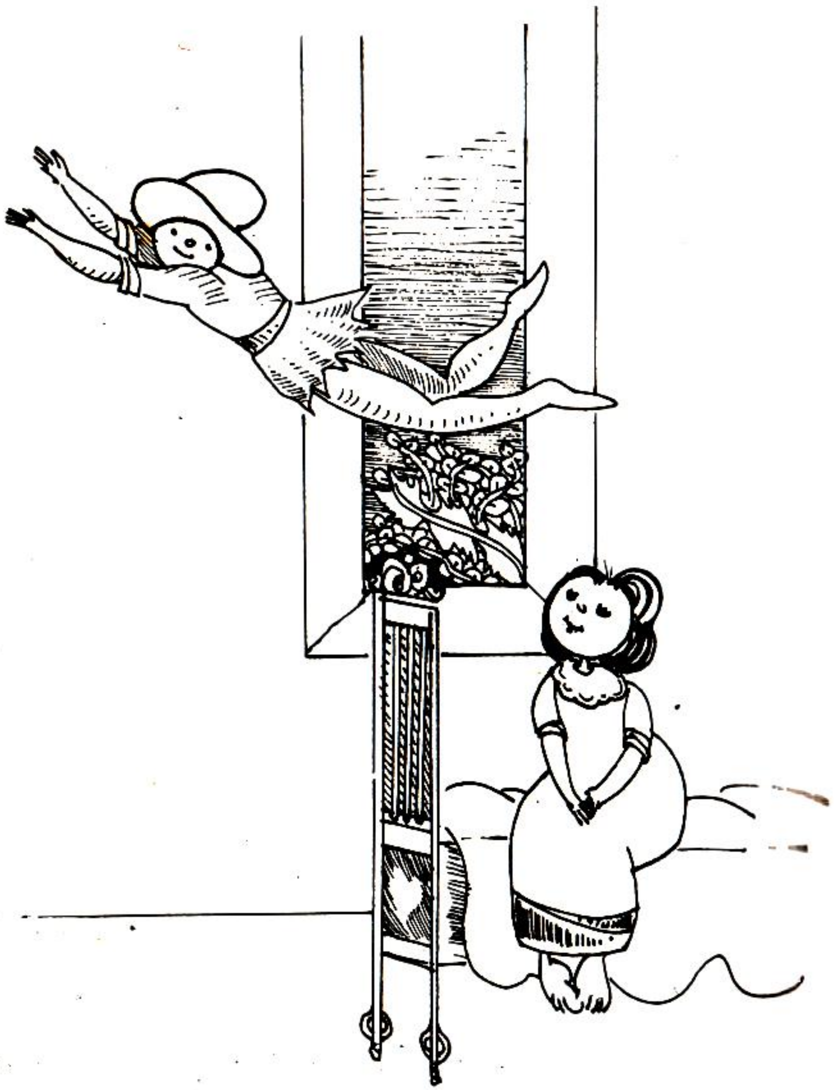
سألته: «كم هو عمرك، يا «بيتر»؟»

«لا اعرف!» أجاب وكأنه يقصد: «لا أهتم!» لكنه أضاف «صغير تماما. فررت من اليوم الذي ولدت فيه.»

«أعادت «وندي» كلماته: «فررت؟... من اليوم...؟» ثم توقفت لتسأله باستغراب، «ولكن لماذا يا «بيتر» بحق السماء؟ لماذا؟».

«سمعت أبي وأمي يتحدثان،» أجابها وهو غير مغرور هذه المرة، حتى انه لم يكن يضحك. «كانا يتحدثان عن ماذا سأفعله عند ما أكبر، فبدا لي شيئاً مرعباً. لذلك فررت. عشت فترة طويلة مع الجنيات في حدائق «كنسنكتن». أريد أن ابقى كما أنا وأمرح.»

كم يختلف عن اخويها، فكرت «وندي» بهذا! لم يكن «جون» سوى في التاسعة من عمره، لكنه يتحدث دائماً عما سيكون عليه عندما يكبر. انه بالكاد ينتظر! ولا يكاد «ميشيل» يتحمل السنوات الاربع هذه التي يصغر بها «جون». كان دائماً يحاول أن يتقدم عليه. انها لا تستطيع ان تفهم لماذا لا يريد أن يكبر ايضاً، لذلك غيرت موضوع الحديث، وسألته عن الجنيات. انه لم ير شخصاً ابداً، رأى جنية، فعلاً، غير ان «بيتر» يبدو انه يعرف عن الجنيات الشيء الكثير، وانه مل الحديث



عنها. لقد قال انهن قد يكن مزعجات جداً، ولكن لحسن الحظ لم يَبق منهن الا القليل. كانت «وندي» تستذكر أسئلة اضافية ولكنها قبل أن تسأله، كان «بيتر» يفلت منها.

«هناك جنية واحدة لكل ولد حي وفتاة حية،» قال ذلك موضحاً بارتجال، كما لو انه شيء طبيعي ان لكل طفل جنية كما له أم، «لكن الأطفال الأن يعرفون أشياء كثيرة، لدرجة انهم لا يؤمنون بالجنيات. وفي كل مرة يقول فيها طفل، «انا لا اومن بهن!»، تسقط جنية وتموت.»

كان يقفز عندما قال ذلك، ولم يسمع ملاحظة «وندي»، «يالمسكينات الصغيرات!»، التي قالتها برقة ونعومة.

«عندما يضحك اول طفل، لأول مرة،» استمر يقول وهو يثرثر، بلا مبالاة، وكأنه يستذكر قائمة أسماء ملوك انكلترة، مبتدءاً بـ «وليم الفاتح»، ١٠٦٦م، «ان ضحكته تتكسر الى ألاف الأجزاء، وهذه الاجزاء تضل تتظافر، وتلك كانت بداية الجنيات. وعندما يضحك الطفل الأن، لأول مرة، تتحول ضحكته الى جنية، لذا من المفروض أن تكون لكل شخص واحدة.»

ذلك انهى الموضوع بالنسبة له، ونهض ونادى «تنكر بل».

- «لا أدري الى أين ذهبت»، قال مقاطعا، «تنكر بل! تنك!»- «من ذاك؟» سألته «وندي» بلهفة. «من هي «تنكر بل»؟ «بيتر» انها ليست... ليست جنية، أليس كذلك؟»

«انها بالطبع كذلك،» أجاب بنفاذ صبر، «وكان عليها أن تكون هنا. لقد جاءت معي. «تنكر بل»! أين أنت؟».

كان يندفع بسرعة في الغرفة، يطفر فوق الأسرة والكراسي، ثانية، باحثاً عنها. ثم هبط وسأل «وندي» ان كانت تسمع شيئاً.

اسمع نوعاً من الرنين الخافت، في مكان ما،» قالت ذلك وهي تحاول أن تسمع ملىء اذنيها، لتجد الجواب الصحيح، لكنها لم تكن تفهم العلاقة بين ما سمعته والجنيات.

ولفرحتها، حط «بيتر» بجانبها، وهو فرح وصرخ مرح:

«تلك هي؟ تلك «تنك»! اين كانت؟»

«أظن ان الصوت جاء من جرار الخزانة،» قالت

«وندي».

ذلك ما جعله يهدد ضاحكاً. «طبعاً!» صاح عالياً. «ايتها العجوز المسكينة «تنك»! لابد انني اغلقته عليها!»

طار نحو الخزانة، ورفس الجرار بقوة، حيث كان ظله. خرجت نقطة ضوء صغيرة، وقالت شيئاً مزعجاً لـ «بيتر» بدا وكأنه صوت جلجلة حديد قديم في علبة قصدير!

«هنا، ولا داعي ان تستمري كذلك، يا «تنك»!» احتج «بيتر» بنبرة جارحة. «لم أكن أعرف انني اغلقت عليك الجرار. أنا أسف جداً.»

كان انتباه «وندي»، وعيناها واذناها، منصبة على ذلك الضوء القليل الذي كان جنية. وتذكرت «بيتر» وهو يقول: «دعيها تقف ثابتة لحظة واحدة، وستستطيعين ان تريها كما ينبغي.»

«من الصعوبة جعل الجنيات تستقر ثابتة،» قال «بيتر» ذلك، ولكن لكي تبرهن انه كان على خطأ، توقفت «تنك» حالاً في مركز نقطة الضوء.. استمرت واقفة لفترة من الوقت هي بين تكة الساعة والتكة الاخرى! كانت «وندي» مسرورة، وقالت متعجبة كم انها جميلة. وفي الحقيقة، اصبح وجه «تنك» للحظة

اسود اللون، وكبتت غيظها، لكنها كانت صغيرة جدا، لدرجة ان «وندي» لم تستطع رؤية ذلك. غير ان «بيتر» وجد ان ذلك لشيء مضحك.

«اتمنى أن تكون جنيتي،» قالت «وندي».

«هل سمعت ذلك يا «تنك»؟ «سأل «بيتر».. «تقول الفتاة انها تتمنى ان تكوني جنيتها.»

كان الجواب رنين اجراس أخر، غير متناغم.

«انها ليست مؤدبة جداً،» «بيتر» حذر «وندي» بابتسامة عريضة.

«انها تقول انك فتاة هائلة وقبيحة. وعلى اية حال فانها جنيتي أنا.»

وتوقف فجأة ليناقش هذه النقطة. «»تنك»، انت تعرفين انك لا تستطيعين أن تكوني جنيتي. انك مجرد فتاة، وأنا مجرد ولد. للأولاد جنيات من اللأولاد، وللبنات جنيات من البنات.» تلك كانت معلومة ل «وندي».

أجابت «تنك» برنة احتقار صغيرة. فضحك منها «بيتر».

«انها تقول «انت حمار غبي!». قال لـ «وندي». «انها نوع مألوف جداً من الجنيات.»

استمر «بيتر» يخبرها انه لا يعيش في حدائق «كنسنكتن» الآن، ولكن مع «الاولاد المفقودين». انهم الاولاد الذين سقطوا من عرباتهم، عندما لم يكن أحد ينظر، ولم يطالب بهم أباؤهم لمدة سبعة أيام. بعد ذلك تم ارسالهم الى «الارض الخيالية»، حيث «بيتر» هو القائد.

كان يطير حول الحجرة، بينما كان يتكلم، داخل وخارج الوجار، وتحت الأسرة، وعالياً حتى السقف، مستغرباً لكل شيء في الحجرة. كانت «وندي» تحلم مسرورة بكل شيء.

«انه شيء مسلي حتماً!» تنهدت، فانقض «بيتر» نازلا بجانبها، يتفحص وجهها بنظرة ماهرة يمتلكها احيانا.

«انها وحيدة في الغالب،» تشكى لها، وهو يراقبها. «كلهم أولاد، كما ترين. لا بنات.»

لم ترد «وندي» كما كان يأمل.. «حقاً!» قالت متعجبة.

«لا بنات؟ أولاد فقط؟ يااللشيء غير المألوف!»

أجاب «بيتر» بصيحة ظافرة، «البنات ذكيات جداً طبعاً انهن لا يقعن من عرباتهم أبداً!»

أومأت «وندي» برأسها مستسيغة ذلك الاطراء، كما

أراد هو.

«انك تقول الطف الأشياء عن البنات، يا «بيتر»،» قالت له ذلك «جون يبغضنا». ورمقت المكان حولها بسرعة، لتتأكد من ان جون» كان مستغرقاً في النوم.

وكما لو انه قد عرف تواً بوجود «جون» نهض «بيتر» وتجول حول سريره. نظر اليه من على، وتمشى فوق سريره، بحركة قدمين خفيفة جداً، جعلته يتشقلب، وتقع ملابس النوم كلها على الأرض. لم يستيقظ «جون»، بل اضطجع هناك وغطى نفسه ببطانياته.

وهذا ما جعل «وندي» تقف والسخط يملؤها. «أنت لا تجرأ على هذا!» صرخت. «انت لست القائد هنا كما تعرف!» وعلى أية حال، فانها عندما عرفت ان «جون» مازال نائماً، قالت بلين: «أسفة... انت عنيتها من ناحية الشفقة، كما أعرف، فأمنحني قبلة اذا وددت!»

«اظن انك تودعين اعادتها، قبل ان يحين أجلها بوقت طويل»، دمدم «بيتر» حينما اخرج الكشتبان وناوله لها.

لقد نسيت تماما كل شيء عن «القبلة» «الكشتبان»، فاحمرت خجلاً، فقالت لتعالج الامر «أه ياعزيزي.. قصدت كشتبانا وليس قبلة.»

– «ماهذا؟» سأل باقتضاب.

«هذا،» وقبلته على خده.

اعتبرها كما لو انه كان يتذوق حلاوة غريبة. «لطيف،» قال بعد هنيهة «دعيني اجرب.»

امالت «وندي» رأسها، ولكن قبل أن ينحني بما فيه الكفاية ليمنحها «الكشتبان»، زعقت وكأنها أصيبت بألم. «أه! أه من يجر شعري؟» ضحك «بيتر» في نفسه. «انها حتما «تنك». لم أرها تتصرف مثل هذا من قبل.»

كانت «تنك» تقذف نفسها بقوة، بتصرف يثير الاستغراب، وهي تصنع اشكالاً خشنة بضوئها، واجراسها ترن رنيناً وحشياً. انفجر «بيتر» ضاحكاً، وهو مسرور كثيراً.

«انها مهتاجة جداً،» قال ل– «وندي»، «وانها تقول انها ستفعل الشيء نفسه، كلما وهبتك كشتباناً.»

«لا أعرف لماذا،» أجابت «وندي» بنزق.

تكلف «بيتر» الابتسامة، ونادي: «لماذا يا «تنك»؟». كان جواب «تنك» قصيراً.

«انها تقول» حمار غبي!»، فسر لها «بيتر»، ولم تستفهم منه «وندي» من هو الحمار الغبي. انها تفهم احسن مما هو يفهم. لقد كانت «تنك» تغار، و «وندي»

تحب ذلك.

ثم أخبرها «بيتر» كيف انه اعتاد على المجيء إلى نافذة حجرة نومهم، عندما كانت السيدة «دارلنك» تحكي لهم القصص، وكانت «وندي» تبتسم بابتهاج وهي تفكر في تلك الاوقات السعيدة، والفكرة الغريبة في ان أي واحد يستطيع ان يصغي من خلال الزجاج.

«انه شيء حالم يا «بيتر»!» تنهدت قائلة. «هل جئت لتراني؟» وكاد أن يقول «حمارة غبية»، لكنه قالها بنبرة جوابه،» لا، وانما لسماع القصص طبعاً. أنا لا أعرف أية قصص، ولا أي ولد من الأولاد المفقودين.»

«أظن ان ذلك شيء أحترق؟» قالت «وندي» ذلك وقد اصيبت بصدمة كان «بيتر يتحاشى اي شيء فيه مصلحة لنفسه، ولذلك سألها الآن بدهاء: هل تعرفين لماذا تبني السنونوات أعشاشها في أفاريز البيوت؟ حسن، سأخبرك. انها تريد أن تسمع القصص أيضاً، ثم تطير بعيداً ألاف الكيلومترات، وتحكيها لكل الطيور التي لم تقدم لهذا البلد. أمك كانت تحكي قصة محببة في اليوم الاخر، يا «وندي». أود ان أعرف نهايتها.»

اية واحدة؟» سألته بتوق. «عند أي شيء كانت؟» «عن أمير وشبشب زجاجي،» قال لها ذلك. «انه لم

يستطع أن يجد الفتاة صاحبة الشبشب.».

«انها سندريلا»! «صرخت «وندي»، وهي مسرورة. أوه.. كم أحب قصة «سندريلا»! لقد عثر عليها الأمير في النهاية، كما تعرف، وكانت مثيرة جداً عندما راح يبحث عنها في المملكة، يجرب فردة الحذاء على...» لكن «بيتر» كان قد غادرها، وطار من النافذة المفتوحة، فصرخت: ««بيتر»! عد! لم انته. ماذا حدث؟ الى اين أنت ذاهب؟»

«لا أجعل الاولاد يعرفون نهاية القصة، طبعاً.» أجابها، لكنه وقف على رف النافذة.

«لا تذهب الان،» توسلت اليه. «أنا اعرف المزيد من القصص كم أحب أن أحكيها للأولاد!»

نزل الى الأرض، ونظر اليها بعينين براقتين جداً، ولكن بغرابة نوعاً ما. فجاءته فكرة مدهشة. وبعض افكاره غريبة أحياناً حقاً. طار نحوها فجأة، وامسكها من كتفيها، ودفعها نحو النافذة. كانت «وندي» خائفة.

«دعني أذهب! «صرخت. «دعني أذهب يا «بيتر» ! كيف تجرأ ان تتصرف هكذا؟ دعني أذهب، أقول لك!»

توقف عن سحبها، لكنه لم يدعها تذهب. «تعالي معي.» حثها قائلا. «تعالي واحكي القصص للأولاد

الاخرين».

ورغم انها كانت تسحب نفسها بعيداً عنه، فانها بدأت تبتسم. كان شيئاً لطيفاً أن يطلب منها ذلك. شيء لطيف ان تذهب، ألا لماماً. تركها «بيتر» لتعود، فخطت إلى الوراء.

«أحب أن أذهب يا «بيتر».» قالت له، «لكنني لا أستطيع كما تعرف. أنا حقيقة لا أستطيع. لا استطيع أن أترك ماما و «جون» و «ميشيل». اضافة الى ذلك، أنا لا استطيع الطيران مثلك يا «بيتر»».

كانت حائرة بين مشهد الذهاب البهيج والشعور الخاص بالرفض.

«أوه.. سأعلمك الطيران.» وعدها «بيتر» بسهولة. «هذا لاشيء». تألقت عينا «وندي» وضمت يديها أمامها. «صحيح يا «بيتر»؟؟ حقاً ياللشيء المثير!»

أصبح «بيتر» فخوراً جداً، ونصب قامته ليبدو طويلاً جداً.

«سأعلمك الطيران طبعاً!» اخبرها بذلك. «سأريك كيف تقفزين على ظهر الريح، ومن ثم – وووييييي نطير بعيداً.»

لم تستطع «وندي» أن تجد الكلمات المناسبة لتقول كم

انه شيء مثير. قال لها «بيتر»:

«فكري، وانت نائمة في سريرك الاحمق، طوال هذه الساعات، تستطيعين أن تطيري معي في السماء، تقولين مرحباً الى النجوم....و ...» تردد وكأنه غير قادر على الاختيار بين الاشياء المثيرة التي منحها لها استمرت «وندي «تتمتم وهي مقطوعة النفس: «أوه!» و «أه!» وبعد لحظة، سمعته يقول: «وحوريات البحر....».

ذلك أوصلها للذروة. «حوريات البحر!» رددت وراءه وعيناها تلمعان. «حوريات بحر حقيقيات من ذوات الذيل....؟».

«حوريات بحر حقيقيات لهن ذيل طويل»، وعدها «بيتر».

«أوه.. كم أحب مشاهدة حورية بحر حقيقية!» صاحت «وندي» بنفاد صبر.

ارتدى «بيتر» لبوس المخادع ثانية. «يتوجب علينا جميعاً أن ننظر اليك برهبة، اذا جئت طبعاً!»

لقد أغريت حقاً، وارتبكت كما لو ان قدميها لم تعد تحملانها، بينما كان رأسها يحاول أن يحمل ظهرها.

«تستطيعين أن تغطينا ليلاً،» أضاف، وهو يراقبها. «اننا وحيدون يا «وندي»، ونحن نحب ذلك.».

صدرت عنها أنة قليلة. كان يظهر لها الصعوبة المرعبة في ذلك.

«لا أحد منا يستطيع أن يتذكر ان احداً قد غطاه في الليل،» استمر «بيتر» يقول. «أوه، تستطيعين أن ترتقي ملابسنا، وتصنعي لنا جيوباً. ليس للكثير منا جيوب.»

أومأت «وندي» برأسها، ثم أومأت. ثم طرحت شكوكها جانباً، وقالت: «بالطبع انه شيء مثير الى حد مرعب، يا «بيتر». ولكن ماذا بشأن «جون» و «ميشيل»؟ هل تعلمها الطيران ايضاً؟ فيصبح بامكانهما المجيء معنا.»

«كما تحبين.» وافق «بيتر» من غير مبالاة. انه لم يكن يهتم إذا حضر أم لا.

أسرعت «وندي» نحو سريري الولدين، وصاحت: «انهضا انهضا! يوجد هنا ولد سيعلمنا الطيران.»

«في هذه الحال، سأنهض.» قال «جون» وهو يجلس، واكتشف انه كان على الأرض. «مرحباً.. استيقظت. هذا شيء غريب.» وقف على قدميه، ورفع بعناية ملابس نومه ثانية، ووضعها على السرير.

استيقظ «ميشيل» أيضاً، وغادر سريره في نفس اللحظة، ينظر بحدة مثل سكين ذات ستة انصال ومنشار.»

وفجأة طلب «بيتر» منهم أن يصمتوا، وراحوا يصغون وأنفاسهم مقطوعة، خشية ان يكون أمرهم قد اكتشف، ثم توقفوا.

ونوعا ما، لم يستطع أحد أن يلاحظ تذمر «نانا» التي دأبت عليه منذ أن أنزلت الى الطابق الاسفل، ولا حتى نباحها الحاد احتجاجاً على وضعها تحت امرة «ليزا».. لقد كان فوق قدرتها على الاحتمال. والان توقفت وحدثها فجأة، وساد صمت انذّر «بيتر» بالخطر. في اللحظة التالية سمعوا حركات على السلم، وصاح «جون» في همس: «اسرعوا بالاختباء»، وهو يطفيء الضوء، وانسل في سريره. أما «بيتر»، فقد طوى ستارة حول نفسه، فاختفى عن البصر تماماً، بينما انسلت «وندي» و «ميشيل» الى الحمام.

ولهنيهة بدت الحجرة مظلمة، وبعدها غمرها ضوء القمر، ينساب من النافذة. كان «جون» يسمع «نانا» تسابق «ليزا»، لأن تصعد، وهي تلهث راكضة، بأسرع ما تستطيع. ثم فتحت الباب، وانقضت «نانا» الى الداخل، تاركة «ليزا» وراءها. كانت الخادمة الصغيرة ناقمة تماماً، وكأنها لم تكن تملك يدين لأعادة «نانا»، وانما لتصفعها بقوة.

قالت وهي تلهث: «هناك.. ايها الحيوان المرتاب، انت! انهم في أمان تماما، أليس كذلك؟ كل واحد من هؤلاء الملائكة يبدو نائماً. اصغي اليهم!»

رفعت «نانا» رأسها وتشممت. ثم تشممت مرة ثانية. كانت متأكدة ان شيئاً مريباً يحدث، متأكدة من حضور غرباء، لكنها لم تستطع شم رائحتهم زمجرت قلقة، محتارة غير مقتنعة.

انها لم تكن تعرف ان «بيتر بان» لا يملك رائحة مثل باقي البشر.

«هذا يكفي!» قالت «ليزا» في صوتها المهين الاجش. «ليس أكثر من هذا فكرتك هذه حرمتني من حلواي وجلبتني الى هرائك وكل هذا يحدث بسبب لاشيء. انبحي ثانية – مرة واحدة فقط! – وسأتجه مباشرة إلى الشارع واحضر السيد اليك. وستأسفين على ذلك وسترين. كم سيكون قاسياً! والان اذهبي من حيث اتيت، ايتها الكلبة السيئة!»

أبعدت «نانا» المسكينة، محتجة بوهن.

صفقت باب حجرة نوم الأطفال بقوة، خلفهم، وسمع الأطفال صوت «ليزا الموبخ، واحتجاجات «نانا» طوال طريق العودة الى المطبخ.

جاء «بيتر» من خلف الستارة، وتجمع الأطفال حوله.

«أسألك...» قال «جون»، «هل تستطيع أن تطير حقاً؟»

نظر اليه «بيتر» نظرة متغطرسة، وطار الى أبعد زاوية في السقف صرخ «جون»: «رائع!».

«أليس هو جميلاً؟» قالت «وندي» بتودد.

«أه صحيح.. أنا جميل.. أليس كذلك؟» قال «بيتر». «أنا جميل!»

لقد جعل الطيران يبدو سهلاً جداً، لدرجة ان «جون» و «ميشيل» قفزا من سريرهما، وهما متأكدان انهما يستطيعان أن يفعلا الشيء نفسه، لكنهما سقطا على الأرض. وبعد عدة محاولات، نظر «جون» إلى «بيتر» مستفسراً عن كيفية ذلك!

«عليك أن تفكر في النوع الصحيح من الافكار» قال «بيتر»، وسترفعك عالياً في الجو».

«أنت نشيط جداً،» قال «جون»، «لا أستطيع أن أرى ما تفعله. هل تستطيع ان تعمل ببطء، لمرة واحدة؟»

«بالتأكيد» قال «بيتر» ذلك، وطار ببطء فوق

الكرسي الكبير القريب من النار.

«اظن انني عرفت الأن،» قال «جون»، لكنه لم يكن يعرف، فقد سقط على الأرض عندما وقف على السرير.

«أراهن على انني اعرف اكثر منه»، قال «جون» مع نفسه، «ولكن لماذا لا أستطيع أن أفعلها؟»

يعرف «بيتر» جيداً تماماً، ان الأطفال العاديين لا يستطيعون الطيران، بمجرد أن يقفزوا عالياً من أماكنهم. انهم سيسقطون على الأرض، ويؤذون أنفسهم.

كان يتسلى بهذه المزحة، لكنه بعد لحظة اعترف بالحاجة الى شيء أخر، وذهب من واحد الى أخر يمسح شيئاً فوق أكتافهم.

«غبار الجنيات» قال «بيتر» «حاولوا الان. انهضوا من السرير، وانفضوا أكتافكم، ودعونا نذهب».

فعلوا ما قاله. نهض «ميشيل» أولاً، وبقي ثابتاً في الهواء، يرفس بقوة، وهو يخفق بذراعيه. ثم جاء بعده «جون»، وظل هناك ايضاً، ولأن ذراعيه وساقيه كانت أطول، فانه بدا مضحكاً أكثر من «ميشيل» وهو يرفس ويخفق وبثقة في النفس عظيمة، نفضت «وندي» كتفيها وطارت طيراناً بهياً قصيراً، إلى الخزانة.

كان «ميشيل» يصيح، وهو يضرب الهواء: «لقد

طرق! أترى ذلك يا جون»؟ لقد طرت؟» وكان «جون» يصيح: «انظر نحوي، ياميشيل.. انظرني!»

حتى «وندي» كانت تقول: «انظروني!» في صوت ناعم هادىء، عندما طفت في الغرفة، من غير ان ترفس وتخفق بذراعيها. بدأ «جون» يجري تجارب، فوجد انه يستطيع ان يطير إلى الوراء، فاستثار جداً، واراد مكاناً أوسع من حجرتهم.

«أسألكم، لماذا لا نخرج؟»، نادى الاخرين. ذلك ما كان «بيتر» ينتظره. انه يرى «وندي» كانت ماتزال غير متأكدة حول الذهاب معه لذلك تمتم لـ «جون» كي يسمعه. «سيكون هناك قراصنة، بالطبع.» ثم طار ليلتقط قبعة عالية، وضغطها على رأسه بصلابة، وقال: «أنا جاهز».

«أنا أيضاً،» صاح «ميشيل»، «أنا قادم».

نادى «بيتر» على «تنك»، التي كانت تبدو ممانعة، واصدرت صوتاً غريبا حزيناً من جرسها. مد «بيتر» يده لـ «وندي»، وقادها الى خارج النافذة. وبجانبها كان الولدان يرفسان بحيوية مفعمة، عندما خلقا في الهواء.

وخلال هذه الاثارة في تعلم الطيران، لم يستطع «جون» و «ميشيل» أن يصمتا، فوصلت ضجتهما إلى

المطبخ، فجلبتا نباحا حداً جداً من «نانا». و «ليزا» نفسها أحدثت ضجة لا بأس بها عندما كانت تفرم وتشحم المخباز، فلذلك لم تسمع شيئاً لتوضح سر تذمر «نانا». وعندما انتهت «ليزا» من الفرم، وذهبت إلى مخزن حفظ الاطعمة لتحضر زبيباً، تذكرت فجأة الحال التي كانت فيها الكلبة.

«هذا شيء حسن اذن،» قالت مستسلمة، «تعالي معي، واذا لم يكن هناك شيء خاطيء – حسن. سيخدمك تماما. دعينا نذهب لنحضر السيد. وسوف لن اخبره مما فعلته! لاراحة بال لدقيقة واحدة، منذ ذهابهما!»

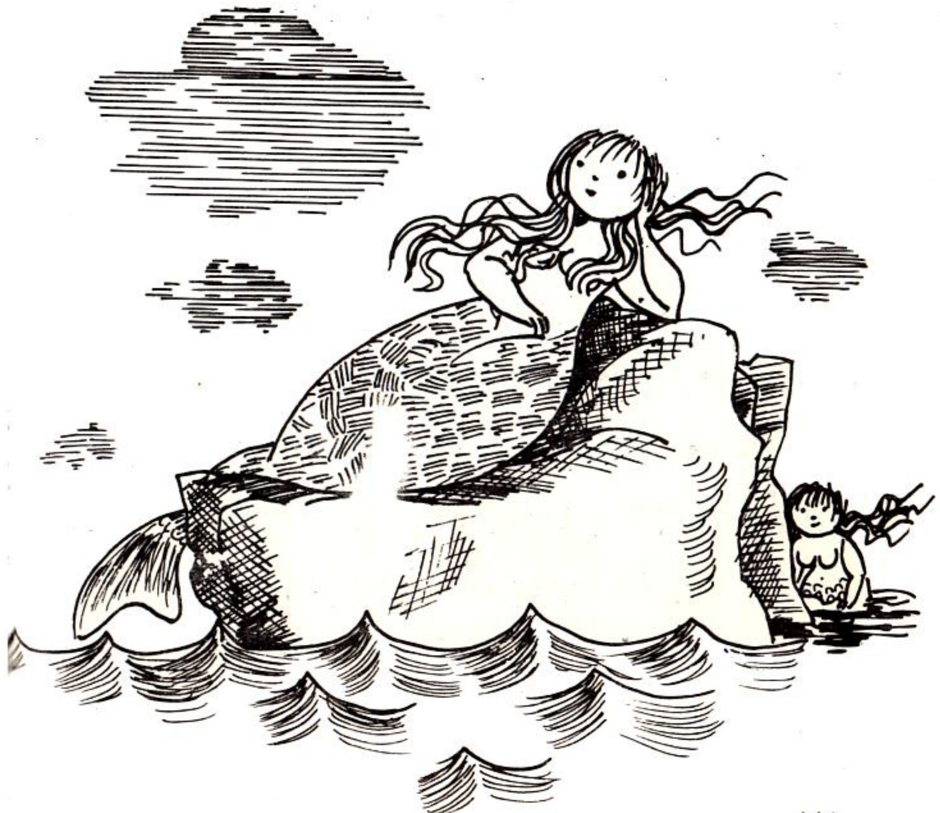
دفعت «نانا» نحو الباب الأمامية، على الرغم من الجهود التي بذلتها ذراعا «ليزا» اللتان كانتا ممزقتين تقريباً من مفصليهما. ذهب الى الخارج في الشارع.

واذا لم يكونا قد لوحظا من قبل نجمة صغيرة، كانت صديقة ل «بيتر»، فكان من الممكن ان يعود السيد و السيدة «دارلنك» الى البيت في الوقت المحدد، ولم يكن باستطاعة «وندي» وأخويها ان يزوروا «الأرض المثالية».

لكن النجمة الصغيرة قالت: «انسحبوا»، فطار «بيتر» والاطفال الى حافات الاشجار، في نفس اللحظة

التي اسرع فيها الابوان الى البيت. خطا «جورج» نحو الأمام اولاً، لكن السيدة «دارلنك» هي التي لاحظت ان الستارة تخفق في الهواء. ثم عرفت ان شيئاً خاطئاً جداً يحدث.

اندفعا إلى الداخل، وكان «جورج» يمسك بسلسلة «نانا»، وعندما وصلا إلى حجرة نوم الأطفال، وجدا الأسرة من غير الأطفال... والاضوية مطفأة.. والنافذة مفتوحة.. ولا شيء أخر.



الفصل الثالث

الثاني الى اليمين
وطيران خف الصباح

لم تكن مجرد رحلة فوق حدائق «كنسنكتن»، تلك التي أخذ بها «بيتر»، الاطفال الثلاثة، في تلك الليلة، ولكن رحلة باتجاه «الأرض الخيالية»، وبدا شعاره اقل جنوناً، حينما ارتفعوا في الهواء.

وعلى اية حال، فان «بيتر» لم يقصد اي شيء بشعاره هذا. لقد قاله ليستشير «وندي» فقط. ولحسن الحظ، فان «جون» و «ميشيل» كانا منهمكين في التدريب على طيرانهما، فلم يقلقا الى أين يذهبان. لقد كانت الرحلة بالنسبة لهما لعبة باهرة. «وندي» كانت الوحيدة التي قلقت. لقد كانت قلقة تتساءل من اين ستأتي وجبة طعامهم القادمة، ماذا سيحدث لو شعروا بالنعاس، او شعر «ميشيل» بالتعب.

لقد فعلوا جميعا ماطلبه «بيتر» حول كيفية أن يبدأوا، بالرغم من ان «جون» اعترف بانه يعرف الشيء الكثير عن الطيران. وعندما تعلم هو و «ميشيل» طريقة الطيران، ظلا يحلقان بنفسيهما، وحصلا على بعض النتائج، ودارا حول قمم الاشجار، وحتى على قمم الجبال، ونزلا الى البيوت،



ثم توقفا، وعادا يصعدان الى اعلى بسرعة، ثانية. أراد «ميشيل» أن يتسابق، وكان «جون» يرغب في ذلك أيضا، ولكن عندما أريد ان تعطى بداية الانطلاق لـ «ميشيل»، لم يجدا أي شيء ثابت يبدءان منه. لقد ظهر واضحا انه لاتوجد في السماء علامات أرضية، فتركا تلك الفكرة.

لقد ظلوا يطيرون. طاروا فوق البحار وفوق الجبال. كان الجو أحياناً حاراً، وأحياناً بارداً. وكان الضياء يعم مرة، والظلام يعم مرة أخرى. ولكن نوعاً ما لم يعد الليل والظلام يؤخذان بالحسبان. شعروا بالجوع، وعندما ناح «ميشيل» طلباً لفطوره، انقض «بيتر» مفتخراً، الى الاسفل نحو بعض الطيور التي تحمل كسرات خبز في مناقيرها، واختطفها منها، والقمها في فم «جون» وفم «ميشيل». وقد أقحم أيضاً قطعة في فم «وندي»، وسرعان ماكان بعيداً عن سماع صوتها، عند مانادته، «يالها من طريقة لتقديم الفطور!».

أتعس اللحظات حدثت عندما شعروا بالنعاس، لأن ذلك كان خطراً. وفي اللحظة التي غفوا فيها، بدأوا يهبطون. فقد «ميشيل» الأمل، واستمر يومئ برأسه وفي كل مرة يسيطر عليه النوم، كان ينزل الى اسفل. كانت

«وندي» تصاب بالسعر، عندما تراه يهبط وتصرخ في وجه «بيتر» : «انقذه ! انقذه !»

لقد وجد «بيتر» في ذلك شيئا مسليا جداً، واهدر لحظات وهو يهدر في الضحك، عندما كان «ميشيل» يهبط، ويكاد يختفي عن البصر، ثم يندفع نحوه بعنف. استلطف «جون» ذلك، وأحب الطريقة التي يجرف بها «بيتر» «ميشيل» ويعيده. ولكن لم يوقظ «ميشيل» أي شيء. واحضاره اصبح لعبة رائعة جديدة لـ «بيتر»، الذي كان يتركه لاخر لحظة، ثم يندفع نحوه وهو يشهق، مثل مهرج السيرك : «لقد ذهب هناك مرة ثانية!».

لقد كان ذلك يحطم أعصاب «وندي». لقد تحملته بقدر ماكانت تستطيع، ثم اعترضت عليه :

«انه ليس شيئا يستوجب الضحك عليه،» قالت ببرود. «لربما يقتل.»

«لكنه لم يقتل،» أجاب «بيتر» بانشراح. «مسكته. أنا أمسكه دائماً. أوه... انه ذكائي!» ثم صاح صياحاً يمزق طبلة الأذن : «كوكو كيكو!»

لم يكن «جون» يقدر على تحمل ذلك الصياح، فبدأ يفقد أعصابه، وتمتم شيئاً لـ «وندي» عن تباهيه.

«ولكن على أية حال، حاول ان تكون مؤدباً معه،»

همست «وندي» بشوق. «لانستطيع أن نتدبر أمرنا من غيره هنا، كما تعرف.»

«خبريه اذن للتوقف عن ذلك،» غمغم «جون» مع نفسه، وهو يظن انه يستطيع أن يتدبر أمره على أحسن تدبير، أفضل من «بيتر»، حتى هنا في الأعالي.

اقترح عليهم «بيتر» أن يلعبوا لعبة «تعقبوا قائدي»، ولأنه كان هو القائد طوال الوقت، فقد ظل كل واحد مستيقظاً. لقد قادهم نحو الاسفل، فوق سطح البحر، ليريهم مجموعة من أسماك القرش، تتشمس، ويمسك بذيل كل قرش، بينما كان يطير قريباً منه. كان هناك العديد من تلك الاسماك. كانت تبدو قليلاً، مثل «جون» وهو يرمي طوقه بمحاذاة درابزون البيت. لقد أراد «جون» بشوق أن يدحر «بيتر» في هذه اللعبة، لكنه أصيب بالجنون، لأنه لم يستطع البقاء معه. ومما زاد الطين بلة، ان «بيتر» كان يراقبه، من فوق كتفه، ليرى كم ذيلاً قد أخطأ. وكان عليه أن يذكر نفسه، انه ليس الكثير من الأولاد في المدرسة يفخرون بانهم أمسكوا باصبعهم، وفي وسط المحيط، حتى ذيلاً واحداً من ذيول القرش.

في احدى المرات، سارع «بيتر» نحو عقاب كان يحمل في منقاره قطعة لحم، وقد اختفى عن البصر بسرعة لدرجة

ان اطفال «دارلنك» لم يستطيعوا تعقبه. لقد جعل هذا «وندي» تتخوف فجأة، بانه قد لايعود، أبداً.

«ماذا سنفعل إذن؟» سألت «جون».

«نعود إلى البيت.. أليس كذلك؟» قال «ميشيل» ذلك ببسالة.

«لاأستطيع معرفة طريق البيت من دونه، «قالت «وندي»، «اتستطيع أنت؟».

«علينا ان نستمر في طيراننا اذن،» قال «جون» مبتهجاً.

«أظن انه يتوجب علينا أن نفعل ذلك.» وافقت «وندي» بتنهدة مضطربة، «لأننا لانعرف كيف نقف. لم يرينا «بيتر» كيف نفعل ذلك.»

لكن هذا لم يكن شيئا بالنسبة لـ «جون»، وحاول في الحال أن يتوقف عن الطيران، لكن «وندي» كانت على حق تماماً. لم يكن يعرف ذلك.

«لاتجرب ذلك ونحن في هذا الارتفاع،» تضرعت اليه، خائفة من انه قد يفقد رقية السحر، وينزل محطماً الى الارض.

«حسن.. الأرض مدورة،» ذكرها «جون» بذلك، «سنعود الى «لندن» في وقت من الاوقات، اذا ظللنا نطير

على هذه الحال.»

«سنموت جوعاً من غير «بيتر»،» قالت «وندي»، لكن «جون» فكر في انه اصبح ماهراً في خطف الطعام من الطيور.

رفعت «وندي» رأسها بحركة مفاجئة، وقالت: «رأيتك تنجح مرة، بعد عشرين محاولة.»

ماكان على الولدين الا أن يستمرا في طيرانهما بنفسيهما، وذهب «ميشيل» نحو ثغرة في سحابة صغيرة. لم يقدروا على تجنب السحاب. نوعاً ما، بالرغم من ان الجو هناك كان بارداً ورطباً لدرجة مرعبة.

ويبدو ان «بيتر» ظل بعيداً لوقت أطول وأطول، بعد ذلك، ولم يقل شيئا عن المكان الذي كان فيه أبداً، عندما عاد. وهو حتى لم يفكر في الاعتذار لـ «وندي» لأنه تركها وحيدة. كانت خائفة لدرجة كبيرة خشية انه قد بدأ يشعر بالتعب من صحبتهم. وشاهدته أكثر من مرة وهو يطير وكأنه لايعرفهم.

«لاأشعر اننا نستطيع أن نثق به، بعد الان،» قالت لـ «جون».

وفي يوم من الايام، عاد «بيتر»، وبيديه حراشف حورية بحر، يضحك مع نفسه، وهو ينظر مبتهجاً نحو شيء

ما .

«لقد وعدتني بأن تريني حورية.» قالت له «وندي» مذكرة اياه.

«أقلت أنا هذا؟» قال ذلك، «أوه، نعم، سأفعل ذلك في وقت ما.» «لقد نسيتنا طوال نصف الوقت الان»، اخبرته .

«غني اذن، كلما رأيتني لاأتوقف.. واستمري حتى اجيبك.. هل ستفعلين ذلك؟».

وقد بقي معهم فترة قصيرة. فيما بعد، لكنه علمهم كيف يتكئون على الريح، ويجعلونها تحملهم. وعندما تعلموا ذلك، أخبرهم بأنهم يستطيعون النوم باطمئنان فوق الريح. قد يجوز ذلك، فكرت «وندي»، ولكن عندما يغطون في النوم، ماذا سيفعل هو؟ قد يبتعد بسهولة ولايعود أبداً .

وسرعان ماشاهد «بيتر» «الأرض الخيالية»، مضطجعة اسفلهم، يميناً، وانتحل صوت القائد، ونادى : «الجميع جاهز للنزول الى اليابسة!»

طاروا باتجاهه وهم يسألون بتوق :

«أين؟ أين؟».

أشار نحو الاسفل – وقال : «انظروا، الى حيث

السهام مصوبة.».

حدق «جون»، و «وندي» و «ميشيل» نحو الخطوط التي صنعتها الاف السهام الذهبية النازلة من الشمس، تستريح على الأرض. ولسرورهم ودهشتهم، وبينما كانت عيونهم تطوف عليها، تعرفوا على واحد من أحب الأماكن المفضلة لديهم؟ مشهد يذكر في العديد من القصص حول تحطم سفينة، وكنز مدفون، والعديد من اللعب الموجودة في بيتهم. انهم يعرفونها كما يعرفون ظهر أيديهم، وبعد سفرتهم الطويلة، فان ذلك المشهد مثل العودة الى البيت في عطل، بعد فصل دراسي طويل جداً .

حاموا حولها لفترة من الوقت، يبحثون عن الشواطئ المناسبة والنهيرات والغابات .

«انظر يا «جون»،» صاحت «وندي». «هناك الهور!»

وفي نفس الوقت، كان «جون» يقول لها : «انظري لسلاحف وهي تدفن بيضها في الرمل.»

«أستطيع ان أرى نحامك بساقه المكسورة، يا جون»، » قال «ميشيل».

سألت «وندي» : «ماهو الشيئ الذي في الأجمة؟».

وضع «جون» يده على عينيه ليحجب عنهما أشعة

الشمس، وقال : «انها – نعم.. ذئبة مع دغافلها.. واظن ان هذه الدغافل هي العائدة لك يا «وندي».. اتذكرين؟».

«استطيع أن أرى زورقي»، قال «ميشيل» بسرعة، «انظر يا «جون»، مع الموقد الموجود في جانبه.»

«لايمكن ان يكون هو،» أجاب «جون» من غير أن ينظر. «لقد أحرقنا زورقك».

«انه هو،» أصر «ميشيل» على ذلك، «وأقول انني استطيع مشاهدة الدخان المنبعث من مخيم الهنود الحمر».

«أوه.. أين؟» سأل «جون» بتوق، أرني ذلك، وسأخبرك فيما اذا كانوا في طريقهم للحرب، عن طريق حلقات الدخان المرتفعة».

أشار «ميشيل» : «هناك، عبر «النهر الغامض».».

«صحيح.. انهم في طريقهم للحرب.» قال «جون».

لم يكن هذا يسر «بيتر»، وهو يسمعهما يتحدثان عن املاكه الخاصة، بهذه الطريقة الشائعة، وكأنها تابعة لهما. ولكن السهام الذهبية بدأت تخفت، وشعر بان «جون» نفسه سوف لن يشعر بنصف هذه البهجة، عندما تظلم الجزيرة، وتتجمع الظلال أسفل الأشجار. كان مسروراً بذلك. وكان متأكداً تماماً، عندما يختفي الضوء، فسيخلد

الثلاثة الى الصمت .

لم تكن هذه أول مرة، شاهدوا الجزيرة وهي تظلم، مثل هذا، وخصوصاً في وقت النوم، حينما كانت تنتشر المناطق غير المكتشفة، بينما كانت الظلال السود تتحرك خلسة حولهم، والوحوش البرية تزأر عندما شاهدت طريدتها. وحتى عندما كانوا يشعرون بالأمان، وهم في حجرة نومهم، في البيت، كانوا يشعرون بالقشعريرة، لكنهم سعيدين بوجود «نانا»، ليذكرهم بذلك، متى ماحدث أي شيء، انهم سيربحون في النهاية .

والان، وهم يطرفون فوق جزيرة «بيتر»، ان احد الاشياء التي كانوا يتظاهرون بتصديقها، قد أصبح حقيقة ملموسة. انها جزيرة حقيقية، وهم يطيرون باتجاهها ليهبطوا عليها. سيسيرون خلال أجماتها في الظلام، ولربما سينامون في العراء، حيث الوحوض البرية تزأر.

اقتربوا جميعاً من «بيتر»، حتى «جون» نفسه. حتى مزاجه الخالي من الهموم، قد ولى، وبالرغم من ان عينيه كانتا تلمعان، الا انه لم يقصد الاساءة. تأكدت «وندي» الان، انه يجب الوثوق به .

لقد كانوا يطيرون على ارتفاع منخفض فوق الجزيرة، لدرجة ان أرجلهم كانت تلمس فعلاً اعالي شجرة،

ورغم ذلك ابدا انهم غير قادرين على الهبوط. لم يتقدموا الان، على الرغم من ان «بيتر» كان يعمل جاداً بغموض. كانوا يشعرون وكان شيئاً مايدفعهم الى الخلف. لقد كانوا يحومون على الهواء، ويضربه «بيتر» برسغيه، بغضب. وسمعته «وندي» وهو يدمدم : «انهم لايريدوننا أن نهبط». «من هم الذين لايريدون، يا «بيتر»؟ سألته «وندي»، لكنها لم تحصل على جواب. أيقظ «تنكربل»، التي كانت نائمة على كتفه حتى تلك اللحظة، وأرسلها قدامه.

وقد بدا لـ «وندي» انه شجاع الى حد كبير، شجاع لدرجة جعلتها ترتجف. كان يصغي بتركيز ويحدق نحو الاسفل بعينين براقتين جداً، كما لو انه يستطيع تحمل أي شيء معهم. وفجأة تحدث مع «جون» بغير مبالاة : «اترغب في المخاطرة الان؟» سأله، «أم بعد تناول الشاي؟».

أجاب «وندي» بسرعة : «الشاي أولاً». انها لم تكن تريد أن يتورط «جون» في أي شيء يعرضه للخطر. تقدم «ميشيل» نحوها شيئا فشيئاً، ولم يرد «جون» معارضتها، ولكنه سأل، بعد توقف، بشوق :

«اي نوع من المخاطرة؟».

لم تنقطع عينا «بيتر» عن البحث في الارض، فاجاب بصوت خافت :

«هناك قرصان ينام في السهول المعشوشبة مترامية الاطراف، التي تقع تحتنا مباشرة. اذا رغبت فسننزل اليه ونقتله».

وبعد وقت طويل، قال «جون» : «لاأستطيع أن أراه».

هناك،» قال «بيتر» بحدة، وهو يؤشر بيده.

«واذا افترضنا انه استيقظ؟» سأل «جون» بصوت أبح..

نظر اليه «بيتر» نظرة ازدراء.

«لاتفترض انني سأقتله وهو نائم.. أهذا ماتظن؟ سأوقظه أولا، بالطبع. هذا ماأفعله دائما».

لكن «جون» ظل مترددا. انه لم يكن متأكدا أبداً الى أي مدى سيظل يثق بـ «بيتر».

«هل قتلت العديدين؟» سأله بريبة.

«الالاف!» أجاب «بيتر» – على الفور.

«أوه!» كانت نبرة «جون» تدل على الاعجاب – لكنه تأكد الان ان «بيتر» لم يقتل قرصانا أبداً – «دعنا نشرب الشاي أولاً. هل يوجد العديد من القراصنة، في

الجزيرة؟».

قال «بيتر» انه لايعرف العديد منهم، فسأله «جون» عن مكان قائدهم الان. «هوك،» قال «بيتر»، وعند ذكر الاسم، اظلم وجهه، وأصبح صارماً. «جاس هوك؟» تساءل «جون».

«نعم.. نفسه.» وافق «بيتر».

انهم جميعا يعرفون سمعة «هوك» السيئة الشريرة.

«انه حفيد «اللحية السوداء»، » قال «بيتر» في نبرة خافتة. «الرجل الوحيد الذي كان يخشاه «باربكيو» العجوز — وانت تعرف من كان «باربكيو» العجوز.. أليس كذلك؟».

بحث «جون» في ذاكرته، واستذكر الاسم ببطء.

«اه.. نعم،» قال كذلك. «باربكيو» العجوز،» طبعا. «جون سلفر» الطويل، الذي كان اسمه الاخر «باربكيو» ماذا يشبه «هوك» الان؟

ضحك «بيتر» ضحكة نصف مكتومة، بصورة غير متوقعة. «ليس كبيرا كما كان!».

— «ماذا تقصد؟».

«اقتطعت جزء منه،» قال «بيتر» متفاخراً.

كانت هناك لحظة توقف، قبل أن يقول «جون»

بدقة: «انت اقتطعت جزء من «هوك»؟».

— «نعم، أنا،» قال «بيتر» بحدة.

«حسن، أي جزء؟».

«يده اليسرى، فقط،» قال «بيتر»..

«اه... انه لن يستطيع القتال بعد الان».

«اوه.. هل يستطيع؟ انتظر وسترى، وهذا كل شيء!».

«يده اليسرى؟» بدا «جون» وكأنه يحاكم «بيتر» الذي نظر اليه بازدراء، وأجاب: «له خطاف حديد، عوضا عن يده. انه مفيد جدا. انه يخرش به».

صمت «جون»، وبعد لحظة استمر «بيتر» قائلاً: «اخبرتك يا «جون» انني عندما اتحدث معك، فقل «نعم نعم، ياسيدي.»، هل ستفعل ذلك؟ أنا القائد، تذكر ذلك، والجميع سيفعل ذلك.».

انقلب لون وجه «جون» الى أحمر ناري، لكنه دمدم قائلاً: «حسن.. أقصد نعم نعم، ياسيدي».

«وكل ولد يقع تحت امرتي، يجب ان يعطيني عهدا.» أضاف «بيتر»، «وأنت أيضاً يجب أن تفعل ذلك».

نظر اليه «جون» بارتياب، لكن «بيتر» استمر يختال من غير مبالاة. «كل ماأريده، اننا اذا لقينا «هوك» في العراء — انت وكل ولد اخر — عليكم أن تتركوه لي»..

«أوه.. هذا شيئ حسن». وافقه «جون»، «سأعدك بهذا، أقصد نعم نعم، ياسيدي».

عادت «تنكر بل» تترنح حولها وتدخل وتخرج، لأنها كانت تطير أسرع بكثير منهم. لقد أرادت ان تفعل شيئا طيباً لتبقى بالقرب منهم.

«تقول «تنك» ان القراصنة شاهدونا قبل حلول الظلام،» اعلم «بيتر» الاخرين، «فأخرجوا «توم الطويل».

«المندفع الكبير!» همس «ميشيل» بعصبية، وحتى «وندي» عرفت ان ضوء «تنك» قد يجعلهم هدفا سهلا لبنادق القراصنة.

«ابعدها يا «بيتر»، «صاحت «وندي»، ووافق «ميشيل» على اقتراحها :

«ابعدها بسرعة!».

نظر «بيتر» نظرة نبيلة، وقال : «لااستطيع أن أفعل ذلك. «تنك» خائفة. انها تظن اننا قد ضللنا الطريق. لااستطيع ابعادها عندما تكون خائفة».

وعلى اية حال، فلا «وندي» ولاأحد من أخويها شعر بان «بيتر» صدق ماقالوه، وشاهدوا ضوء «تنك» يمس اذن «بيتر»، مثل قبلة فراشة.

«تستطيع أن تخبرها بأن تطفيء ضوءها.. أتفعل هذا؟» اقترحت عليه «وندي» ذلك.

«الجنيات لاتستطيع ان تطفيء ضياءها»، أجاب «بيتر» بانفة. «ءالضوء يختفي عندما تنام فقط».

«حسن، اخبرها اذن لأن تذهب وتنام حالاً،» قال «جون». «لقد نامت طويلاً قبل أن توقظها».

«الجنيات لايذهبن للنوم، عندما يؤمرن بذلك.» أجاب «بيتر»... لقد كان لديه جواب على كل شيئ.

«يبدو ان الجنيات لايستطعن أن يفعلن أي شيئ مفيد». أجابت «وندي» بشيئ من القسوة.

«سيكون الأمر على مايرام، لو يوجد لواحد منا جيب،» قال «بيتر» ذلك.. «انه تستطيع الاختباء به». ولكن لم يملك أي واحد من الاربعة، جيبا في تلك اللحظة.

«أو قبعة!» صاح «بيتر» فجأة وهو يضحك بمرح صاخب.

«قبعة «جون»!».

لكن «تنكر بل» قالت انها لن تدخلها الا بعد أن تحمل باليد. لقد قصدت يد «بيتر»، لكن «جون» قال حسن، وانه سيحملها، وعليها ان تدخل فيها. وسرعان

ماراح يتشكى من انها استمرت تضرب ركبته وهو يطير، لذلك أخذتها «وندي». وهذا جعل «تنك» غاضبة جدا. انها لم تكن تريد أن تفعل «وندي» أي شيء لها، فلذلك اضطجعت في قعر القبعة وعبست وحاولت أن تفكر بطريقة لترد لها الصاع صاعين.

وبعد دقائق قليلة، وصلوا الى «الارض الخيالية».

الفصل الرابع

الأولاد المفقودون والقراصنة

الحياة فاترة دائماً في الأرض الخيالية، عندما يغيب عنها «بيتر»؛ فاترة لكل واحد. وكلما طال غيابه، فترت اكثر. اعتاد الهنود الحمر على تناول الطعام بانتظام ستة أيام في الاسبوع، ويغطون في نوم ثقيل في ساعات الظلام. والقراصنة الذين عدوا الأولاد المفقودين طريدتهم القانونية، دائماً، اكتفوا الان بهز قبضاتهم من بعيد، عندما يقع بصرهم عليهم، وبالمقابل كان الأولاد المفقودون يعضون ابهامهم بجسارة وشجاعة .

وعندما اقترب «بيتر» الان من البيت، لم يكن هناك شيءٌ ينبض بالحياة على الجزيرة، لم يحس بوصوله، وحدثت فجأة خشخشة بنادق وسيوف ثقيلة مصقولة. صوت الذئاب ثانية في الليل، وبدأ الأولاد المفقودون يتذكرون كل الاشياء التي توقعها منهم عندما كان هناك .

لم تكن الجزيرة كبيرة، ولكنها كانت محشورة بشكل مرتب تماماً بالذئاب، والهنود الحمر، وحوريات البحر، والقراصنة؛ وكل واحد منهم له منطقته الخاصة به.

عندما كان «بيتر» هناك، كان الاولاد المفقودون يتجولو
بحرية، في أي مكان يريدون، ولكن أين يقطنون، فهذ
سر تكتموا عليه بشدة.

كانت هناك غابة في الجزيرة، ونهر غامض. يتجمد
أحياناً. وبالقرب من مصبه، يجري البحر في خليج صغ
لكنه طويل اسمه «خليج كيد»، وهو مكان مفيد للقراصنة
يضع فيه القراصنة سفنهم، طلباً للراحة. في الأيا
الماضية.

وصنعت سلسلة من الرمال والصخور هوراً في
الجانب الجنوبي، والذي يختفي في المد العالي. عندم
يفيض البحر ويغمر اعلى نقطة، المسماة «صخر
الاشخاص الملقون على الساحل المهجور»، بسبب ا
العديد من البحارة قد لقوا حتفهم هناك، في أيا
القراصنة.

للذئاب وبقية الوحوش الخطرة مخابئها في الغابة
صنع الهنود الحمر مخيماتهم في الأجمات، وتشمس
حوريات البحر انفسهن فوق الصخور المنتشرة حو
الهور، وينزلقن الى الماء بامان عندما يحدث المد العالي.
ومازال القراصنة يمارسون مهنتهم الكريهة في «خليج
كيد».



تبدو الجزيرة أحياناً، مزدحمة جداً، بالقراصنة الذين يطاردون الأولاد، والهنود الحمر وهم يصطادون القراصنة، والذائب المضطجعة في انتظار الهنود الحمر ولكن عندما ينتهي كل شيء فان الجميع يرحلون وهم متقاربون في سرعة السير وذلك يدل على حدوث مصائب قليلة جداً .

السر الكبير في المكان الذي يعيش فيه الأولاد، هو انه كان تحت الأرض برمته، يشبه كهفاً كبيراً تحت الغابة. غير ان «بيتر» لما وجده، لم تكن فيه فتحات طبيعية. لقد صنع لنفسه في بادئ الأمر، طريقاً بالحفر تحت شجرة كبيرة جداً ومجوفة، وحمته انحناءات جذعها من كل العيون. لقد صنع لنفسه باباً عبر الجذع وصنع درجات الى أرض الكهف السفلي. وعثر فيما بعد على أشجار مشابهة، لكل ولد شجرة، وصنع ابواباً لهم، لكنه جعل كل واحد منهم يصنع بنفسه الطريق المؤدي للكهف. فاصبحت هناك سبعة أبواب وسبعة طرق تؤدي الى اسفل، وليس هناك اي علم عن وجودهم، لدى القراصنة والهنود ءالحمر.

لقد أصبح الكهف الواقع تحت الأرض مريحاً جداً – بمقياس الأولاد – في سياق الوقت. صنع «بيتر» موقداً،

ومنضدة كبيرة وضعت في وسطه، وسبعة كراسي بلا مساند، حولها. ارضه كانت تراباً، لكنها كانت موطوءة فاصبحت صلبة، ويعود هذا الى عدوهم الكثير حول المنضدة، وفي اثناء نزولهم وصعودهم الى اسفل والى اعلى، ولكن حول حافات الكهف، وتحت المنضدة، كانت التربة ماتزال رخوة. ناعمة بما فيه الكفاية لحفرها للبحث عن ديدان الأرض، عندما يريد الأولاد الذهاب لصيد السمك .

وهناك سرير ضخم، ينام فيه الجميع، في النهار يرفعونه ويضعونه على الجدار، أما في الليل، فينزلونه. وحتى في السرير، كان «بيتر» هو القائد، ولايسمح لأي واحد أن ينقلب، حتى يسمح له بذلك، بمعنى هذا ان السبعة كانوا ينقلبون سوية .

كان هناك العديد من الفتحات الصغيرة، المؤدية الى خارج الكهف الرئيس، الى أماكن وجدوها مفيدة، مثل اكوام من النفايات وثقوب جميلة، ومقالب نفايات بسيطة. لم تكن هناك ترتيبات للغسل والاستحمام، أو أي شيء من ذلك النوع، غير ان «بيتر» كان يعرف من السحر مايكفي لانتاج الماء، عندما يشعرون بالعطش، أو لأن يستخدمونه لأي غرض من الاغراض، عندما يحتاجونه

حقاً.

في اليوم الذي يشعر فيه الأولاد فجأة، بان «بيتر» في طريقه اليهم، يصبحون غير هادئين ومستقرين، ولايرسون على شيئ. انهم يقضون الصباح على الأرض، يتسلقون الاشجار. ولكن عندما يكونون في أعاليها، فانهم سرعان مايتزاحمون بالتسلق على غصن، ويهبطون الى الأرض، ويركضون لتسلق أخرى. وهم يرتدون جميعاً ملابس من فراء الدب، فلذلك لايخشون من السقوط.

كانت اسماء الاولاد المفقودين هي: «الصافر»، «المجعد»، «ريشة الكتابة»، «التوأمان» و «النحيل». كان «التوأمان» متشابهان لدرجة، ان لاأحد يستطيع ان يميز بينهما. اما اسميهما الحقيقيين فقد نساهما الناس، لأن كل واحد كان يناديهما بـ «التوأمان». لقد ساد شعور بان احدهما كان تماماً قليلاً، ولكن لاأحد يستطيع أن يعرف اي واحد منهما، فلم يثبت عليهما شيئ.

وكان «الصافر» يبدو في مكان ما، عندما يحدث شيئ مثير. وكان «المجعد» هو الشخص العابث فيهم، و «ريشة الكتابة» كان الأنيق الوسيم. «النحيف» كان كبيراً ونحيفاً ومفرط النمو. وعندما جاء الى «الأرض الخيالية»، كان

يرتدي مئزر أطفال من غير كمين، وكان متسخاً قليلاً بكتابة عليه بقلم الرصاص. لقد كان متأكداً ان امه قد صنعته له بيديها، لذلك لم يكن هناك شك في اسمه، وهو يدل أيضاً على مدى الحب الذي تكنه له، اكثر من الامهات الأخريات للأولاد الذين معه. لقد كان الولد الوحيد الذي يتذكر كل شيئ، حول حياته في البيت.

حسن. انتهى اليوم ولم يعد «بيتر». كان الاولاد يواصلون بعزم الصعود والنزول في خنادقهم ليروا ان لاح في الافق، أم لا، وفي الاخير، يعودون غير هادئي البال، ويبقون بجانب ابواب اشجارهم، ينتظرون، يثرثرون فيما بينهم مثل سرب من العصافير الدورية واقف على سياج — كلهم ماعدا «الصافر»، الذي بقي تحت، يبحث عن شيئ. وفي الأخير جاء هو أيضاً، وهو يلهث، من بابه صائحاً:

«أريد أن أعرف هل وصل «بيتر» أم لا؟ أنا لم افتقده.. أليس كذلك يا «نحيل»؟.

وبطريقته المألوفة التي يعتني بها، يأخذ «نحيل» السؤال مأخذ العناية، قبل أن يجيب، ثم يجيب بانقباض: «لا يا «صافر»، لا.»

«أتمنى أن يحضر،» صاح «مجعد».

«أتمنى أنا أن يحضر أيضاً،» وافق «صافر» على كلامه.

«أخاف من القراصنة. عندما لايكون «بيتر» هنا.».

«أنا لاأخاف من القراصنة،» قال «نحيل» متفاخراً. «لاشيْ يختفي. ولكن على أية حال، أتمنى ان يعود. أريد أن أعرف اذا سمع شيئاً اضافياً عن «سندريلا».». تؤام واحد نظر الى الاخر بتردد، وقال وهو يتوقع ان احداً قد لايصدقه : «حلمت أمس ان الأمير قد عثر على «سندريلا».».

انقض عليه التوأم الثاني، «لم تحلم بذلك،» هتف صائحاً. «لم أحلم أنا، لهذا لم تحلم أنت. التوأم يحلمون دائماً نفس الأحلام. سل «بيتر». سيخبرك انك لاتستطيع ذلك، اذا لم أفعل ذلك أنا».

«أريد ان أعرف اخبار «سندريلا»، أنا أيضاً،» قال «صافر». «كانت أمي مثلها – او على الاقل هذا ماأظن».

انطلقت ضحكات وسخريات من الجميع عند سماع هذا، وصاحوا : «يظن «صافر» ان امه مثل «سندريلا» !».

«سيقول «نحيل» ان امه كانت «سندريلا»، هو الاخر!».

«كل ماأتذكره عن أمي،» قال «ريشة الكتابة»، «انها كانت دائماً تقول لأبي : «اتمنى ان يكون لي دفتر صكوك خاص بي!» ماهو دفتر الصكوك؟ أود ان اعرف

ذلك. اريد ان أعطي لأمي واحداً منه».

«أمي...» بدأ «نحيل» يتحدث، لكنه لم يستطع الاستمرار، لان الاولاد بدأوا يجرونه ويلكمونه، ويحدثون ضوضاء لدرجة ان احداً لم يعد يقدر على سماع اي شيْ اخر. لقد نسوا حتى الصوت الذي يدخل الرعب في قلوبهم ؛ صوت القراصنة، وهم ينشدون اغنيتهم المفضلة :

«كفى.وقوفاً، وانسحبوا!
نحن ذاهبون للقرصنة،
واذا فرقتنا اطلاقة،
فاننا بالتأكيد سنلتقي على الأرض!».

وثبوا مثل أرانب مذعورة، عندما سمعوا ذلك، وفروا الى جحورهم، جميعا الا «ريشة القلم»، الذي كان يحلم بدفتر الصكوك، وكم سيكون شيئا لطيفا لو رماه في حضن أمه. وعندما عاد الى رشده، وجد القراصنة تحت مرمى بصره، وكان أحدهم يسحب مسدسه. انه لو حاول أن يختفي عن طريق باب شجرته، فسيكشف عن بيتهم داخل الأرض، لألد اعدائهم، لذا وثب «ريشة الكتابة» نحو أقرب غصن، وأخفى نفسه عن البصر. ومن بين الأوراق. استطاع أن يرى القراصنة وهم يصلون.

كان الطاقم كله هناك. جاءوا من النهر المتجمد، يدفعون ويسحبون كلكاً، كان يستلقي فيه، بين طنافس حريرية، ذلك الرجل المرعب الظالم، القبطان «جاس هوك». وبين اولئك الذين كانوا يجرون الكلك، شخص ضخم بذراعين عاريين غزيري الشعر، واسنان لماعة، اكسبته اسم «سيكو الوسيم» — لقد كان «سيكو»، نفسه الذي أضاع بنساً، ووجد بنسين تحت الشجرة في حدائق «كنسنكتن». لم يعد بحاجة الى البحث عن بنسات الان. انه يرتدي في اذنيه قطعاً من فئة الثمانية، ولم يكن هذا شيئاً غريباً منذ ان كان في «كاو»، حيث عثر القراصنة على كمية نادرة من الذهب، فاخذ حصته. وبجانبه كان يختال «بل جوكس» الذي كان كل انج من جسمه موشوماً. البعض قال ان «بل» قد أبحر مع القبطان «فلنت» على ظهر السفينة القديمة «الفظ». لقد جاء جميع رجال «هوك» من سلالة قراصنة جيدة.

من الجانب، كان أربعة قراصنة أشداء يدفعون الكلك، «كوكسن»، الذي قال من غير أن يثبت انه أخ لـ «البطاطا السوداء»، «قاسي» الذي كان انساناً مرتباً، حليق الوجه، ورأسه حسن الترتيب، لأنه قد عمل حاجباً في مدرسة، مرة. وماتزال العادات القديمة ملتصقة

به. وبجانبهما كان هنا وحشيان :

«اضوية السماء»، و «مغفل» الذي وضع يديه حوله بصورة خاطئة. وفي الاخير يأتي الذي لايدفع ولايجر «سمي» عريف الملاحين. كانت نظارته تنزلق على انفه، وكان كشكش تنورته القذر يتمايل في اعلى حذائه العالي، عندما يطوف خلسة، وهو يضع مسدسين ببراعة، في حزامه. لقد كان «سمي» المنشق الوحيد من بين جميع رجال «هوك».

بقية القراصنة الاشرار، كانوا يمشون بترهل بمحاذاة الظلال ؛كل الرجال المشهورين الذين يخيفون عندما يكونون في البحر.

عندما تقدم هذا المشهد المرعب ارتعش «ريشة الكتابة» واهتز، لذلك كان يعاني كثيراً من تثبيت قدميه في موطئهما.

واستمر الرجال ينشدون ابياتاً أخرى من أغنيتهم :

«.. بالحياة القرصان،
علم من جمجمة وعظام،
ساعة مرح، وحبل قنب،
ولنهتف بحياة «ديفي جونز»!».

عند انتهاء الاغنية، دعاهم «هوك» للوقوف. ومثل

ملك، جلس هناك يعاين المشهد ؛ انه اكثر المجموعة ظلماً وقساوة، ولكن له حب الاناقة أيضاً. وجهه الطويل الهزيل، الرمادي الشاحب، كانت تملؤه التجاعيد العميقة، حتى اسفل خدين. حاجباه كانا غزيران، وتحتهما عيناه ذات اللون الازرق المدهش الذي يشبه لون زهرة «لاتنسني»، لكنهما قاسيتان من غير تعبير، مثل العقيق، فيما عدا عندما ينبش او يحفر بخطافه، حينئذ، تتوهج في كل واحدة منهما نقطة نار. شعره يتدلى فوق كتفيه، في تجاعيد غليظة سوداء، وهو مدهون ومصفف، مثل العديد من الشموع السوداء المضيئة المعلقة من فتائلها، اسفل قبعته الكبيرة الموشاة بالذهب، والتي يضع عليها شعاره ؛ الجمجمة والعظام المتقاطعة بالاسود والابيض.

لقد أدخل «هوك» في مدرسة جيدة – وفي الحقيقة انها مدرسة مشهورة – فلذلك مايزال يمشي مشية ارستقراطية، تعلمها هناك. وكان يحفظ نوعاً معيناً من الكياسة أيضاً، التي قد تكون اكثر رعباً من عنف أي شخص اخر. لقد كان مؤدباً جداً عند ينوي شرا ومعروف عنه انه يعتذر بكل لباقة لضحاياه في أعالي البحار، قبل ان يجبرهم على السير فوق الماء. سترته

الطويلة الزرقاء، من النوع الذي كان يرتدي في عصر الملك «ستيورات»، كانت مدلاة برشاقة من كتفيه العريضين المنحنيين. وكان يرتدي حذاء يدوي الصنع ذا ابزيم من الفضة. وكان خطافه الفولاذي ذو الشعبتين، مثبتاً بخشبة، وهو ينتأ بشكل غريب من الكشكش المعقود الذي يتدلى من طرف ردائه الكبير. والشئ الغريب والمعروف عنه، ان «هوك» يجفل عندما يرى دمه الخاص – لكن الواحد الذي يعرفه من أيام المدرسة، أقسم انه دم «هوك» أصفر.

توقف الرجال عن الغناء، عندما توقف الكلك. رأى «قاسي» «ريشة الكتابة»، وسرعان ماخرج مسدسه وصوبه نحوه – ولكن قبل أن يطلق النار، كان مخلب «هوك» في ظهره، فاحس به وهو يلتوي. ارتخت اصابعه التي كانت ضاغطة على الزناد، وخوفاً على حياته صرخ : «دعني اذهب، ايها القبطان، دعني أذهب!».

«أعد مسدسك الى مكانه،» قال «هوك»، وهو مايزال يقبض عليه، ولكن من غير أن يخدشه.

«لقد كان واحداً من هؤلاء الأولاد المزعجين،» دافع «قاسي» عن نفسه. «كان باستطاعتي أن أرديه قتيلاً، أيها القبطان».

«نعم،» تشدق «خطاف»، «وتريد ان تجلب شجعان قبيلة «زنبقة النمر» الينا. هل تريد أن تفقد فروة رأسك، يا «فاسي»؟.

مشى «سمي» متقدماً، بصورة منحرفة، مع ابتسامة لعله يفوز بحظوة، وهو يلوح بسيفه المقوس القصير الثقيل، بيد واحدة، ويهز أظافر يده الطويلة، الاخرى.

«أنت على حق ياايها القبطان.. ولكن هل تدعني اتعقبه، واجعل «جوني نازع السدادات الفلينية» يداعبه هنا؟ «جوني» انسان صامت، أيها القبطان!» ثم نظر شزراً نحو الشجرة التي تشبث بها «ريشة الكتابة»، يرتجف على غصن بعيد عن تأمين الأمان له.

أسكته «خطاف» بنظرة. «أريد السبعة كلهمْ»، قال بصوت خفيض مهلك. «لتحل بك مصيبة معهم اتفرقوا، أيها الرجال، وابحثوا عنهم. لابد انهم قريبون».

وضع «سمي» غليونه في شفتيه، واعطى الأوامر. تفرق الرجال، لكنه ظل في الخلف. خطا «خطاف» خارج الكلك، وجلس بعناية على فطر سام.

«السبعة كلهم»، أعاد القول - «لكن قائدهم، يجب أن أحصل عليه».

صوته تبدل الى صرير عندما قال تلك الكلمات.

حدق «سمي» نحوه من خلال نظارته، ولكن من غير اثارة. انه يعرف «خطاف» جيداً. «نعم، «بيتر بان»! قال «خطاف» مزمجراً. «بان - الذي قطع هذه اليد،» ولوح مهدداً بالخطاف. «لقد انتظرت بما فيه الكفاية... لاصافح يده... بهذا!» تحولت الزمجرة ثانية الى صرير. «ا ا اخ! لكنني سأمزقه عندما يصافح «خطاف!»».

نظر اليه «سمي» بعينين طارفتين نصف مفتوحتين، بلطف، ورفع نظارته الى اعلى انفه، قليلاً.

«ولكن ألم اسمعك أيها القبطان تقول، ان خطافك يساوي عشرين يداً؟ لاجل... تمشيط الشعر وقضاء بقية حاجات المنزل؟».

«لوكنت أماً، يا «سمي»، » قال ««خطاف» بحنان، «لصليت ان يولد أطفالي بهذا الشيء..» وهز الخطاف، «بدلاً من ذاك!» ثم رفع يده اليسرى بوهن.

«لقد قذف ذراعي الى تمساح يا «سمي»، » استمر يقول ذلك في نبرة متقطعة. «الى تمساح كان يمر من هناك مصادفة».

«لقد لاحظت،» قال «سمي»، «انك تخاف من التماسيح الى حد مرعب، أيها القبطان».

«لاأخاف التماسيح،» زمجر «خطاف»، «واحد من

التماسيح، الذي التذ بطعمي جداً. ومن ذلك الوقت يتبعني يا «سمي»، املاً أن يأكل ماتبقى مني!» الكلمات الأخيرة نطقها بزمجرة هامة.

«انها بطريقة ما»، قال «سمي» وهو يحدق فيه بدهاء. «انها بطريقة ما، قد تكون نوعاً من الشكوى.. ألا توافقني؟».

«لاأريد مثل هذه الشكوى،» زجر «خطاف». «أريد «بيتر بان» الذي أذاق طعم لحمي لهذا المتوحش. «سمي» —» انخفض صوته وبدأت القشعريرة تنتابه، «كان من الممكن أن يحصل علي قبل هذا الوقت، ولكن لحسن الحظ، ابتلع ساعة، راحت تتكتك في داخله «تك توك، تك توك،» ولكن قبل أن يصلني اسمع صوته». قال ذلك في ضحكة جوفاء.

«يوما ما ستتوقف الساعة،» قال «سمي»، وهو يهز رأسه الرمادي، بغطائه ذي الحلقات الحمراء، «ثم يحصل عليك، ايها القبطان».

«هذا ماأخشاه!» ان «خطاف» بانكسار، «هذا مايلازمني دائما»، يا «سمي»!.

وفجاءة حدث شيئ أربكه، وقفز من الفطر الذي كان جالسا عليه، وهو يصيح، «شواذ، اثقال، مطرقة

وملاقط! أنا احترق!».

ثم قال بعد ان تحسس المكان الذي كان يجلس عليه: «سمي»، هذا المقعد الذي انا جالس عليه ساخن، ساخن جدا». وبوساطة خطافه، ازاح الفطر، وشاهد دخانا ينبعث من فتحة في الارض. بالاضافة الى ذلك، سمع اصوات ثرثرة. اومأ برأسه بصمت، مثل واحد فهم كل شيئ.

«انهم الاولاد»، دمدم بنعومة، «الاولاد! انه المكان الذي يسكنون فيه يا «سمي»!»

اصغى قليلا.. واسود وجهه. «بان» ليس في البيت. انهم يتوقعون عودته». قال ذلك.

ارتسمت ابتسامة شريرة على شفتيه، الحمراوين دائما، على الضد من خديه الرماديين الشاحبين. فهم «سمي» نظرته. «لاتتخل عن فكرتك، ايها القبطان.» قال له.

«سنعود الى السفينة» قال «خطاف»، بمرح يلوح منه الشر، «ونطبخ كعكة كبيرة، ثخينة، وفوقها سكر – سكر اخضر، يا «سمي»!

وسنضع الكعكة لهم في مكان مناسب، مثل شواطئ الهور. انهم دائماً يسبحون هناك. سيجدون الكعكة

وسيزدردونها. ليست لديهم امهات تحذرهم انه من الخطورة تناول كمية كبيرة من الكعكة الرطبة، وخصوصا ان عليها سكرا اخضر! سيأكلونها – ويموتون!».

«انها اكثر الخطط شرورا ولطفا، من الخطط التي سمعتها!» تمتم «سمي» باعجاب.

«صحيح يا «سمي» لنتصافح.

«آه، لا، الآن، اعذرني، ايها القبطان،» صاح «سمي» وهو يرجع الى الوراء مبتعدا. «لست انا، ايها القبطان!». بيد ان «خطاف» مد خطافه قريبا منه، وانشد متعمدا:

«عندما اقول «اضرب»، يتملكهم الخوف! لايبقى فوق عظامهم شيئ، عندما يصافحون «هول»!».

ولكن عندما رفع «سمي» يده قليلا، تناهى الى سمعهما صوت تكتكة ساعة -- وشاهدا تمساحا ينسل نحوهما.

ركض «خطاف» طالبا النجاة، فانزلق التمساح خلفه، وكان يفتح فمه الواسع ويغلقه من شدة الجوع.

وعاد «سمي» الى السفينة.

«ريشة الكتابة» كان يراقب كل مايجري. ولم يستطع ان يتمالك نفسه، للعودة للاولاد الاخرين، الا بصعوبة، غير انه لما هبط من الشجرة، شاهد برعب، قطيعا من

الذئاب يتقدم نحوه راكضا، وقد ادلى لسانه الاحمر زمجر صائحا. «انقذوني! انقذوني!» وعندما شاهد الأولاد الاخرين يحدقون بحذر من ابوابهم صاح محذرا: «الذئاب قادمة!»

«الذئاب!» صاح الواحد تلو الاخر.

«ماالذي سيفعله «بيتر.»؟ «تسال احد التوأمين.

«سينظر اليها «بيتر» من خلال ساقيه، قال «نحيل». – وكان محقا لمرة – «فمن الأفضل أن نفعل نحن ذلك.»

ثم مشوا جانبيا جميعهم الى الخلف خارج الأبواب، وانحنوا وقد وضعوا أيديهم فوق ركباتهم ينظرون من بين سيقانهم نحو الغابة، ونحو الذئاب القادمة. تقدموا نحو الذئاب بصلابة. في ذلك الوضع غير المريح يحدقون نحو الذئاب من غير ملامح مشجعة، فتراجعت الذئاب وهي تتذمر.....لقد نجحت حيلة «بيتر»!

«انقذناك يا «ريشة الكتابة»! «قال أحد التوامين،» هل شاهدت القراصنة!»

«نعم،» قال « ريشة الكتابة»، لكنه كان يحدق في السماء، وليس الناحية التي كانت فيها الذئاب ولاناحية التمساح ولاحتى القراصنة. «أنا استطيع مشاهدة شيء أروع من ذلك »، «قال»، «هناك طير عظيم أبيض

هناك، انه قادم من هذا الطريق.»

«أي نوع من الطيور!» تساءل «نحيل»، وهو ينظر حوله. وليس نحو الأعلى قال ريشة الكتابة»:

«لا لاأعرف انه يحدث أصواتا مضحكة مسلية، عندما يطير، انها نوع من العويل. لربما هو تعب. اظن انه يقول يا لـ «وندي» المسكينة!».

وافق «نحيل» على كلامه قائلا: «نعم» نعم. تذكرت أنواعا من الطيور تقول «وندي!».

تسلق أحد التوأمين شجرة، وصاح: «استطيع أن أراه. انه قادم من هذه الناحية، وهو أبيض برمته.»

أظن انه قد أحضر ثلجا معه. «قال التوأم الأخير. سمع رنين أجراس سرعان ماعرفه «صافر»، وصاح: «تنك». انها تحاول أن تؤذيه.»

ثم سمعوا أمرا غريبا يرن فيما بعد فنظر الواحد نحو الاخر.

«انها تقول ان «بيتر» يطلب منا ان نصطاد الطير قال «صافر» متعجبا.

«نعم اصطادوا هذا الوندي»، نعم صاحت «تنكر بل» بحدة، ان «بيتر» يقول ذلك.

لقد كانت تشعر بالغيرة القاتلة من «وندي»، وهذا



هو الانتقام الذي فكرت به بينما كانت «وندي». تحملها بقبعة جون.

«نعم..اضربوه،» ردد «نحيل». «اسرعوا يارماة السهام.»

عاد «صافر» أولا، وهو يحمل قوسه وسهمه، وهزت «تنك» جرسها في اذنه، وهي تزعق: «بسرعة يا «صافر»، بسرعة!

قبل أن يحضر «بيتر» الى هنا. سيفرح بك كثيرا!»

«ابتعدي عن طريقي اذن. صاح «صافر» وقد بلغت به الاثارة حدا جعله يرتبك وهو يضع سهمه في قوسه وصوب هدفه، لكن القوس اضطرب، عندما اندفع السهم مسرعا باتجاه الطير الابيض العظيم. الذي سرعان ماكان يسقط على الارض، وسهمه في صدره لقد شاهده جميع الأولاد وهويسقط.

«متأخرون جدا! «صاح» «صافر» بظفر، «اصطدت الوندي. لقد فعلتها! سيسر «بيتر» كثيرا!».

ثم يالرعبه ورعب كل واحد سمعوا «تنكر بل» ترن رنينها المألوف. نظر «صافر» نحو «نحيل»، ونظر «نحيل» بعيدا. هاجمهم الشك جميعا، بسبب ان «تنك» قالت بوضوح: «حمار غبي!».

«لقد قالت حمار غبي!» اعاد «صافر» القول بصوت مقلق.

اندفعت «تنك» بعيدا لتختفي. تجمع الأولاد حول «وندي».

«انها ليست طير،» قال «نحيل». «اظن انها فتاة».

«فتاة!» صاحوا جميعا.

«لابد ان «بيتر» قد أحضرها الينا، قال «مجعد».

«لربما كانت ستصبح امنا».

«امنا!» صاح أحد التوأمين.

«فتاة تعتني بنا!» قال التوأم الاخر.

«وانت اصبتها! آه يا «صافر»!.

كانوا خائفين جدا ولايعرفون ماذا يفعلون. نظر «صافر» نحوهم ومن ثم الى «وندي»، لأنها كانت «وندي»، وأشاح بوجهه عنها وهو يبتعد.

«الى أين أنت ذاهب؟» نادوا جميعا خلفه لااعرف قال بحزن. «أنا خائف من «بيتر» عندما يعود.» ولكن سرعان ماعاد «بيتر».

لقد سمعوا صياحه «كوكو كيكو، بينما يحوم نازلا اليهم.

«بيتر!» صاحوا جميعا مرحبين به، وشكروا الله

لرؤيته، الا «صافر». كز «مجعد» بمرفقه هؤلاء الذين كانوا الأكثر قربا منه وقال بهدوء:

«اخفوها لاتدعوا «بيتر» يراها. ثم وقفوا جميعا. كتفا لكتف، بين «بيتر» و «الطير الأبيض الكبير».

وعندما أعود من رحلة فمن الواجب عليكم جميعا ان تسروا،» ذكرهم «بيتر» بذلك وهو يشعر بأن شيئا ما يجري بصورة خاطئة، لكنه نسى الأمر، لشدة اثارته.«تجمعوا حولي»، صاح، أخبار عظيمة، يأولاد أحضرت لكم أما!» ثم اختال متبخترا وصاح بطريقة كان من المفروض ان تجعلهم يحتشدون حوله بجنون. وبدلا من ذلك رفعوا رؤوسهم او نظروا بعيدا. لكن بيتر لم يعرهم اهتماما كبيرا، بل كان يبحث عن «وندي» كانت تطير في هذا الاتجاه قال بلهجة مرتبكة. «كان من المفروض أن تصل الى هنا قبلي».

«نعم، نعم ياسيدي، قال «نحيل» بحماقة، لكن «صافر» خطا نحو الأمام ببسالة، وقال:

«انها هنا يا «بيتر». هنا...» ثم طلب من الأولاد أن يقفوا الى الخلف لكي يستطيع «بيتر» ان يرى «وندي» الراقدة على الأرض لاتتحرك وسهم ملتصق بصدرها.

«انها ميتة، قال «بيتر» وليست لديه فكرة اي فكرة

عما يعنيه ذلك ماعدا ان الازهار تموت الأولاد المفقودون لايموتون حسب علمه. لكن اللعبة ، قد انتهت بالنسبة اليه، وانحنى نصف انحناءة لكي يطير باحثا عن شيء اخر يسليه، لكنه بقى في مكانه.

«لربما انها خائفة من انها قد تكون ماتت، قال «بيتر» وشاهد السهم لأول مرة . وبمثل لمح البصر أخرجه، ووضعه فوق رأسه.

«لمن هذا السهم؟» صرخ.

«لي،» اعترف «صافر».

وبغضب رفعه «بيتر» وامسكه بطريقة وكانه يمسك مدية يريد ان يطعنه بها في قلبه . وبدا لمرتين وهو يهم بطعنه. ولكن في كل مرة تتصلب ذراعه، وتظل في الهواء.

«هيا يا «بيتر»،قال «صافر» بشجاعة.

«لاأستطيع.» أجاب «بيتر» بضراوة. شيء ما يوقفني.»

في هذا الوقت كله، كانت عينا ريشة الكتابة» ماتنفكان على النظر الى «وندي» ورأها الان تبدي حركة قليلة.

«السبب هو الفتاة «وندي»! «صرخ»، «في كل مرة

يا «بيتر». تحاول أن تطعن «صافر» فانها ترفع يدها وتقول شيئا اظن انها تقول يا لـ «صافر» المسكين!».

وفي الحال رمى «بيتر» نفسه نحوها. «وندي» حية! «صرخ بذلك، وقال «نحيل» بطريقته في معرفة كل شيء، مضيفا: نعم: الفتاة « وندي» حية.

ثم رأى «بيتر» مامنع السهم من النفاذ الى قلبها ؛ الزر الذي اعطاه لها لـ «قبلة». في تلك الليلة في حجرة نومهم بلوطة سترته.

«ذلك ماأنقذها،» قال ذلك وهو يرفعها ليشاهدها البقية. «انها القبلة التي أعطيتها لها.»

نعم..وهكذا انقذت.» قال «نحيل» ليؤكد ذلك لكل واحد. «وتذكرت. انها قبلة.»

قال «بيتر» وهو يتجاهله: «انهضي، وكوني احسن، يا«وندي» وسنعود الى البحث عن حوريات البحر.»

وخلال الاهتمام العميق بـ «وندي» كانت الأجراس ترن وقال «مجعد الان: «كانت تنك تغني لأنها ظنت ان «وندي» قد ماتت «تنك»! الفتاة «وندي»حية ترزق!»

جرس «تنك» صمت الآن فجأة.

«هي أخبرتنا ان نصطاد الـ «وندي» قال نمام صغير. هذا جعل «بيتر» يقف على قدميه ويصيح بغضب

:«ماذا»؟»

«يا «تنكر بل»، لم أعد صديقك من الان فصاعدا. ابتعدي عني للنهاية.» كان الجرس يرن رنينا مسعورا، عندما طارت «تنك»ا لى كتفه، وراحت تتضرع اليه بألم لكي يصفح عنها لكنه نحاها جانبا كما لو كانت مجرد بعسوب، يئز بالقرب من اذنه، غير ان «وندي» رفعت يدها ثانية، وتمتمت بشيء جعل «بيتر» يضيف على مضض:

«حسن – ربما ليس للأبد ولكن لمدة اسبوع بكاملة، يا«تنك»

لم ترد «تنك» ان تكون مدينة حتى لـ «وندي»، طارت مبتعدة بصمت ولم يلاحظها أي واحد لانهم كانوا مشغولين يخططون لـ «وندي».

«نستطيع أن نحملها الى أسفل.» اقترح «مجعد» ذلك.

«نعم نعم، نحملها «ردد «نحيل ». تذكرت انني دائما أحمل الفتيات.»

«لاأحد يلمسها،» أمرهم «بيتر» بسرعة. «وهذا ليس صحيحا.»

«لم نعم. لا أحد يلمسها هذا ماكنت افكر فيه توا. «وافق» نحيل» على كلامه.

«ستموت لو تركت هناك قال «صافر».

«نعم..هذه حقيقة. سنموت. لانستطيع مساعدتها

«هز» نحيل» رأسه بحزن.

«نستطيع مساعدتها، «قال «بيتر»، «نستطيع أن نبني حولها بيتا صغيرا انزلوا جميعا كلكم. واجلبوا احسن ماتملك. اسرعوا..هيا!»

كان الأولاد مسرورين ودخلوا الى البيت وخرجوا منه بسرعة، وكرروا ذلك، وكأنهم يعملون مثل النحل. يجلبون بساطا يضعونه تحتها ووسادة لرأسها وغطاء يضعونه فوقها وخشبا ليشعلوا به نارا تدفئها وفي خضم ذلك جاء «جون»و «ميشيل»، ونزلوا على الارض وتعثروا في مشيتهما وهما يشعران بالنعاس، ثم توقفا وناما وهما واقفين.

وفي الحال استيقظ «ميشيل» نصف استيقاظ. وصاح: «جون»، «جون»، انهض! أين «نانا»؟ أين ماما؟»

امتد «جون «قليلا، ودمدم بشيء غير مفهوم واكتشف «ميشيل»انه لايعرف المكان الذي جاء اليه، فراح يلكم ويسحب «جون» ليجعله يصغي اليه «أين نحن؟ «استمر يقول. حتى تثاب «جون» وأجاب

«لقد طرنا إذن حقا!»

ثم شاهد «بيتر» في نفس اللحظة وحتى «جون» ارتاح عندما وجد انه مايزالون معا.

«مرحبا يا «بيتر» قال ذلك وأجاب «بيتر» بفظاظة، «مرحبا،» غير انه سرعان مانسي كل شيء عنهما لقد كان مشغولا يقيس بخطواته طوال جدران بيت «وندي»..كان «جون» و«ميشيل» يراقبانه لفترة قبل ان يلاحظا «وندي» الراقدة على الأرض.»

«مالذي حدث لها «تساءل «جون» هل هي نائمة؟ «نعم»، أجاب «بيتر».

«لنوقظها إذن لتجهز لنا عشاءنا، «قال «ميشيل».«انا جائع.» وعندما قال ذلك شاهد بعض الأولاد يحملون اغصانا من الأشجار ليبنوا الجدران.

«انظرهم! «قال لـ «جون». «ماالذي يفعلونه؟» نظر بيتر حوله بحدة وقال لـ «مجعد» انظر اذا كان يستطيع الولدان المساعدة في بناء البيت».

«نعم نعم، سيدي.» قال «مجعد».

«بناء ماذا؟» تساءل «جون».

«بيت لـ «وندي»، قال «مجعد».

اشمئز «جون» وقال: «ولاي شيء؟ انها مجرد بنت!»

«انها فتاة،«قال «مجعد» بتباه، «ونحن جميعا خدمها.»

نظر اليه «جون» وكأنما كان مجنونا، وصاح مرددا: خدم»؟

«نعم..وانتما أيضا، أجاب «بيتر».

بهت «جون» لكنه تبع «مجعد» إلى الغابة وبدأ يقطع بضربات متوالية اغصان الأشجار مع بقية الأولاد.

«كرسي و قادَ أولاً،» قال «بيتر» أمراً، «ثم سنبني البيت حولها.» كان «نحيل» يتجول ليفعل شيئاً. موافقاً «بيتر» على كل شيء يقوله، ويبدو جدياً. ثم اخبره «بيتر» الذي كان يفكر في كل صغيرة وكبيرة، أن يحضر طبيباً

«نعم نعم، سيدي،» قال نحيل»، وسار بعيداً وهو يحك شعر رأسه. وعاد بعد دقائق قليلة، وهو يرتدي قبعة «جون» المرتفعة، والتي ناسبته اكثر من «جون»، لأن رأسه كان اكبر.

«هل أنت الطبيب، ياسيدي؟» سأل «بيتر» باحترام.

«نعم يا رجلي الصغير،» قال «نحيل»، بما يشبه العصبية. «أنا الطبيب.»

«هناك فتاة هنا مريضة جداً،» أعلمه «بيتر». «تعال من هنا.»

كانت «وندي» راقدة حول اقدامها، لكن هذا لم يكن شيئاً مهماً، وراعي «نحيل» بدقة تامة، أن لا يقع فوقها.

«سأضع الشيء الزجاجي في فمها،» قال ذلك، ثم انحنى فوقها. انتظر هو و «بيتر» برزانة، لفترة قصيرة، ثم نهض «نحيل»، ونظر الى الشيء الذي بيده بعناية وهزه هزة قصيرة، وابعده جانباً..

«حسن؟» قال «بيتر».

«الفتاة قد شفيت،» صرخ «نحيل» بذلك. «لقد اشفيتها.»

وثب «بيتر» في الهواء وصاح فرحاً.

«سأعود مرة ثانية، هذا المساء،» أخبره «نحيل». «اعطها شاي لحم البقرة، من غير قدح، بوساطة صنبور. صباحاً سعيداً.»

اعاد القبعة إلى «جون»، وهو ينفخ أوداجه بارتياح.

وفي الوقت نفسه، كان الاولاد منشغلين بفؤوسهم، وسرعان ما تجمعت كومة من الاخشاب بجانب مكان بيت «وندي»، لكنهم لم يقرروا أي نوع من البيوت، تفضله هي. وبينما كانوا يتمنون ان تستيقظ لتخبرهم بذلك، تحركت، فقال «بيتر» لها: «وندي»، غنى لو

صف البيت الذي تريدينه.» وفي الحال نهضت، ومن غير أن تفتح عينيها غنت:

اتمنى ان يكون لي بيت من الخشب،
أصغر بيت يشاهد،
ذو جدران لطيفة صغيرة، حمراء اللون،
وسقف بلون الاشنات الخضر.»

عندما غنت – ولماتزل ابيات أخرى في الاغنية – وضع الأساس وزنود الخشب ربطت لتصبح جدراناً، فجهزوا البيت لها في وقت لا يذكر، غير ان «وندي» استمرت في غنائها، طالبة نوافذ تنمو حولها الورود وباب له مطرقة. سرعان ما اضيفت هذه الطلبات في الحال، على الرغم من ان مطرقة الباب كانت فردة نعل حذاء قديم ل «صافر» ثم شاهد «بيتر» ان البيت من غير مدخنة، فقال «جون بفضول: «أه... يجب أن تكون للبيت مدخنة». وعند سماع هذا الصوت، مس «بيتر» برفق القبعة العالية، رافعاً اياها عن رأسه، وطرق قمتها واخرجها، ثم وضعها على السطح، فأصبحت مدخنة جيدة تماماً.

عندما انتهى البناء، كانت «وندي» داخل البيت، وجمع الأولاد خارجه «اعتنوا بمظهركم الأن،» جاء

صوت «بيتر» أمراً. «الانطباعات الأولى مهمة جداً.» نعموا شعرهم، ومسحوا ايديهم بجلودهم العارية، ثم طرق الباب، فجاءت «وندي» لتفتحه.

انقض «بيتر» بسرعة منحنياً لها، وفعل بقية الاولاد مافي وسعهم، بالرغم من ان «جون» و «ميشيل» ابتسما ابتسامة عريضة فقط. اينحنون ل – «وندي»؟ ولكن ليس الاخوة! وقفت هناك تنظر وهي متوردة مسرورة ومتعجبة، تتمتم غير متأكدة: «أين أنا؟»

نطق «نحيل» اولاً: «ايتها الفتاة «وندي»»، «قال لها، لأجلك بنينا هذا البيت».

«أوه، قولي انك مسرورة!» صاح «ريشة الكتابة».

خطت «وندي» الى الأمام لتراه، فاطبقت يديها بجذل.

«انه بيت صغير، محبوب جميل وعزيز!» صاحت وهي تضرب الجدران، وتشم الورود، ثم فتحت النوافذ، ودقت على مطرقة الباب.

«ونحن الأن اطفالك» قال التوأمان وهما يندفعان بالقرب منها أما بقية الاولاد، فقد زحفوا على ركبتهم – فيما عدا «جون و «ميشيل» – وقالوا: «ايتها الفتاة «وندي»، كوني أمنا!»

«حسن» قالت «وندي». «لا أدري ان كان يجب علي أن أفعل ذلك بالطبع ان الامر سيكون مثيراً حد الرعب – ولكنني لست كبيرة للحد الذي أكون فيه أماً لتسعة أولاد عظام، كما انني أجهل إلى حد كبير كيف انشيء العائلات.»

«هذا لا يهم» قال «بيتر». «كل مانحتاجه شخص لطيف يقوم مقام الام، ليعتني بنا.»

«أوه، أليس هذا لطفاً!» قالت «وندي». «انظروا – هذا ما كنت أفكر فيه.»

«نعم... الامر كذلك،» أجاب الاولاد، «رأينا ذلك في الحال.»

وفي الحال اصبحت شخصاً ناشطاً يقوم مقام الام. «حسن جداً،» قالت بصرامة، «سأبذل كل جهدي. واذا كنت أمكم، فادخلوا حالاً، ايها الاولاد السيئين! اولاد مولعون بالرقص على الحشائش الرطبة في خفافكم. ستبتل أقدامكم، وستصابون جميعاً بالبرد. تعالوا الان الى الداخل! واذا كنتم طيبين حقاً، فقد يكون لدينا وقت كاف، لاخبركم بنهاية قصة «سندريلا»، قبل ان تذهبوا للنوم».

اندفع الأولاد نحو الباب باثارة عظيمة، ولكن

بخنوع، عندما فتحت لهم «وندي الباب على مصراعيه. جاء «بيتر» اخيراً، وعندما كانوا جميعا في الداخل، اغلق الباب، واتكأ – بظهره – عليه. جلس بقية الأولاد على الأرض، حول «وندي» التي كانت جالسة في كرسي، وهو يستمعون اليها بانتباه شديد، بينما كانت تخبرهم بنهاية قصة «سندريلا»، الامير والشبشب الزجاجي. وبعد ذلك عادوا الى بيتهم أسفل الارض، وانزل السرير الكبير الى الارض ثانية. غطتهم «وندي» جميعاً، ثم رتبت الغرفة، ثم رجعت لتنام في بيتها الصغير، بينما كان «بيتر» يقف حارساً في الخارج، في ظلمة الليل.

كانت النجوم تتلألأ من بين الغيوم، وبدأ نسيم قليل يحرك الورود وعلى الرغم من ان كل شيء كان يبدو مطمئناً وسعيداً، الا ان الذئاب كانت تجوس خلسة على مقربة، وعندما كان يخطو جيئة وذهاباً، كان «بيتر» يسمع صوت اغنية القراصنة، تحملها اليه الريح من الهور، الذي أرسى فيه «روجر المرح».

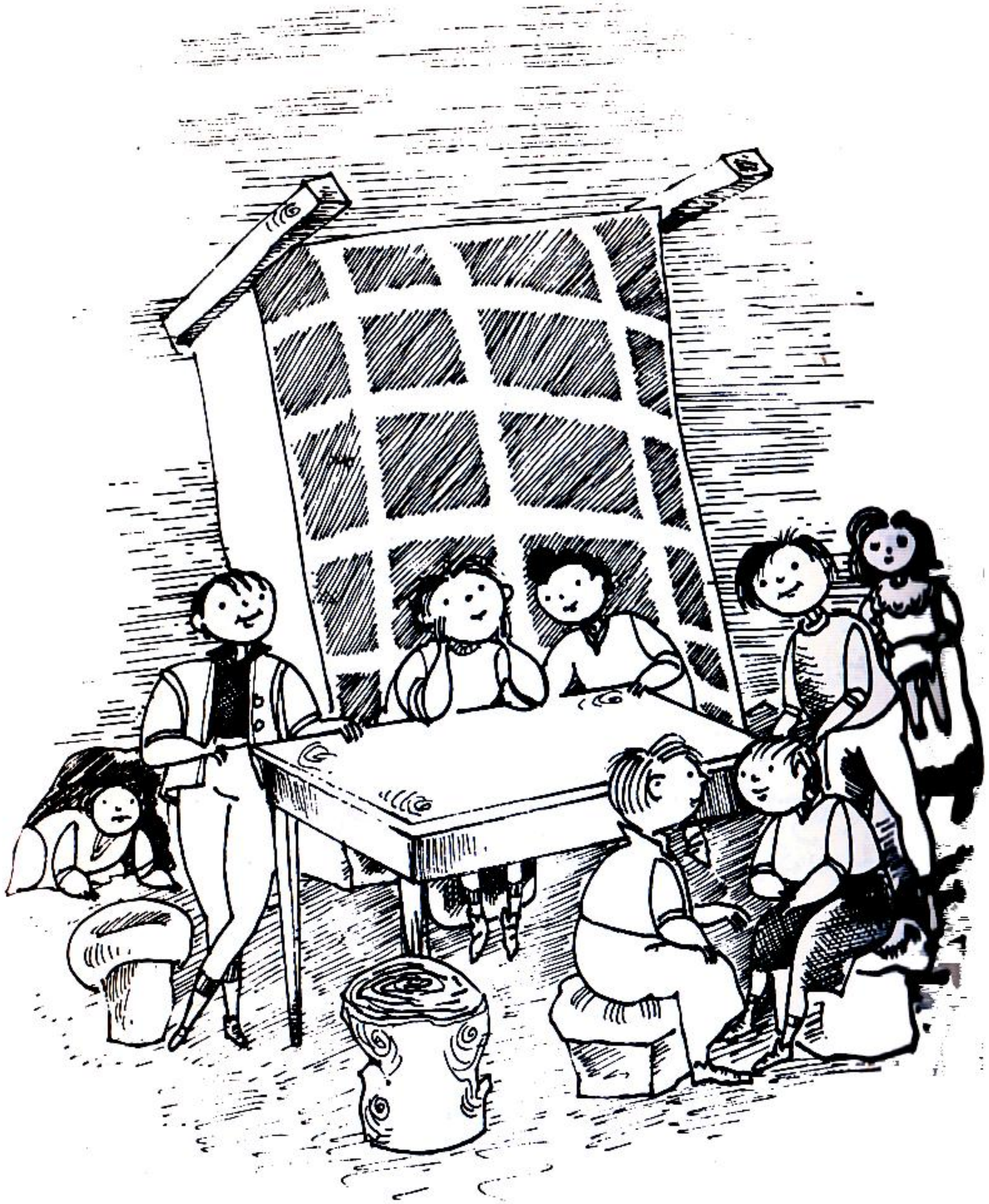
الفصل الخامس

مغامرة في الهور

الشيء الأول الذي فعله «بيتر»، في صباح اليوم التالي هو قياس طول «وندي»، «جون» و «ميشيل» لأجل أشجارهم. لقد كان شيئاً مهماً جداً ان تكون التجاويف تكون بنفس الشكل، ليست طويلة جداً، ولاقصيرة جداً، ليست عريضة جداً ولا ضيقة جداً. وعندما لائمهم ذلك تماماً، نشر «بيتر» والأولاد ابواب الاشجار، وحفروا سلالم توصلهم الى داخل الكهف. كانت «وندي» متلهفة جداً، لأنها كانت تواقة لاستكشاف الداخل الموجود في الاسفل، اذ ما يزال هناك الكثير لأن تعيد ترتيب المكان كله وتنظفه.

وحالما استطاع «بيتر» الاستغناء عنهم، استعارت منه الاولاد للتخلص من اكوام الزبالة الموضوعة في زوايا نائية.

لقد كانوا فرحين بهذا العمل، وراحوا يحفرون بحثاً عن الكنوز القديمة، مبعثرين حولهم كل المواد التي أرادت «وندي» اخراجها، جلود أرانب قديمة، تفاحات



متفسخة، قشور جوز، ريش، أوراق يابسة، وجوارب وسخة مثقوبة ثقوباً كبيرة في الكاحل.

«ارموها بعيداً،» استمرت «وندي» تقول، «ولكن إذا وجدتم أية ملابس مناسبة للّبس، احضروها لي، ساغسلها واصلحها. انكم جميعاً رثين في جلود الدببة الممزقة القديمة هذه. لست متأكدة عما يجب أن افعله لأجعلكم مهندمين كما ينبغي!»

سمعها «بيتر»، وضحك ضحكاً نصف مكبوت، واحضر لهم من تحت الحطب ملابس عمل جيدة، لهم جميعاً.

جعلتهم أن ينزلوا السرير من الجدار المتكيء عليه، لكي ترتبه - ولكن وجدت هناك كل انواع المدخرات من سقط المتاع، تحت الفراش.

شيء واحد في الكهف كله، جذب انتباهاً بحق وحقيق. لقد كان ذلك فجوة في حجم قفص عصفور، تقريباً، لقد كانت حجرة «تنكربل» الخاصة. وكانت تعزل عن بقية الحجرة بوساطة ستارة، إذا انها لا تحب أحدا أن يراقبها أو يتلصص عليها، عندما تزين نفسها انها تنام على كنبة لطيفة من الاشنات الناعمة - ولم تسمى سريراً أبداً - ذات غطاء يتغير مع الفصول. وعندما

شاهدته «وندي» لاول مرة، كان مصنوعا من اوراق الخريف، لكن «تنك» تفضل زهور التفاح في أكثر الأوقات. وتستعمل قطرة ندى، موضوعة على الحائط، كمرأة، ولها خزانة ملابس صغيرة، تحتوي مختلف الأواني و القناني الانيقة. وفي الجدار، معلقة ثريا دقيقة، لكنها كانت للعرض فقط. وعندما تكون «تنك» في البيت، فانها تنيره بضوئها الخاص، وعندما تخرج، يسوده الظلام لقد فتنت «وندي» به، لكن اعجابها هذا، لم يهديء «تنك»، على الأقل.

عندما راح الأولاد يركضون حول البيت، بنفس الوقت، شعرت «وندي» بان عائلتها صعبة المأخذ جداً. لا يوجد لأي عائلة من العوائل أولاد بنفس العمر. يكون هناك طفل واحد على الاقل فافترضت ان يكون حتماً «ميشيل». لقد كان غاضبا عنيفاً. انه الطفل دائماً، مادام يتذكر ذلك. وله من الطفولة ما يكفي، حتى قبل أن يغادرون البيت.

لم تعر «وندي» اية أهمية لغضبه، لكنها راحت تبحث عن شيء يصلح لأن يكون مهداً. مهد! عوى «ميشيل». ولد كبير ذو خمس سنوات، له سريره الخاص، كما ل- «جون»، يوضع في مهد!

قلبت سلة غسيل كبيرة، تحت كومة أخرى من ملابس قديمة، أوراقِ ميتة، واجمات. وقد طلبت من «بيتر» أن يثبت حبالاً بها، لكي ترفع نحو السقف، وقت النوم.

كان «ميشيل» يراقب وهو مقطب الجبين، لكنه راح يبدو لطيفاً، عندما ادرك ان هناك شيئاً ما يمكن ان يقال ويعمل.. وعلى سبيل المثال، تظاهر بأنه كان يتأرجح في عش الغراب، عاليا في أعلى صاري السفينة، في البحر: أو حتى في عش طير، في قمة شجره، واذا تذكر انه يمكن أن يأخذ بعض الجوز والتوت إلى سريره، فان موقعه سيكون ممتازاً ليرشق بقية الاولاد.

انزعج «بيتر» كثيراً بهذا الشجار المحلي، واحياناً يرمي ما بيديه من عمل خاص به هو، ويعود أكثر من مرة، بخرقة مربوطة على احدى عينيه، أو بقميص ممزق، لكنه لا يمكن أن يشرح ما حدث له، ابداً. لقد كان لا يهدأ، لدرجة ان «وندي» تمنت ان يشبه «جون»، وتجلس بهدوء قرب النار، لا شيء سوى لتيغر الجو. وقد جرب ذلك، وكان يبدو مضحكاً جداً وهو يجلس على الكرسي العالي، وكأنه يطفوا عليه. لكنه لم يرغب أن يكون شبيهاً ل «جون»، وكان يرهقه أن يراها وهي تخيط وترتق في

الجانب الأخر من الموقد.. لم يكن يشعرون بأي انزعاج، من قبل، بسبب الثقوب الموجودة في جواربهم، ولم يثمنوا عمل «وندي».

شيء واحد لم يشكو منه الأطفال، وهو الطعام. كل واحد منهم كان يجد في إنائه ما يحب ان يأكله. كان «جون»، أحياناً، يحب التظاهر بانه يعرف اشياء لم يسمع بها الأولاد الأخرون، بالسؤال عنها، وغالباً ما كانوا يقرأون عنها فقط، اشياء مثل: الثور البري، اليام، ثمرة الخبز.

المحمص، وغير ذلك. بيد ان «بيتر» كان يعرف مافيه الكفاية، ليستمر في تلك اللعبة، وغالباً ماكان يرمق «جون» بنظرة خاصة، عندما يرفع الى شفتيه بعض اللذائذ القريبة، مثل طير الطنان بالعسل.

وبدا الآن ان «جون» و «ميشيل» قد نسيا كل شيء عن البيت. أما «وندي» فكانت تحفظ في مخيلتها انها ما تزال ذاهبة إلى مكان ما، وانها تستطيع العودة في اية لحظة توقد ذهنها فيها. انها متأكدة تماماً إن النافذة مفتوحة دائماً، ولكن لم يحصل لها أبداً، انهم ما ان يذهبوا الى الباب الامامي، لم يكن الأمر بأهمية، عندما تغلق.

وفي أحد الايام، صدمها «ميشيل»، عندما سألها ان

كانت هي أمه حقيقة، وبعد ذلك راحت تلعب لعبة «هل تتذكر»؟

وفي احدى الليالي، بعد تناول العشاء، قالت:

– «جون، هل تذكر الوقت الذي كنا نعيش فيه، قبل مجيء «نانا»»؟

– «من هي «نانا»؟» قال ميشيل».

– «أنت تقصد «ماذا» وليس «من» ،» قال «جون» ليزعجه.

لقد نسي «ميشيل» كل شيء تماماً، وراح يصرخ ضاحكاً، على فكرة ان كلباً كان يحميه ويذهب به إلى الفراش. أحب الأولاد المفقودون اللعبة وكأنها قصة لطيفة من قصص ما قبل النوم، لأنها كانت حول بيت حقيقي، وأم حقيقية، غير ان «وندي» وجدت نفسها تخرج عن الاسئلة.. والأسوأ من ذلك، انها لم تكن متأكدة دائماً من الاجوبة. لذلك في احد الايام، عندما خرج الجميع، جلست وكتبت اسئلة امتحان نظامية، لهم.. وقد بدأت بـ–:

١ – اي لون كانت عينا ماما وشعرها؟

٢ – أين نحفظ وجار الكلب؟ ولماذا؟

٣ – هل تستطيع أن تقلد بابا وهو يقول: «قلـلوا

الضوضاء هناك!»؟

لم تكن ل «جون» أية فكرة عن السؤال الأول، لكنه حاول أن يجيب عن الاخير بطريقته الخاصة، لكنه وجد انه قد نسي ذلك تماماً. كان «نحيف» يريد ان يجيب عن الاسئلة بالحاح، فسمحوا له بذلك، لكن أجوبته كانت خرقاء لدرجة ظن معها انه قد حقق نجاحا عظيماً.

لم يحب «بيتر» اللعبة، فكان – مثلاً يجلس في ابعد مكان، أو يبدي حركات غير مسرة، مثل:

– «لا فائدة من التفكير بانكم ستعودون. اصبح لأمكم اطفال جدد، وهي لاتريدكم.»

لقد رغب في أن يوقف تفكير «وندي» في العودة الى البيت. وكان يكره الطريقة التي تبدو بها وهي تخبر الأولاد حول الاشياء المحبوبة التي تحدث وقت النوم، وتصف لهم كيف تغطيهم ماما، وتتمنى لهم ليلة سعيدة.

لقد وضعت امه قضباناً على الشباك، انه يعرف ذلك، وان لها اطفالاً أخرين. وكثيراً ما كان يعود ليراقبها من خلال الزجاج، لكنها لم تعرف ذلك أبداً.

كانت «وندي» تقلق أحياناً، لأن «بيتر» كان يختلف عن بقية الأولاد. ولم يكن مرد هذا الى انه كان متجاهلاً، لكن الطريق التي يتباهى بها. وكانت تأمل ان

لا يكون له تأثير سيء على «جون» و «ميشيل»، لأن عليهما أن يعودا للمدرسة في أحد هذه الايام. وهما سيكبران، حتى لو لم يكبر «بيتر».. وكانت تصدق ذلك بصعوبة بالغة. وحتى هنا، كان «جون» يفكر ما سيكون عليه عندما يصبح رجلاً، بينما كان «بيتر» يريد ان يستمر في اللهو مع القراصنة والهنود الحمر، طوال حياته، وكانت تشك في انه كان متأكداً تماماً انه سيربح هذه الاشياء الشاذة. ذلك لم يحدث للأولاد العاديين.

وعلى اية حال، عندما يحدث ان قلقها بدأ يوذيها، يقوم «بيتر» بمغامرة وسرعان ما تنسى أي شيء أخر.

لقد حدثت واحدة من أولى المغامرات المثيرة، في الجزيرة ، عندما وفى «بيتر» بوعده، ليريها حورية بحر. وقد اختار اليوم الذي أخرج فيه القراصنة زورقهم. وبالرغم من ان «جون» و «ميشيل» وبقية الاولاد ذهبوا معهما، الا ان بيتر» و «وندي» فقط ، تسلقا صخرة المنفيين، ووجدا الحورية. لقد شاهد الاولاد الكثير من الحوريات، وظن «جون» و «ميشيل» انه من الافضل السباحة في الهور وممارسة لعبة «ملك القلعة»، فوق صخور النهاية البعيدة.

لم تكن حورية كبيرة جداً. كانت مضطجعة في الشمس، تغني بينما هي تمشط شعرها الحريري، بمقاطع

طويلة بطيئة، ولم تشاهد «بيتر» و «وندي» الى ان مدا ايديهما ليقبضا عليها لكنها استطاعت ان تتخلص منهما، مثل سمكة، وتنسل من بين اصابعهما، نحو الماء. وقد تركت حقاً، حراشف فضية، ملتصقة في راحة «وندي». حصل «بيتر» على قسم منها أيضاً، لكنه مسحها بطريقته العملية السريعة. لم تكن حوريات البحر اعاجيب بالنسبة له. لقد عرفهم عملياً، طوال حياته. لقد كن اليفات له، عندما كان أصغر سناً، وكان يلعب معهن. لقد كان يزعجهن ويسرقن أمشاطهن، ويجلس على ذيولهن، وهن يغنين له. لكنه حذر «وندي» من خطرهن: «وانهن يسحبن الناس اللذين مثلك ومثل «جون» تحت الماء، ويغرقنهم».

– «كم كنت اتمنى أن أمسك واحدة!» تنهدت «وندي»، رغم انها في الدقيقة التالية، قد استغربت قول «بيتر»: «الناس اللذين مثلك ومثل«جون»، وكأنه كان هو شخصاً مختلفاً. لقد رغبت ان يشرح لها ذلك الامر، لكنهما جلسا وظلا يتحدثان – بعد ان ذهبت الحورية – عن البحارة والقراصنة، والطريق المرعبة التي يغرقون بها الرجال بربطهم بصخرة، حتى يأتيهم المد. لقد راقبها وهي ترتعد، واضاف بلا مبالاة بأنهم لا يبقون طويلاً،

لان ايديهم مربوطة، والصخرة تغمر بالماء تماماً، كل يوم.

لقد كان لصياح الاولاد وصراخهم، ودفعهم الواحد للأخر اثراً ساراً في نفس «وندي»، وشعرت بان كل شيء على مايرام، وفجأة كان «بيتر» يقف على قدميه صاغياً، وينظر نحو البحر وهو يظلل عينيه بيده. وفي ثوان كان الاولاد مستعدين، بانتظار أوامره، التي جاءت بكلمة واحدة، نطقت بصوت خفيض: «غوصوا!» ثم غاص الأولاد بصمت، وسبحوا تحت الماء، نحو منطقة امنة، وهم يسمعون جانبهم النبرات الجشة لاغنية القراصنة..

كان هناك صوت تجذيف، ثم شاهدوا زورقاً قادماً باتجاه الصخرة، مليء بالقراصنة، ويتحرك بسرعة. وفي الحقيقة لم يكن فيه سوى قرصانين، «سمي» و «ستاركي»، ولكن كانت معهما «زنبقة النمر»، الهندية الحمراء، سجينة مقيدة. كانت عيناها الواسعتان الفاحمتان، تحدقان من غير ان تتماعن أي شيء من مشاعرها وأفكارها. لم تظهر خوفاً أو غضباً، بل ولاحتى علاقة استثارة شفقتها رغم انها تعرف جيداً ان الموت بالماء النسبة لقبيلتها يعني لا أمل بالعودة الى «أراضي الصيد السعيدة».

«ادر رأس المركب نحو الريح، أيها المغفل»، زجر

«سمي» صائحا بـ «ستاركي» الذي كان يجذف، متجهاً نحو الصخرة.

«أدر رأس المركب نحو الريح، حتى نستطيع رفعها، ونتركها هناك، لتغرق.».

رفع «ستاركي» رأسه باتجاهها، رغم انها قالت من خلال اسنانها: «اصمت!»، لكن «زنبقة» النمر»، وهي ابنة الزعيم، لم تند عنها نشجة واحدة، ولكن بالنسبة لتفكيره، ظن انها انكمشت خوفاً منذ الأن، وبدأت تتوسل طلباً للرحمة.. وقال:

— «والأن، هذا ما حصلت عليه من طوافك خلسة حول سفينة القراصنة، والسكين بين أسنانك!».

لم تند عن «زنبقة الماء»، اية اشارة تدل على انها قد سمعته.

«الصخرة بانتظارك.. اللعنة عليك!».

قالها «سمي» وهو يتنهد بقوة.

«هنا، ليست قاسية تماماً..» احتج «ستاركي».

قاسية.. نعم.. انها أوامر.. لكنها ليست بالقساوه المطلوبة، يا «سمي»!»

— «نعم.. انها أوامر القبطان»، نخر «سمي» بانفاس متقطعة. لقد كان مجانباً قليلاً لهذا النوع من الاشياء،

وعاد يعطي مثل هذه الأوامر الى الرجال.

قام «ستاركي» بربط الزورق في الصخرة، ثم قام الرجال بتقييد يده وقدم «زنبقة النمر»، ووضعوها هناك، يراقبها الرجلان، لكنها لم تزل صامتة.

شاهد «بيتر» و «وندي» كل الأشياء، وابتعد القراصنة، ولكن اذن «ستاركي» التقطت صرخة ضعيفة تقول: «يا لـ — «زنبقة النمر» المسكينة!» جعلته ينطلق بسرعة مستديراً وهو يقول بخشونة: ما هو ذاك؟» واجيب بصيحة عظيمة من فوق الماء. الصوت كان صوت «خطاف»، لكنه كان منطلقاً من حنجرة «بيتر»:

«انتم هناك.. ايها المغفلون!»

«القبطان!» تمتم «ستاركي» بعصبية.

أغلق «سمي» فمه بيديه من غير قلق، وصاح قائلاً:

— كل شيء على ما يرام، ياقبطان. وضعنا الهندية الحمراء على الصخرة. قيدنا يدها ورجلها. لن تستطيع الهرب هذه المرة».

«اطلق سراحها.» جاء الجواب بصوت «خطاف».

تحير «سمي» وارتبك. «الأن ياسيدي القبطان،» صاح بعواء من يريد الفوز بحظوة، لكن لم يفسح له مجال:

«اقطع حبالها واسرع،» جاء ذلك الصوت الذي لا يجرأ

قرصان على عصيانه. «اطلق سراحها.. اقول لك اسرع، والا ساغمد خطافي في عينيك».

– «لا يبدو هذا عدلاً لي»، دمدم «سمي» متذمراً.

– «انها أوامر القبطان،» قال «ستاركي» ثانية، وقد اصفر وجهه من الخوف.

– «أوامر القبطان قالت ان نربطها هنا»، قال «سمي».

وعلى أية حال، قطعوا حبال «زنبقة النمر»، وراقباها بحنق وهي تنسل منهم الى ماء الهور، ولفرط دهشتها، نسيت أن تطلق صرخة الحرب، لكن «بيتر» فعلها لها، فظن الأولاد المفقودون، ان الهنود الحمر يتبعونهم، فسبحوا بكل قوتهم بعيداً.

وظل «سمي» و «ستاركي» يراقبان رأس «زنبقة النمر» الاسود، وهي تضرب الماء، عندما ارتعبا ثانية، بعدما جاءهما الصوت قائلا:

– «الى الزورق».

صاح «سمي»: «انه القبطان، بعينه»، ثم نزل الى الزورق الصغير المربوط. كان «خطاف» في الماء يسبح، ووجهه مقطبا. وساعده رجاله في الصعود الى الصخرة.

– «كل شيئ على مايرام.. ايها القبطان؟» قال «ستاركي» فرحا، لكن القبطان كان جالسا على صخرة، ورأسه

فوق خطافه، ولم يكن جوابه سوى تنهيدة عاصفة.

«خطاف» يتنهد؟ حرك «سمي» رأسه نحو «ستاركي».

– «ومرة ثانية!» اضاف «ستاركي» وهو يؤشر برأسه نحو جهة «خطاف».

تساءل «سمي» وهو ينظر بعينين طارفتين، نصف مفتوحتين: «ماالذي انتهى ياقبطان؟».

– «اللعبة انتهت!» اجاب «خطاف» بكآبة.. «اولئك الاولاد.. وجدوا اما». وفي الحقيقة انه وجد الكعكة لم تمسها يد.

رمى «ستاركي» يديه فوق رأسه وصاح: «ياالليوم المنحوس!».

– «ماهي الأم؟» تساءل «سمي» بشجاعة.

عندما سمعت «وندي» هذه الكلمات، نكزت «وندي» بمرفقها «بيتر» وهمست: «الا يعرف؟»، غير ان «بيتر» دفعها بسرعة نحو الماء، الا ان «خطاف» سمعه، ورمقه بنظرة شك، وتساءل بحدة: «ما كان ذاك؟».

وخبط «بيتر» الماء، مثل حورية ضربت الماء بذيلها، وانصت يسمع «ستاركي» وهو يقول بارتياح: «انها واحدة منهن!».

– «ام يا «سمي»،» استمر «خطاف» يقول حالما تقريبا

ولكن فوطع ثانية، ولكن هذه المرة من قبل طير كبير غريب، يطفو فوق عش بحجم الحوض.

- «آه.. «سمي»،» استمر «خطاف» يقول، وقد الهمه المنظر.. «هناك ام لك! عشها، كما ستلاحظ، لابد وانه سقط في الماء، لاشك ان بيضا فيه. ام يا «سمي»، تدافع حتى الموت بشجاعة عن صغيرها. ويبدو ان ذلك الطير يريد الغرق عندما يتحول المد».

فتح «سمي» عينيه، ونظاراته لاول مرة في مكانها الصحيح، وراقب الطير وهو يطفو بعيدا، ولكن كانت لـ «ستاركي» شكوكه، فزمجر قائلا:

- «اذا كانت تلك ام، فانها تطوف هنا لتساعد «بيتر بان»».

جفل «خطاف» فقال: «ذلك مايساورني من خوف،» وداهمه صمت كئيب، الى ان صاح «سمي» ونظرة ملتوية ارتسمت على وجهه دلت على ميلاد فكرة:

- «ايها القبطان.. نستطيع ان نخطف ام الاولاد تلك التي وجدوها، ونجعلها اماً لنا!».

- «ايها البدين والاورام الملتهبة!» صاح «خطاف» وقد زال عنه الغم.

- «خطة فخمة. سنمسك الاطفال، ونحملهم الى «روجر» حيث يا «سمي»، سوف يسيرون الواح الخشب!» وراح يغني بمرح:

«آه آه.. لوح الخشب المرح،
ستسيرون بمحاذاته، حتى...».

وضحك باهتياج. «وعندما سيغرقون، سوف تكون «وندي» اماً لنا! ها، ها، ها!».

سمعت «وندي» هذا، وقبل ان يستطيع «بيتر» ايقافها، صرخت:

- «أبداً!» لكن «بيتر» صنع مرة اخرى صوت حورية الماء وهي تضرب الماء بذيلها، واستمر القراصنة، وكأنهم لم يقاطعوا.. وتساءل «هوك»:

- «هل نحن موافقون.. يارجالي الممتازون؟»

- «نعم.. وهذه يدي دلالة الموافقة» اضاف «ستاركي».

- «وهذا هو خطافي»، قال القبطان، «اقسموا عليه».

ومن غير ادنى ارتعاش، وضعوا ايديهم فوق الخطاف، واقسموا عليه.. ثم تساءل «خطاف» بلطافة: «والآن.. اين تلك الهندية الحمراء»؟

ظن «سمي» و «ستاركي» ان هذه لابد وان تكون واحدة من اندر لحظات مزاجه الرائقة، واخبروه ان كل

شيئ سار على مايرام. لقد اطاعوا امره، وتركوها تذهب..

– «تركتموها تذهب؟» صاح «خطاف»، وقد اسود وجهه. فقال «سمي» متلعثما: – «لقد كانت اوامرك، ايها القبطان».

– «صحت عاليا فوق الماء، لنطلق سراحها.» اضاف «ستاركي» بقلق.

– «وقاحة وشيئ مرير!» ارعد «خطاف».. «ماالذي يحدث هنا!» وبينما كان ينظر من واحد لاخر، شاهد انهما صادقان، فأضاف بانكسار:

– «ايها الصبيان، لم اعط مثل هذا الامر».

– «شيئ غريب»، قال «سمي».

– «لابد ان روحا تطوف هذا الهور المظلم الليلة هذه»، صرخ «خطاف»، وهو يرفع صوته، وكان به ارتعاشة.. «الا تسمعاني»؟

وبالطبع، ظل «بيتر» هادئا، لكنه لم يستطع مقاومة الاغراء، فصاح مقلدا صوت «خطاف»: «اثقال، اشياء غريبة – مطرقة وملاقط.. اسمعكم!»

عند سماع هذا الصوت، التصق «ستاركي» بجنب «سمي»، الذي كان نفسه، ترتعش ركبتاه، غير ان «خطاف» لم يتراجع.

– «من انت ايها الغريب؟» قال.. «تكلم»!

– «انا «خطاف»، قبطان السفينة «جولي روجر»، » اجاب الصوت.

– «انه ليس أنت،» أجاب «خطاف» بخشونة... «بالتأكيد انه ليس أنت!»

– «وقاحة، وشيء مرير!»، صاح الصوت.. «ردد ذلك ثانية، وسأرمي المرساة عليك!»

شاهد «سمي» اضطراب «خطاف»، الذي أجاب بتواضع:

– «إذا كنت أنت «خطاف»، فمن أنا؟ اخبرني اذا كنت تستطيع!» وشق الصمت جواب مزعج: «أنت سمكة قد.. ليس الا سمكة قد!» شاهد «خطاف» رجليه يبتعدان عنه، عندما ردد: سمكة قد؟ ليس الا سمكة قد؟ هل قلت ذلك؟»

غمغم «سمي» الذي هو الأن بجانب «ستاركي» في اذنه: «هل كانت تحكمنا طوال هذه الفترة سمكة قد؟»

– «شيء يذل من الكبرياء الرجل،» قال «ستاركي»، «شيء ما مهين جداً» لقد كانا مثل كلبين عضا اليد التي اطعمتهما.

– «لا تتركاني، ايها الرجلان الممتازان.» توسل

«خطاف»، ومن ثم بتغيير تام في سحنته، قال:

- «هل لك صوت أخر، أنت يا «خطاف»؟»

ابتهج «بيتر» لنجاح خطته، فصاح بصوته الخاص:

- «نعم، عندي».

- «ولك اسم أخر»؟

- «نعم.. نعم.»

تشجع «خطاف» كثيرا، فراح يطرح اسئلة ليحزر اللعبة

- «خضروات؟»

- لا.»

- «حيوان؟»

- «نعم.»

- «رجل؟»

- «لا.» قبل هذا الجواب باحتقار شديد.

- «صبي؟»

- «نعم.»

حزر «خطاف» اللعبة، ولمّا كان قد ترك المدرسة، منذ زمن بعيد، فارتبك، ولم يستطع أن يتذكر ماذا بعد ذلك.. واستمرت اللعبة:

- «صبى اعتيادي؟»

- «لا.»

- «صبي اعجوبة؟»

- «نعم».. قالها «بيتر» بشبه غطرسة. فتساءل «خطاف»:

- «هل أنت في انكلترة؟»

- «لا.».. قال «بيتر».

- «أين أنت إذن؟ هنا؟»

- «نعم».

مسح «خطاف» حاجبيه بمنديله الحريري، وتخلى عن اللعبة. أشار للأخرين.. انتما جربا.. توسل اليهما. فكر سمي «بصعوبة، لكنه استسلم بهز كتفيه، أما «ستاركي» فقد نظر إلى الجانب الأخر بتجهم.. قال «بيتر» بحبور:

- «لا تستطيع أن تحزر! هل تستسلم؟»

- «نعم.. اني استسلم.»

- «أنا «بيتر بان»!» صاح الصوت بظفر.

- والأن حصلنا عليه!» صاح «خطاف». «الى الماء، يا «سمي». اهتم بالزورق يا «ستاركي». اقبض عليه، حياً أو ميتاً.»

قال «بيتر»: - «هل انتم مستعدون يا أولاد؟»

- «نعم نعم، سيدي». جاء الصوت من جهات الهور المختلفة.

– «الى القراصنة الأن – ولكن لا تنسوا – «خطاف» لي!»

كانت المعركة قصيرة وحادة. تسلق «جون» الزورق واشتبك مع «ستاركي». وبعد صراع حصل على سيف «ستاركي». قفز «ستاركي» على ظهر الزورق، فذهب «جون» وراءه وانحرف الزورق، ومن كل مكان. برزت رؤوس من الماء، وبدأ الصياح. أمسك «سمي» بـ «صافر» من ضلوعه، بوساطة فتاحة الفلين العائدة له، غير ان «أجعد» هاجمه من الخلف، قبل أن يؤذي الولد حقاً. سبح «ستاركي» من غير أدنى صوت باتجاه «نحيف» و التوأمين، ظاناً انهم فرائس سهلة المنال.

وقف «خطاف» في البحر، يرمي الماء بقوة، بمخلبه، عندما يغوص الاولاد بعيداً عن متناول يده وفمه لا ينقطع عن السباب و الاقسام الغريبة، لكنه لم يشارك الا جزئياً في المعركة. وسحب نفسه الأن فوق صخرة، ليأخذ نفساً في نفس الوقت، الذي تسلق بيتر» جانبها الأخر. كان سطحها زلقاً، لدرجة تعين معهم لى الاثنين أن يزحفا، وهكذا، ظن كل واحد منهما انه وحيدٌ، حتى تقابلا وجهاً لوجه فجأة في القمة، تقريباً. كانت مفاجاة مثيرة بالنسبة ل «بيتر». لقد حانت اللحظة المنتظرة منذ زمان طويل،



وانه لصراع حتى الموت مع القبطان العجوز الذي ترهب البحار! ولأنه أسرع من «خطاف» في تحركه، فقد اختطف السكين من حزام القرصان، ورفعها عالياً، وكان مستعداً لطعنه، عندما شاهد انه في موقع أحسن قليلاً، فهو في مكان من الصخرة أكثر ارتفاعا من «خطاف». فازدرى نفسه لاستغلاله هذه الفرصة، فمد يده ليساعده، حتى يصبحان في نفس المستوى، غير ان «خطاف» امسك اليد وعضها، وتبع العضة بخطافه، فأمسك بـ «بيتر» مرتين، وفجأة اندفع يئن من الألم، وأسرع نحو السفينة. كان التمساح يتبعه. لقد ضاعت تكتكته في ضجيج المعركة.

وفي تلك الاثناء. رتب الاولاد الزورق، واعتلوا ظهره. لم يشاهد أي واحد منهم «بيتر» أو «وندي»، منذ ان سمعوا «خطاف» لي!». وبدأوا الأن ينادون: «بيتر!»، «وندي»، عدة مرات، فلم يستلموا جواباً، لذلك ظنوا انهما قد ذهبا إلى البيت حتماً، اما سباحة أو طيراناً، وهم، انفسهم، ذهبوا إلى الشاطيء، بروح عالية بعد النصر الرائع الذي حققوه.

وفي الحقيقة، كان «بيتر» مضطجعاً فوق الصخرة، اضعفه مخلب «خطاف». وجدته «وندي»، لكنها كانت

متعبة جدا، وجرت نفسها بصعوبة الى خارج الماء. تسلقت الصخرة وهي متألمة.. غارت بجانبه، وظلا هناك، حتى جاءت حورية زاحفة وحاولت أن تسحب «وندي» فوق حافة الهور. شعر «بيتر» بانها تنزلق بعيدا عنه، فقرر ان يمسك بذراعها ليرجعها، وذلك ماعاد اليه حواسه، وحاول ان يفهمها الخطر الذي هما فيه.. فحذرها قائلاً:

- «المد قادم.. ونحن على صخرة المبعدين... سيغطينا الماء حالاً.»

نظرت نحوه ببلاهة وقالت: - «علينا أن نعود إلى البيت حالاً إذن.»

وافقها قائلاً: «نعم.. حالاً،» لكنه لم يتحرك.

- «هل نسبح أم نطير؟» سألته، وقد أصبحت في وضع أحسن قليلاً، لأنها استردت قوتها.. سألها «بيتر»:

- «هل تستطيعين أن تسبحي أو تطيري من غير مساعدة؟»

- «لا أظن أنني استطيع ذلك يا «بيتر».. انا تعبة.» ندت عنه زمجرة قليلة، ونظرت نحوه باشتياق. فشرح لها قائلاً

- «جرحني «خطاف». لا أقدر أن أساعدك يا «وندي».

عليك أن تدبري أمرك بنفسك.»

– «لكننا سنغرق لو بقينا!» صرخت وهي قد بدأت تشعر بخوف. أغلق «بيتر» عينيه. وفي اللحظة التالية، مس وجهه شيء خفيف.. لقد كان ذيل طائرة ورقية....: «طائرة «ميشيل»!» غمغم وأغلق عينيه ثانية. لقد مزقتها الريح عندما كان «ميشيل» يلعب بها. وشاهداها تبتعد. نهضت «وندي» بسرعة وامسكتها. وشاهد «بيتر»، الذي كان يراقب ما يجري، كيف أن الريح تدفعها، وبدا انه قد نشط فجأة.. فقال:

– «لقد رفعت «ميشيل» عن الارض.. هل عندما كان يلعب بها.. هل تذكرين ذلك؟ قد تحملك الى الشاطيء. الريح قوية الأن.»

– «كلانا».

اصرت «وندي» على ذلك. هز رأسه:

– «حاول «ميشيل» و «أجعد»، لكنها لم ترفعها.»

– «لنسحب قرعة اذن».. قالت بعناد.

– «لا.. لا.. لن نفعل ذلك.» لقد عاد «بيتر» الى وضعه، كما كان، ثانية.

«أنت بنت!»

ثبت ذيل الطائرة الطويل حولها. ودفعها لتبدأ

بالطير.. ارتفعت في الهواء، وحلقت فوق الهور، باتجاه الشاطيء. وعندما ذهبت، أدرك «بيتر» كم اصبحت الصخرة صغيرة. راحت الامواج تتكسر عليها بقوة، ولم يبق الأن سوى جزء مدور قليل منها، تحت قدميه.. وحتى ذلك الجزء، راح يبلله الرذاذ. وفوق الصوت الهادر الامواج القادمة المتكسرة على الصخرة، سمع فجأة صوتاً غريباً غير انسي. لقد كانت الحوريات تغني للقمر. ولم يكن هناك شيء في العالم أكثر حزناً من ذلك الصوت. وقف، ولصق قدميه، وحتى يشغل اقل حيز ممكن، لكنه ارتعش عندما نظر نحو الاسفل الى الماء. لقد كانت الأمواج تتكسر فوق قدميه، وبدأ الماء يزحف عالياً، نحو مرفقيه. وبحركة تحد رشيقة، مد يديه عبر صدره، وهز رأسه عالياً وهو يقول لنفسه: «الموت سيكون مغامرة خرقاء كبيرة!». لكنه لم يفعل ذلك. نظر حواليه، فشاهد ماظنه قطعة من ورقة بيضاء تغطس وتغور فوق الامواج، وتساءل، بتكاسل، كم من الوقت ستستغرق عملية الوصول الى الشاطيء. ثم لاحظ انها لم تكن تنجرف مع المد، بل كانت تذهب ضده، بتعمد وعن قصد. لم تكن قطعة من الورق، ولكن كانت طيراً عظيماً شاهده «خطاف» وهو يطفو فوق عشه. وكما حدس «ستاركي»،

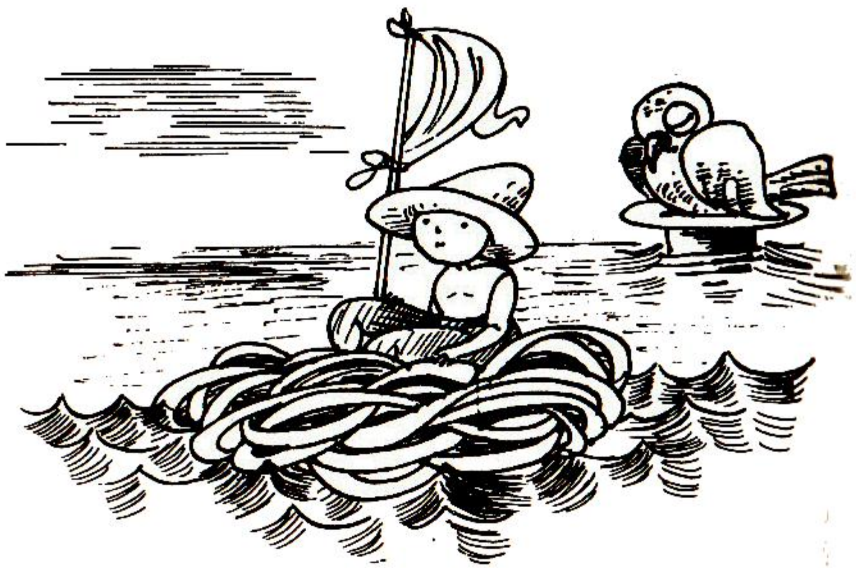
فانه جاء لمساعدة «بيتر»، وكان يصارع بقوة للوصول اليه.

لم يفهم ذلك في أول الأمر، لكنه رأى فرصة هروبه ممكنة. عندما لمس العش الصخرة، طارت الأم، وهي تصيح عالياً، فوق رأس «بيتر»، موبخة اياه خوفاً من أن يدع العش ينجرف بعيداً، مرة ثانية. أمسك العش برشاقة، وهو يراقبها بعين واحدة خوفاً من أن تنقض عليه، لأنه كانت توجد في العش بيضتان. كانت خائفة جداً لئلا يكسرهما، عندما يتسلق العش، وظلت تنظر اليه بعينها الصفراء، بحدة، وهي تخفق فوق رأسه، تصيح بعصبية.

كانت البيضتان كبيرتين، ورأى بيتر انه لايوجد مكان يكفيه ويكفيهما في نفس الوقت. نظر حواليه ليجد شيئاً يضعهما فيه.. وهناك، لمح خطاف الزورق، الذي ما يزال معلقاً في الحلقة التي ربط بها «ستاركي» الزورق، كانت معلقة قبعة احد بحارة «ستاركي»، وهي مصنوعة من قماش مشمع اسود فاحم. شق «بيتر» طريقه نحوها بعناية، فوجدها طافية رأساً على عقب، وان الماء لا ينفذ منها، لذلك وضع البيضتين داخلها، ودفعها، بعد ان خلعها من الصخور، فراحت طافية فوق الماء. طارت الأم

نحوها، شاكرة اياه على رعايته، ورقدت على بيضتيها، ثانية.

أخذ «بيتر» خطاف الزورق معه، وخطا بحذر نحو العش، واندفع نحو الشاطيء وفي الحال تقريباً، مزقهمها المد، «بيتر» في العش، والطير في قبعة «ستاركي». جعل من خطاف الزورق سارية، وربط بها قميصه، فاصبح شراعاً، وراح يصيح مثل الديك، عندما حملته الريح بخفة، فوق الأمواج. هذه مغامرة جيدة أيضاً. واطلق صيحة حيوية اخرى من صيحاته الشبيهة بصيحات الديك.. وراح يرددها فوق الامواج، وهذا ما جعل الطير الأم تجفل، فانكفأت راقدة على بيضتيها في القبعة، التي وجدت صعوبة في ركوبها، لا كما كان عشها.



الفصل السادس

البيت الذي تحت الأرض

عندما عرف الهنود الحمر، ان «بيتر» هو الذي انقذ «زنبقة النمر» من القراصنة، لم يعد هناك شيء لن يفعلوه في سبيله. في النهار دخنوا غلايين السلام، بين الأشجار المجوفة، وفي الليل ظلوا يحرسون البيوت التي تحت الأرض. وعندما يشاهدون «بيتر» فانهم ينحنون له الى الأرض – وكان يحب كثيرا ذلك كثيراً جداً. وكان يحب ايضا انهم لايكلمون احداً سواه. لقد سموه «الأب الأبيض العظيم». وعندما كان يقوم بجولته الليلية الأخيرة فوق الارض، كان يشكرهم دائما بطريقة جليلة، لحمايتهم.. وقد اعتاد أن يقول : «الأب الأبيض العظيم فرح، وهو يشاهد محاربي «البيكاينني» يحمون كوخه من القراصنة».

كان رئيس القبيلة الهندي، دائماً يجيب : «هو لا، لولا، لولا. واه، واه، واه! الثعبان الأصفر الكبير العظيم يتكلم.». وكانت «زنبقة النمر» تتحدث بامتنان دائماً، لـ



«بيتر» مساء، مؤكدة له انها صديقته مدى الحياة، ولن تدع القراصنة يؤذونه، أويؤذون أي واحد من جماعته. وعند ذلك كان الشجعان دائماً يصيحون عالياً : «أوغ، أوغ، أوغ!» وعندما تضيف : «زنبقة النمر» تتحدث، فانها كانت تعني ان المؤتمر قد انتهى، وكان «بيتر» دائماً يضيف، ليظهر ان حديثه قد انتهى ايضا : «جيد. «بيتر بان» يتحدث».

اعتاد «جون» أحياناً ان يتوقف ويتحدث للشجعان بلغة الاشارات، ليستطيع أن يرى عن قرب خصلات فروات رؤوسهم، المثبتة بها ريشات العقبان.

وكان يسمح له ان يقبض بيده على فؤوسهم ويحملها، والتي اعتادوا على وضعها في احزمتهم، وكان يمتدح الاغطية المخططة التي يلفون بها انفسهم في المساء. ولكنه كان يحسدهم على قمصان جلد الغزال المكشكشة التي يرتدونها، وأكسيه السيقان المعدة للسباق.

وفي احدى الليالي، بعد وقت من مغامرة الصخرة، كان «بيتر» يصطاد، وبقية الأولاد جالسة حول مائدة العشاء، التي ترأسها «وندي» طبعا. وفي الاعلى، كان الهنود الحمر، كالعادة يحرسون باخلاص. هذه الليلة، وبسبب ماحدث قبل انتهائها، سميت ليلة الليالي.

كان الاولاد يحدثون اصواتاً هادئة كتيمة. لم تنجح «وندي» في تحسين اداب المائدة لديهم، كثيرا جدا. كانوا يتحدثون جميعا مرة واحدة، وافواههم مليئة بالطعام. كانوا يمدون ايهديهم ويختطفون أي شيئ يريدونه. كانت هناك قاعدة بسيطة استطاعت ان تجبرهم عليها، وهي ان لايضرب اي واحد منهم الاخر، وهم على المائدة، لكن حتى هذا لم تنجح فيه كما كانت تأمل. لقد استطاعت ان تحسن شيئا من هذا القبيل بان قالت انه اذا كانت لدى اي واحد شكوى، ضد أي واحد اخر، فعليه ان يخبرها بها بطريقة لائقة. والطريقة اللائقة، كما تعلمتها في المدرسة، رفع اليد اليمنى، والانتظار حتى يعطي الاذن بالكلام. لقد ظن الاولاد المفقودون ان هذه مزحة تقود الى فضيحة صغيرة، وعليها ان تتحمل لسماع مثل هذه الشكاوي :

«لااستطيع أن أضربه الان، لكنني اشكو من «.....» (أو أي واحد يكون»، لأنه أخذ الكعكة التي اردتها – وعنده اربع كعكات!».

في ليلة الليالي هذه، كانت الضوضاء لاتحتمل تماماً، فصاحت «وندي» : «اصمتوا!»، بصوت مرتفع، لدرجة. ان كل واحد بدأ يكف عن الكلام، وكل

ماأرادت أن تقول هو : «ياعزيزي «نحيل».. هل ان اناءك فارغ؟».

كانت هناك ضحكة نصف مكتومة، عندما نظر «نحيل» في انائه بعناية – واجاب بصوته الخفيض العميق : «ليس – تماماً – شكراً – لك».

– «انه حتى لم يبدأ باحتسائه!» قال «ريشة الكتابة».

– «اشاعة!» قال «نحيل»، ثم رفع يده اليمنى وقال : «لدي شكوى ضد «ريشة الكتابة».....» ولكنه قبل ان يقول ماهي، نهض «جون» (الذي كان يشعر بانزعاج، وقال : «أنا ذاهب لأجلس في كرسي «بيتر»، طالما هو ليس هنا».

«جون»، احتجت «وندي» على مثل هذه الوقاحة.. «تجلس في كرسي والدك! بالتأكيد لا!».

نظر اليها «جون» وقال : «انه ليس والدنا الحقيقي. انه لايعرف كيف يكون ابا حتى أريته ذلك».

لم يعجب التوأمان بذلك الصوت، لذلك رفعا ايديهما، وقالا انهما يودان أن يقدما شكوى ضد «جون» .

كان «صافر» منزعجاً على نحوما، فقال بحياء : «أنا أفترض انني أستطيع أن أكون أباً.. هل استطيع ذلك؟»

– «لا!» صرخ بقية الأولاد.. «لا يا «صافر»».

«لااعتقد ان «ميشيل» سيدعني اكون طفلاً لفترة قصيرة بدلاً من ذلك.. هل تفعل ذلك يا «ميشيل»؟» تساءل..

– «لا، لن أفعل،» قال «ميشيل» الذي كان في المهد، وفي الحال جعله يهتز جيئة وذهاباً.

– «هل أستطيع أن أكون توأماً؟ إذن؟» اصر «صافر».

– «لا، لن تستطيع،» قال التوأمان.. «من الصعب جداً أن تكون توأماً».

أطلق «صافر» تنهده عميقة، وغمغم في يأس: «إذا م استطع أن أكون شيئا ذا شأن، هل يود أحد منكم أن يراني أعمل حيلة؟».

«لا!» صاح بقية الأولاد سوية.

– «خفت انهم لن يفعلوا ذلك،» قال «صافر»، وساده صمت حزين.

استدار التوأمان نحو «نحيل»، وقالا يشكيان انه كان يسعل فوق المنضدة، و «نحيل» يحملق بهما، ويراقبهما بترو:

«عند الاطفال تفاح للعشاء، وأنا لم اذق التفاح».

– «أطفال حقاً»، ناحت «وندي»، بصوتها الاومي

الممتاز. «أنا غالباً ماأستغرب اذا كنتم تستحقون حقاً كل المشاكل التي تحدثونها لي. والآن، اهدأوا رجاء، جميعكم، بينما سأجلب سلة الجوارب، وارى مابها. «صافر» تستطيع أن تذهب. ذلك يعطيك فرصة لتعمل شيئاً. «جون»، هيئ النار. أبوك يحب أن يرى نار مشتعلة. عندما يعود الى البيت من الصيد. بقيتكم، ترتب الغرفة.. بهدوء.. تذكروا ذلك».

وباطاعة، انهمكوا في تنظيف المائدة، وجعلوا الغرفة تليق بعودة «بيتر». جلست «وندي» قرب المائدة، تفرز الجوارب القصيرة، ذات الثقوب الكبيرة، وسرعان مابدأت ترتقها بهمة.. وقالت في الحال:

– «اسمعوا ياالاطفال. اظن انني اسمع وقع خطوات ابيكم. اجروا وافتحوا الباب له. انه يحبكم عندما تفتحون له الباب».

انسلوا ووثبوا الى باب «بيتر». وكان «صافر» هناك في الوقت الذي كان فيه الهنود الحمر ينحنون، ويسمع «بيتر» يقول:

– «كل شيءٍ حسن. احرسوا جيداً ياشجعاني.. أنا اتحدث...».

وعندما خطا نحو الاسفل، مد يده نحو حقيبة الصيد،

واخرج منها جوزاً للاولاد.

– «بيتر».. انت تفسدهم !» صاحت «وندي» بارتباك.

اقترب من النار، وهو يؤرجح حقيبته، وعلق بندقيته في مكانها .

– «هل اصطدت شيئا يا «بيتر»؟» تساءل «جون»، وكأنه ندله .

– «نمران، وقرصان». اجاب «بيتر» بلا مبالاة .

– «هل جلبت رؤوسها؟» استفهم «جون» منه .

– «بالطبع،» قال «بيتر» بغطرسة، «انها في الحقيبة».

لم يتحرك «جون» لينظر، غير ان «وندي» اسرعت ومدت انفها في داخل الكيس القديم، الذي كان هو حقيبة صيد «بيتر»، وصاحت : «أوه، «بيتر»! أليست رائعة؟» .

كان «ميشيل»، «أجعد» و «ريشة الكتابة» يتواثبون فرحاً، ونادوا «بيتر» ليرقص معهم ..

– «ماذا، أنا؟» قال «بيتر» ضاحكاً.. «عظامي القديمة ستتضعضع !».

– «تعالي ياماما،» توسل «ريشة الكتابة»، «تعالي !».

هزت رأسها : «امكم جميعاً أيها الأطفال، ترقص! يالها من فكرة !».

– «إن – إنها ليلة السبت»، ناشدها «نحيل».

لم يكن يعرفون اي يوم من أيام الاسبوع كانوا فيه، لكن القول انها كانت ليلة سبت، غالباً مايجعل «وندي» تمنحهم دعوة للمنقة والمرح، فصاحت :

– «آه... انها كذلك اذن. في هذه الحال، ماذا تقول يا «بيتر»؟».

– «الناس الذين من شكلنا؟» اعترض وهو يهز ساقه النحيلة.

– «اه.. ولكن في بيتنا الخاص، ومع أولادنا الخاصين،» ناشدته قائلة ذلك.. «ألا تظن اننا نستطيع أن نفعل ذلك؟ لمرة واحدة فقط؟».

استسلم «بيتر» بلا مبالاة، فاخبرتهم أن يتهيأوا للذهاب الى أسرتهم أولاً، ويغتسلوا وينظفوا اسنانهم وكل شيْ، فاندفعوا مسرعين، تاركين «بيتر» و «وندي» قرب النار.. قال «بيتر» :

– «حسن ايتها السيدة العجوز.. هل هناك شيْ اكثر متعة ، بعد عمل يوم، من الاستراحة قرب النار، ومراقبة صغارنا وهم يلعبون؟».

ذلك ماكانت «وندي» تتمنى سماعه منذ فترة، فأجابت بسرعة : – «نعم.. انه شيْ سماوي.. اليس

كذلك يا «بيتر»؟ اتعرف يا «بيتر»، ان لـ «أجعد» انفك؟».

– «وأنا غالباً ما أظن ان «ميشيل» يشبهك،» قال «بيتر» ذلك، بابتسامة متكلفة.

اتجهت نحوه ووضعت ذراعها حول كتفيه، وهذا لم يكن يحبه، فشق طريقه مبتعدا عنها..

قالت له: – «ياعزيزي «بيتر».. مع مثل هذه العائلة الكبيرة، ذات الاولاد البالغين، علي بالطبع، أن أتجاوز كل طاقتي، لكنك لاتحب التغيير ابداً.. أليس كذلك؟».

– «لا، لا،» قال «بيتر»، وهو ينظر بعيداً، لذلك سألته بسرعة: «ماذا يا «بيتر»».

تردد، ثم دمدم: «انه تمثيل.. أليس كذلك؟ اقصد انني لست حقيقة اباهم؟».

– «أوه.. طبعاً،» وافقت «وندي» بصوت خفيض نوعاً ما.

– «لو كنت اباهم حقيقة، لكنت في أرذل العمر،».

قال «بيتر» ذلك، لكنه كان يشعر بالتحسن الان.

– «لكنهم أولادنا،» أصرت «وندي» بعد لحظة.

– «ليسوا في الحقيقة،» اجاب بخفة، رغم انها جعلته يشعر بعدم تأكيد.

– «لا اذا لم تكن ترغب بذلك طبعاً،» اعترفت له بقساوة، فسمعت منه تنهدة ارتياح، قبل أن يقول بارتياح: – «وأنا لاارغب».

ذهب بعدها الى الجانب الاخر من الموقد، وشغلت نفسها بالجوارب. وبعد صمت مرتبك، سألت: «بيتر».. ماهي حقيقة شعورك نحوي؟».

كانت في يده قطعة من الخشب وسكين.. وكانتا تشغلان باله تماماً في تلك اللحظة وتتطلبان اهتماماً، لذلك بدا جوابه وكأنه شارد الذهن، عندما ردد قائلاً: «شعور؟» ومن ثم، وكأنه تذكر شيئا كان قد تعلمه مرة، ببعض الارتباك، أضاف: «اه نعم! اشعر مثل ابن لك، يا «وندي»، ابن مخلص!».

لم يكن ذلك الجواب الذي تريده «وندي»، فاستمر يقول:

– «البنات مضحكات جداً. «زنبقة النمر» نفس الشيء، انها دائماً تسألني أن أكون لها شيئا او اخر، بالرغم من انها لاتريد أن تكون أمي».

«لااعتقد انها تفعل ذلك،» بالرغم من انها لاتريد أن تكون أمي».

«لااعتقد انها تفعل ذلك،» قالت «وندي» بضجر..

بينما كان «بيتر» يزداد سخطا، فتساءل بخشونة : «عن اي شيء اذن كل هذا؟».
– «ليس هذا مايجب ان تقوله فتاة،» أجابت «وندي» وهي تزداد سخونة كذلك.
وقف «بيتر» على قدميه، وأخذ يختال قليلاً، فقال : «حسناً.. سأسأل «تنك».. رغم انني استطيع القول انها أمي!».
«من خلف ستارة غرفة نوم «تنك»، جاءت جلجلة اجراس معروفة تعني :
«حمار غبي!».
– «انا اتفق معها مرة،» نطقت «وندي» تلك الكلمات بلذاعة، فالان قد بدأ النزاع، لكن عودة الاولاد جعلتها تضع عواطفها جانبا.. جاؤوا يركضون نحو الداخل، واتجهوا مباشرة الى السرير الكبير، فحلوا الحبال، وأنزلوه. ثم غنوا ورقصوا. احيانا كانوا يرقصون فوق السرير، واحياناً على الأرض، وأحيانا أخرى يقفزون الى الاعلى والاسفل، وهم يقفون على رجل واحدة. كانوا ينحنون على السرير، ويتشقلبون فوقه. وكانوا يمسكون بالوسائد ويرميها الواحد على الاخر، في معركة الوسائد الكبيرة. وفي الأخير، عندما أرادت «وندي» أن تهدأهم، ذكرها «ريشة الكتابة» بانه قد حان وقت القصة. فقالت :
– «حسن جدا.. ولكن ليس قبل أن تكونوا جميعا في السرير».
– «ذلك – لن – يستغرق – وقتا طويلا،» قال «نحيل»، وهو يدفع نفسه تحت غطاء السرير، في تلك اللحظة.
جلبت «وندي» سريراً، وبدأت.
– «كان هناك، مرة، رجل مهذب».
– «كنت اتمنى أن يكون فتاة،» قال «أجعد».
– «أو جرذي»، قال «ريشة الكتابة»... «نعم، افضل لو انه كان جرذاً».
– «اذا لم تهدأوا، جميعكم، فلن تكون هناك قصة،» قالت «وندي»، واستمرت تقول : – «كانت هناك فتاة ايضا. اه لو تنتظرون معي حتى اصل اليها. اسم الرجل المهذب السيد «دارلنك»، واسم المرأة السيدة «دارلنك»..
– «أنا اعرفها،» قال «جون» وهو مستغرب.
– «اظن ذلك أنا ايضا،» اضاف «ميشيل» بشك.
– «كانا متزوجين، كما تعرفون،» استمرت «وندي» تقول «... وماذا تظنون كان عندهما؟».

– «جرذان بيض؟» تساءل «ريشة الكتابة» املا ان تكون اجابته صحيحة .

– «لا !» أجابت «وندي» بنبرة تقزز. «ابناء. كان لها ثلاثة ابناء. للجرذان البيض ابناء ايضا، بالطبع. لكل شيء ابناء، كما اعتقد».

– «أنا ابن،» تباهى «جون» بفخر.

– «وهل أنا ايضا؟» تساءل «ميشيل» بسرعة .

– «انتما الاثنان ابنان، وانا ايضا،» اجابت «وندي»، كلنا جميعا ابناء».

– «مرحى!» صاح «ريشة الكتابة». «نحن ابناء!». وبدأ جميع الاولاد يفخر بانهم ابناء، ويسأل أحدهم الاخر : «هل انت ابن يا «أجعد»؟.

أنا ابن». والجواب : «أنا ابن ايضا! كلنا ابناء!» — الى ان راحت «وندي» تربت على نهاية الفراش :

– «وكان لهؤلاء الابناء الثلاثة مربية مخلصة اسمها «نانا»..

استمرت تقول، غير ان «ميشيل» اعترضها قائلا : «ياله من اسم سخيف!»

– «في احد الايام غضب السيد «دارلنك» مع «نانا»، وربطها بالسلسلة في الطابق الاسفل، في المطبخ، لذلك لم يكن باستطاعتها العناية بالابناء الثلاثة في تلك الليلة،

فطاروا الى الارض الخيالية، حيث وجدوا الاولاد المفقودين».

– «اظن ان ذلك مافعلوه،» قال «أجعد»، «لااعرف لماذا، لكنني كنت اشعر ان ذلك ماسيحدث... قال «صافر» متسائلاً : «هل كان اسم احدهم «صافر»؟».

– «نعم»، قالت «وندي».

وفي الحال جلس «صافر» في سريره ممتداً، وقد رفع رأسه عالياً، وتوهج خداه بالاثارة.. «انظروا لي»، صرخ.. «أنا في القصة! «ريشة الكتابة»، أتسمع؟ أنا في القصة!».

– «قللوا من الضوضاء هناك»، زجر «بيتر»، الذي كان يبري قطعة من الخشب ليصنع منها مزماراً للرقص. وفي نبرة عاطفية، استمرت «وندي» تكمل قصتها : «أنا اريدكم ان تعرفوا الان حالة السيد والسيدة «دارلنك» التعيسة، عندما يكتشفون ان أولادهم الثلاثة قد طاروا بعيداً .

فكروا بهم، وهم يكتشفون الأسرة فارغة».

كان الجميع يقول : «اه!» بعد كل جملة، لكنهم كانوا يبدون بلا جدال، مرحين. قال احد التوأمين : «انا اظن ان الموقف حزين جداً».

وقال الاخر: «لاأرى ان لها نهاية سعيدة.. أليس كذلك، يا «ريشة الكتابة»؟».

– «اه،» قالت «وندي»، وهي تحرك اصبعها باتجاههم، لو كنتما تعرفان أيها التوأمان مايشبه حب الأم، لما خفتما من ذلك».

– «أنا أحب حب الأم،» قال «صافر»، وهو يهز الوسادة حوله، ويرمي بها وجه «ريشة الكتابة». «هل تحب حب الام، يا «ريشة الكتابة؟». – «الى حد ما!» صاح «ريشة الكتابة»، وهو يحمل وسادة اخرى ويرميها الى الخلف.

– «بطلتنا،» قالت «وندي» وهي تبدو واثقة من نفسها، لأنها كانت تعني نفسها، «دائماً يعرفون ان امهم ستترك الشباك مفتوحاً لاطفالها، ليعودوا منه، حتى لو انهم ظلوا بعيدين لدهور – سنوات، أنا اظن انه يجب أن يكون كذلك. قالت ذلك بضعف.

– «الم يعودوا؟» سأل توأم.

– «دعونا نلقي نظرة الان نحو المستقبل،» واصلت «وندي»، محاولة ان تجعل أبصارهم عليها. «مضت السنون – ولكن من الذي يجثم في محطة قطار لندن؟ سيدة، أنيقة عمرها غير معروف؟».

– «من؟» تساءل «ريشة الكتابة» بشوق.

– «قد تكون – نعم – لا – لا – نعم، انها اللطيفة «وندي»! ومن هما الشخصان النبيلان الحلان اللذان يرافقانها؟ هل هما «جون» و «ميشيل»؟ نعم، انهما هما».

حييت التعجبات والفوغاء القليلة هذه الحالات المثيرة.

– «واسمعوا الان، يا أخوتي الاعزاء».

قالت اللطيفة «وندي»، وهي تؤشر الى اعلى الطابق الثاني: «مايزال الشباك مفتوحاً». لذلك طاروا الى ابويهم الحزينين، ولايستطيع القلم أن يصف المشهد المفرح الذي تلا ذلك، والذي سوف نزيل النقاب عنه الان».

ان تأثير ذلك الذروة قد افسد بوساطة انين اجوف فظ، اطلق من منطقة الموقد، حيث كان في الحقيقة «بيتر» هناك، لايكاد يحتمل سماع الحكاية. كان الأنين واقعياً جعل «وندي» تركض نحوه، وتصرخ: –

– «بيتر»! ماذا حدث؟ هل أنت مريض؟ أين الألم؟».

– «ليس ذلك النوع من الألم،» أجاب بسوداوية.. «اذا كنت تظنين ان الامهات مثل ذلك، يا «وندي»، ويتركن الشبابيك مفتوحة لاطفالهم الذين يهربون، فانت على خطأ يا «وندي»! كنت اظن انها تفتح الشباك لي، وأنا بقيت مبتعداً كما فعلتم – وعندما عدت، كانت هناك

قضبان حديد في الشباك، وولد اخر يجلس في سريري ونسيت أمي كل شيئ عني».

الشباك مسيج بالقضبان؟ ولد اخر؟ نسيته أمه؟ شيئ كيف يصدق! تحرك الاطفال بغير راحة، وقد شعروا فجأة بالخوف.

– «لنعد الى البيت،» قال «ميشيل»، وقال «جون» ايضا : «من الأفضل أن نذهب الى البيت، يا «وندي»».

غير ان «وندي» كانت ماتزال تنظر نحو «بيتر»، ليست غير مصدقة اياه تماماً. فسألته أخيراً : «هل انت متأكد ان الامهات مثل ذلك؟».

– «نعم»، قال «بيتر». ضمت أخويها اليها، وقالت بسرعة كبيرة :

– «علينا اذن ان نذهب الى البيت».

– «تذهبون؟» ردد «صافر» ببؤس.

– «ليست الليلة؟» صرخ أحد الأولاد المفقودين، وقد أربكه التغير المفاجيئ في الجو.

– «حالاً،» قالت «وندي»، من غير ان تنظر اليهم.. «فكر يا «جون»،» أضافت مؤكدة، «قد تضع أمنا اشياءنا بعيداً في أكياس الخزامي، الان!».

لقد عنى ذلك انها تخلت عن امل رؤيتهم مرة ثانية،

وهو شيئ أرعب «وندي»، لأنها تحدثت مع «بيتر» بحدة، فقالت : «ارجوك ان تهيئ الأشياء المهمة حالاً».

انه يستطيع أن يكون بارداً مثلها، وفعل ذلك. أجاب : «بالتأكيد،» وكأنها طلبت منه ان يناولها الجوز. وفي الحقيقة، لم يستطع تحمل التفكير في انها تبتعد عنه، لكنه لم يظهر ذلك. نهض بلا مبالاة، وصعد درجات باب شجرته، لكنه هناك، في الظلال تنفس بغضب، وهو يتمنى لو انه يستطيع أن يقتل كافة البالغين بنفخة واحدة، وخصوصاً السيد والسيدة «دارلنك». لكنه فعل ماسألته، وخرج ليخبر الهنود الحمر ليستعدوا لرحلتها.

أخبرت «وندي» «جون» و «ميشيل» لأن يستعدا بينما تحزم حاجياتهم، بالرغم من انه لم يكن هناك شيئ كثير ليأخذونه معهم ؛ كيس واحد فقط.

تجمع الأولاد المفقودين سوية وراقبوا التحضيرات بشعور التحذير الذي راح يتنامى بسرعة الى ألم. ماالذي سيكون عليه الأمر من غير «وندي» الان؟.

– «ستكون الحال اسوأ من قبل حضورها،» قال «ريشة الكتابة» بارتعاش وهز الاخرون رؤوسهم.

– «لاتدعونا نتركها تذهب،» صرخ «صافر». «لاتدعوها تذهب».

– «لنحتفظ بها سجينة،» قال أحد التوأمين.

– «نعم،» وافق «نحيل» بكآبة شديدة. «قيدوها بالسلال».

– «صافر،» صاحت «وندي» بهياج، «اناشدك».

هز «صافر» رأسه من جانب لآخر، وغمغم وهو غير مرتاح: «أنا لست الا «صافر». لأحد يهتم بي.. لكن.. لكن.. اي واحد سوف لن ينفذ ماتقوله، سأحاربه... سأسفح دمه».

كان يقف بشجاعة، ولم يختف حتى عندما سمع «بيتر» عائداً. وبعد القاء لمحة على قبطانهم، عرف الأولاد انهم لن يستطيعوا أن يقدموا له مساعدة. لايستطيع أن يفعل قيد أنملة لابقاء «وندي». فتمتموا بصوت خفيض: «حسناً».

نظر «بيتر» ببرود نحو «وندي» وأخبرها قائلاً: «سيقودكم الشجعان عبر الغابة كاطارات طائرات. بعد ذلك، ستأخذكم «تنكربيل» عبر البحر. ايقظها يا «ريشة الكتابة».

كانت هناك بعض الاصوات الكظيمة صادرة من خلف ستارة «تنك»، ولكن كان على «ريشة الكتابة» ان يطرق الباب مرتين، قبل أن ترد. لقد سمعت «وندي» كل

ماجرى وحدث، وكانت مغتبطة لأن «وندي» ستذهب.

ولكن عندما قال «ريشة الكتابة»: «يقول «بيتر» ان عليك أن تنهضي يا «تنك»، وتأخذي «وندي» في رحلة،»، أصدرت نبرة واحدة عالية، والتي كانت تعني بوضوح: «لن أفعل!» وبعد ذلك جلجلت كثيراً دلالة على السباب التام، وفتح «ريشة الكتابة» عينيه على سعتيهما عندما قال: «انها تقول انها ترفض».

وفي خطوتين واسعتين طويلتين، كان «بيتر» قرب الباب الصغير. «اذا لم تنهضي وترتدي ملابسك حالا يا «تنك»، قال بصرامة، «سأفتح الستارة، وسيشاهدك الجميع في ثوبك الفضفاض!» جعلها هذا تثب خارجاً تجلجل بتحد: «من قال انني لم أنهض؟».

وعندما سارت في طريقها، استدارت «وندي» نحو الأولاد المفقودين، الذين كانوا يحومون ويحدقون فيها وهم في حالة يائسة، وكأنهم اطفال غير مدعوين لحفلة. حن قلبها اليهم مرة اخرى، فصرخت: – «ياأعزائي، لو تأتون معنا، فأنا متأكدة – بل متأكدة تقريباً – انني استطيع ان اجد أباً وأماً يتبنيانكم».

لقد كانت تعني بالدعوة، الى «بيتر» بصورة خاصة، والذي تجاهلها. توقف «ريشة الكتابة» في منتصف شقلبة

فرحه، ليقول : «أقول، هل يستطيعون أن يجدوا لنا أكثر؟» – وكان عليها أن تفكر بسرعة، قبل ان تجيب، لأن الشك نفسه، كان يساورها .

– «أعني اسرة قليلة في حجرة النوم، كما أتوقع،» قالت ذلك بمرح، «ولكن بالمستطاع اخفائهم خلف الستار، في ايام الخميس، عندما تحيي ماما حفلات شايها».

نظر الأولاد بالتماس الى «بيتر» ؛ فقد كان، فوق كل شيء، قبطانهم .

– «هل نستطيع الذهاب»، قالوا له بتوسل. لقد افترضوا مسلمين انه سيذهب كذلك.

– كان في يدي «بيتر» المزمار الذي صنعه قبل وقت قصير، ونفخ فيه، قبل أن يقول : «حسن». ومن غير اية كلمة، أو القاء نظرة ثانية عليه، اندفعوا حواليهم بجنون يجمعون «كنوزهم» ويكومونها ليأخذونها معهم. لقد لاحظتهم «وندي» بصعوبة. كانت عيناها مستقرتين على «بيتر». «اجمع اشياءك ايضاً». قالت بنعومة، لكنه بدأ يرقص، على لحن رأسه، واجبها، بلا مبالاة :

– «أوه.. سوف لن اتي !».

توسلت اليه وهي تبكي، أن يغير رأيه، لكنه اكتفى بهز رأسه، وراح يعزف بحماس اكثر في مزماره، يرقص

حواليه. وبالرغم من انها فكرت في ان ماستفعله لايليق بها، الا انها راحت تجري وراءه. عاد الأولاد وهم يحملون صراتهم فوق أكتافهم. وقد استثيروا جميعاً، وراحوا يضحكون ويتحدثون .

– «بيتر» لن يأتي،» أخبرتهم «وندي».

حتى «جون» نظر بخيبة للحظة، واعاد القول : – «بيتر» لن يأتي؟».

تساءل «صافر» : – «لماذا لا، يا «بيتر»؟».

ولكن لم يستطع أحد أن يحيده عن قراره. فراح يهزأ بهم نصفاً، ويصيح مثل الديك نصفاً، فصرفهم جميعاً. «لااريد العودة.» قال متبجحاً. «لاأريد أن أصبح كبيراً، وأنجز الأعمال التي لااحبها. قد تقول عني أمي انني كبير.. كبير فيتحتم علي الذهاب الى المدرسة – أوه – كبير. لان أنجز كل الاشياء – كبير جدا عن الاعمال التي اريد أن افعلها كثيراً سأبقى هنا، واتمتع». ثم راح يثب نحوهم بقساوة .

– «من الان فصاعداً، لاشجار ولاانتخاب! واذا وجدتم امهاتكم، امل انكم جميعاً ستحبونهن. هل أنت جاهزة يا «تنك»؟ قوديهم في الطريق».

– «اوه «بيتر» !» انتحبت «وندي» – ثم اضافت بهدوء :

– عليك أن تتذكر، على الأقل ان تتناول دواءك، هل ستفعل ذلك؟ سأصب لك جرعة الان، قبل ان اذهب. في هذا القدح، يا «بيتر». تأكد من تناوله».

كان «بيتر» الان قد اصبح نافد الصبر، وهو يشاهدهم يذهبون. اندفعت «تنك» الى اقرب مكان في باب الشجرة، ولكن في تلك اللحظة، وصلت اسماعهم اصوات جعلت حتى «بيتر» قطع نفسه. لقد كان يعرف ماذا تعني. القراصنة هاجموا الهنود الحمر، وكان الصراخ والزعيق يمزق الأجواء، وصليل السيوف؟ لقد خرق «خطاف» القانونية غير المكتوبين للحرب الوحشية : اولاً، ان الهنود هم الذين يهاجمون أولاً، وثانياً، انهم دائماً يهاجمون في الفجر، لانهم يعرفون انه في تلك الساعة، تكون شجاعة الرجل الأبيض في ادنى مراحلها .

لقد نفذ القراصنة خطتهم بصورة حسنة، فقد بنوا حاجزاً وقائياً على الاجمة، بجانب النهر، لأنهم يعرفون انه من الحماقة أن يبتعدوا عن الماء الجاري. وهناك انتظروا اشارة بدء الهجوم. وخلال الليل الذي كان مظلماً جداً، كان الكشافة من الهنود الحمر، ينسلون خلال الاعشاب الطويلة، والأجمات مسدودة خلفهم، بهدوء ونعومة مثل

الرمل الذي فوق نفق الخلد. وانشق الهدوء، مصادفة، بعواء ذئب صغير، عندما راح كل كشاف ينادي الاخر .

و «خطاف» كان يعرف جيدا، ماكان يجري، وراح يصغي، وقد ندت شفتاه عن ابتسامة شريرة. لقد اعتمد على رسائل الاتصال المثبتة في قوانينهم، بالرغم من انهم يعرفون كل حركة يقوم بها القراصنة، منذ هبوط الظلام، لكنهم لم يعرفوا أي شيئ عن خطة «خطاف» الشريرة، التي ماتزال مضمومة في دماغه الاسود. وبعد أن ارتادوا واكتشفوا الحاجز وعاينوا مكان رجال «خطاف»، انسحب معظم المحاربين، بعد أن طووا بطانياتهم حولهم وانتظروا برودة بزوغ الفجر، حيث سينطلقون، ويضمرون هلاكاً سريعاً للعدو. ولكن بمهارة، امر «خطاف» هجومه بان يبدأ قبل ان يومض في السماء اقل وميض للفجر، وقد قام هو نفسه، بقيادة رجاله، خارج الاجمة. جاءوا وهم يحملون في أفواههم سيوفهم القصيرة، وبنادقهم في أيديهم، يطلقون من حناجرهم الصيحات التي يبتهج لها القراصنة. وقد نهض كل هندي مقع ملفوف في بطانيته، ووقف مثل ظل طويل تحت الاشجار .

صيحات الحرب اطلقت متأخرة. ومن بعيد، اطلق

عواء ضعيف لذئب صغير. وعندما اشرقت الشمس، كانت الحرب قد بدأت بجدية.. وتحطمت زهرة قبيلة «البيكايني» في ذلك اليوم. وقد هلك «الذئب الأعرج»، الحاصل على العديد من فروات الرأس، في بداية النزاع، بالرغم من ان قرصانين قد تمرغا في التراب معه.

«تورلي»، ومن طبيعة الانسان، الذي كان يضحك دائماً على الجانب المضاد من وجهه، تشابك مع «الثعبان الكبير العظيم»، الذي نجا وشق طريقه خلال صفوف العدو، ليرافق «زنبقة النمر»، والبقية القليلة الباقية من القبيلة، الى منطقة الأمان.

انتهت المعركة حالا، وربحها القراصنة. وعندما مسحوا سيوفهم القصيرة، بالحشائش الطويلة، نظر الرجال بعيون باحثة منتظرة الى قائدهم. لم يكن الهنود الحمر وحدهم الذين يريدهم «خطاف». لقد كانوا النحل الذي أراد التخلص منه، لكي يحصل على العسل. وهاهو الان يريد الحصول على العسل، من بعيد، وبصمت، أشار لرجاله ان يهبطوا الى البيت الذي تحت الأرض، ليخرجوا «بيتر». وفي كل وقت كان «خطاف» يفكر فيه بـ «بيتر»، كان يصاب بسعر. دمدم وزمجر، مثل مخلوق عقل بحبال، يصارع ليتحرر. كان الرجل يصاب

بالجنون والغيظ، عندما يذكر آمامه اسم «بيتر» لقد بدأ يشعر انه لن يستطيع أن يعيش مطلق السراح مع «بيتر» ليعذبه... «بيتر» والتمساح اللذان يصران على تعقب خطواته. انه يكره «بيتر». ان زهوه يثير اعصاب «خطاف» حتى ينزع خطافه الحديد بقوة. انه يؤرق لياليه مثل ازعاج بعوض صغير يطن، وزنابير. قد يموت، ينفجر من الغيظ، اذا لم يجد مخرجاً.

راح القراصنة، يخطون بصمت، من شجرة الى شجرة، يجربون الابواب في جذوعها المجوفة لكن الابواب لم تكن تسمح بدخول سوى الاطفال، ولاواحد من القراصنة يستطيع المرور من خلالها. ولو كانت هناك اية فائدة، لأحضر عموداً ودك باباً منها.. لكن ذلك غير مجد. وصل «خطاف» نفسه، الى شجرة، ليسمع ماذا يجري في الداخل – وياللسماع المسر الذي طرق اسماعه! لقد سمع «بيتر» وهو يعلن ان المعركة قد انتهت، وسمع «وندي» تسأل باشتياق:

– «من الذي ربح يا «بيتر»؟».

– «انتظري،» همس «بيتر» – لكن «خطاف» كان يسمع) – «لو ربح الهنود، فانهم سيقرعون طبول النصر. انهم يفعلون ذلك دائماً».

ساد الصمت في الداخل. وفي الاعلى، اسود وجه «خطاف» المظلم اكثر، بمرح شرير. كانت عيناه تفتشان الارض بحثاً عن طبل، فشاهد فعلا «سمي»، وهو يجلس على واحد. وبهدوء اشار الى «سمي» يجلب اليه الطبل، ويرفعه. ثم، بالنهاية الناعمة لخطافه، راح يقرع عليه دقات الانتصار التي ينتظرها ويتوقع سماعها الاولاد. كان هناك صمت متوتر اخر فوق الأرض، بالرغم من ان الرجال كانوا يبتسمون، ويصدرون علامات طبيعة مرعبة، من واحد لاخر. ثم سمع صوت «صافر» : — «قرع الطبول! لقد ربح الهنود الحمر!».

أغمد «بيتر» سيفه — الذي كان قد سحبه عند سماع اول جلبة في المعركة، وصاح ايضا :

— «مرحى! نصر هندي!» وصدر عن الأولاد فرح مثير.

— «انتم في أمان الان»، اخبر «بيتر» «وندي». «وداعاً. يا أولاد!».

الفصل السابع

رجل شرير كان خطاف

لم يودعهم« بيتر» بل ظل تحت، واقفا وقد طوى ذراعيه وسط الكهف. راقب الأولاد وهم يجرون بشوق يصرخون بتحيات الوداع الأخيرة وكانت«وندي»تشير وتعود الى الخلف لمشاهدة اخر واحد منهم. لم يكن واحد منهم ينظر الى اين هم ذاهبون لذلك لم يكتشف أي منهم ما كان ينتظرهم حتى وقت متأخر «بيتر»لم يلمح أي شيء من ذلك أيضا.

وعلى اصواتهم كان القراصنة، الذين ينتظرون بصمت وتوقع يحدقون بـ «خطاف» انتظارا للأوامركانت هناك حركات من الرؤوس تلمح نحو الأبواب وأصوات خشنةلايادٍ صلبة، وعندما أمر «خطاف» وهو صامت، ان يذهب كل رجل الى الباب شكلت البقية سلسلة. كان الصمت هو الأمر في هذا اليوم. وعندما تسابق الأولاد للصعود الى أعلى وهم صاخبون ومليئون بالاثارة، وهم يتوقعون المغامرة التي تنتظرهم، امسكوا

وصمتوا بوساطة ايادي القراصنة الكبيرة التي أطبقت على افواهم التي كانت تتحدث احاديث ودية ثم رفع كل واحد ونقل الى القرصان الآخر الموجود في الخط. «أجعد» كان أول الاشخاص الخارجيين، فوقع بين ذراعي «سيكو»الذي رفعه الى «سمي». و«سمي» رماه الى«ستاركي» ثم الى «بل جوكس» و «نوولر»، وبتالي الى القرصان الأسود نفسه.

جاءت«وندي» خلفهم، والجميع لايشك لأنه لم يصدر أي صوت من الأولاد أو القرصنة.ولكن كان يجب أن تعامل معاملة أخرى. كان «خطاف» ينتظرها، وبرشاقة، مد ذراعه ذراعه اليسرى. لقد عملها بطريقة جعلت«وندي» تقبلها من غير سؤال. وعلى مسافة أمينة. توقف القراصنة ليشدوا وثاق الأولاد بصورة مناسبة. بعضهم صارع بقوة تطلبت قرصانين لأن يمسكوه، بينما يبحث أخر عن خيط. جاء «خطاف» في اللحظة التي حل فيها دور«نحيل» وراح يراقب الولد وهو يتلوى اعنف من البقية وشعر «خطاف» بعدها ان «نحيل»أرق وأسمن من بقية الاولاد. لقد كان في الحقيقة منتفخا بسبب شربه جرعات كبيرة من الماء البارد.

هبط الضوء على«خطاف» الباب الذي جعل الاولاد



يمرون منه، يسمح بمرور رجل، وهذا ماجعله ينتفض منتصرا. لم يكن معروفا، ولكن في الحقيقة. قضى« نحيل» ساعة وهو ينجر جوانب رواقه، ليستطيع المرور منه بسهوله. وها هوالان. قد شاهد وجه« خطاف»فابيض خوفا على «بيتر».

كان القراصنة يحومون في الجوار وهم على استعداد لحمل جميع هؤلاء المقيدين. من أغلبية الأولاد، فوق المستنقع الممتد بينهم وبين خليج «كريك» حيث رست السفينة الشراعية ذات الصاريين، وكانت عند «خطاف» فكرة أخرى جيده.

–«اجلبوا بيت«وندي» امر أربعة رجاله من ذوي البنية القوية...» ثم وضعوا الاولاد داخله ، والبنت أيضا .اوصدوا الباب، وارفعوه فوق أكتافكم.»

بتلك الطريقة ،رحل الأولاد عبر الغابة للمرة الأخيرة، وفوق المستنقع، وبقية مجموعة القراصنة تغني خلفهم قصيدة بعد قصيدة، انشودتهم المرعبة:

«قفوا وكفوا، فعندما أظهر،

فان الخوف يتملكهم!»

اصبح «خطاف لوحده فيما بعد عندما هبط الظلام بسرعة ورجع الى الفرجه«١»، وحيث تنتصب الاشجار

المجوفة. وقف على رؤوس اصابعه من واحدة الى اخرى. باحثا عن باب «نحيل فوجدها وجربها فوجدها تسمح له بالدخول من خلالها لكنه لم يكن جاهزا بعد للنزول الى اسفل فلدية خطة يفكر بها. وعندما خطى الى الوراء رفع قبعة قرصانه الساقط على الحشائش، ليبرد رأسه لان العرق كان يقف على حاجبه، وكانه زيت شمعه يسيل .كانت اذناه مشدودتين لأية اشارة، تند عن الشيء الذي ينتظره في البيت الذي تحت الأرض ولكن فوق الأرض وتحتها كان هناك صمت متساوي.

كيف سيقابله «بيتر» هل كان نائما هناك؟ او كان ينتظر الان اسفل ممر الشجرة، ومدية في يده؟ لايستطيع «خطاف» معرفة الاجابة إلاأن ينزل الى أسفل، ويقابله. وكان مستعدا وقف وجعل رداءه ينزلق بهدوء على الارض ذهب من خلال باب الشجرة، وهو يدوس بعناية درجة درجة وفي الاسفل توقف ليأخذ نفسا ويمسح وجهه المبلل بالعرق. وعندما مسح بمنديله الحريري الكبير، الغشاوة عن عينيه، وجد انه كان ينظر باتجاه الكهف الذي كان مضاء بواسطة وميض خافت من النار لكنه يستطيع أن يشاهد «بيتر» نائما على السرير الكبير مضطجعا خارج فراش السرير ذراع واحدة ممتدة على

امتدادها والثانية مرمية فوق الحافة، احدى ركبتيه مرفوعة والساق الثانية ممتده «بيتر» نائم هذا ما استقرت عينا« خطاف»عليه بشراهة؟

-«ها، ها؟»ابتهج بصمت، «وأخيرا! انت تحت رحمتي! »

بعد ان ذهبت «وندي» والأولاد، وضع «بيتر» مزماره على شفتيه مرة ثانية، لكن الموسيقى لم تعزف أراد أن يرفض لكنه لم يعد يشعر بالمرح والسعادة. وقع بصره على الدواء الذي صبته له«وندي»وقرر ان لايتناوله ذهب حواليه، وثبت بالرتاج عدة أبواب، واضطجع بتعمد على غطاء الفراش لأن «وندي » قد منعت الاطفال بصرامة، ان يفعلوا ذلك كانوا دائما يرفعون الغطاء قبل أن يذهبوا للنوم أراد أن يطلق ضحكة بسبب تحديه السخيف لكنها تحولت الى تثاؤب، وفي الدقيقة التي تلت كان يغط في نوم عميق.

وجده «خطاف» في تلك الحال، وطحن اسنانه لان «بيتر»حتى وهو نائم. كان يبدو في كبريائه الذي لايطاق كان على «خطاف»أن يتمالك نفسه ليكبح صرخة غيظ كادت أن تنطلق منه

سقط على المدرجة الثانية، فوجد ان ركبته تضرب بابا اخر. لم يكن يحب ذلك وهذا الباب كان موصداً ومن

غير ان يدري كان ينظر فوق فراغ في اعلى الباب معتقدا انه لاتوجد عقبة الان تحيل بينه وبين المكان الذي ينام فيه« بيتر».

راح يبحث بيده اليسرى عن القفل لكنه لم يستطع الوصول اليه حتى خطافه لم يستطع أن يلمسه وهذا الاحباط جعله يصاب بالجنون. هز الباب بجنون لكن المزلاج ظل عالقا رفع نفسه فوقه لكن الوزن هذا كله، لم يجد نفعا. قهر وانحنى وراح يركض لاهثا بجنون. يضرب الباب، فلم ينفع ذلك غير ان عينيه كانتا ماتزالان تجولان في الظلام. فاستقرتا على زجاجة الدواء الموجود على الرف، حيث وضعتها «وندي» فهم في الحال ماذا كانت تعني اخر خدمة لـ «بيتر»! آه يا «وندي»!.

لوى شفته بازدراد.« بيتر» سيتناول جرعته. سيتناولها طبعا!

كان «خطاف» رجلا شريرا، ومنذ زمان طويل كان يخاف أن يقع يوما في ايادي اعدائه، حيا. وكان يحمل معه، لسبب خاص قارورة في جيب، فيها سم قاتل مجهول للعلم...هذا ماسيضحي من أجله، ليتأكد من موت «بيتر».

كان عليه أن يمد يده ليصل الى الزجاج. وفي تنهدة

خشنة اطلقها لهذا الانجاز، صب فيها خمس قطرات من سائل أصفر ثخين. كانت صرخة طبيعته الشريرة، مرعبة. فرح شيطاني ظهر في هذا الظلام، على ملامحه الهزيلة. أنجز العمل. وتراجع. بصمت. «بيتر» سيتناول دواءه.

وعندما عاد، وهو تحت النجوم التقط قبعته، وارجحها بزهو، لتستقر على نحو سريع على رأسه. رفع رداءه من المكان الذي سقط فيه ولف بقوة حوله، وامسك باحدى زواياه على وجهه، ليبدو كشبح اسود بين الاشجار كما يفعل أولئك الهنود الشجعان في فجر هذا اليوم. لم يعد الصمت يخدمه، لكنه قد فاز بأعظم سرقة، فراح يسير بحذر كي لايخشخش غصين يابس تحت قدميه. لكنه عندما مر بين الاشجار العظيمة للغاية، بدأ يتحدث مع نفسه، بصوت عال، وهو شارد الذهن.

استغرق «بيتر» في نومه فترة انطفأت النار فتركت المكان مظلما لكنه ظل نائما حتما كانت الساعة العاشرة عندما نهض مستقيما كالسهم ولايدري لماذا اصغى فسمع طرقات على باب شجرته. طرقات دقيقة وحذره. بدت في الظلام طرقات مشؤومة فتحسس «بيتر» مديته. فسأل وهو يضع يده اليمنى على قبضتها: «من هناك؟» لم يسمع جوابا، لكن خفقات الضوء سمعت ثانية.. من هناك من

أنت؟ نادى.. لم يزل هناك لاجواب. انتظر وراح يصغي، ثم خطى خطوة واسعة الى بابه السفلى..

-«لن افتح مالم تقل لي من انت،» اوضح ذلك.

جلجلة اجراس ناعمة اجابته فقال صوت «تنك»: -«دعني أدخل.»

-«تنك!» قال متعجبا، وهو يرفع المزلاج. دخلت. مشعثة الشعر وملطخة بالطين. حدق فيها. «ماذا؟» سألها. «ماذا حدث؟»

-«لن تحزر ابدا» صرخت» تنكر بيل». «سأمنحك ثلاث حزورات.» لكن هذا لم يكن وقتا للعب. «اخرجي معها.» امرها بذلك وفي الحال قالت ماعندها من أخبار. «وندي» امسكت. وهي مع الاولاد سجينون لدى القراصنة. عمل فاشل اخر من اعمال «خطاف»!

-«سأنقذها،» صرخ «بيتر» والتقط سيفا ومدية، ثم ذهب الى المشحذة، ليشحذهما. وعندما راح حجر المشحذة يدور استقرت عيناه على قنينة الدواء الموجود على الرف. يال «وندي» المهتمة! سيتناوله بالطبع، غير ان ما ان تحرك باتجاهها طارت «تنك» بينه وبين الدواء ترتعش قائلة: «لا! لا! لا!»

لقد سمعت «خطاف» وهو يتمتم في الغابة، وهي قد

فهمت الان ماذا فعل.
-«لماذا قلت لا؟»سألها« بيتر».
-«انه مسموم.»أجابت« تنك».
هل كانت «تنك» تحتال عليه؟كان «بيتر» يردد. مسموم؟ كيف يكون ذلك؟ من سممه؟ سألها هذه الاسئلة فأجابت : «خطاف»سممه.»
-«لاتكوني حمقاء،»سخر منها« بيتر»..«كيف يستطيع« خطاف» ان يأتي الى هنا ليسممه؟»
كيف، كانت لاتعرف لكنه قطر سما في الدواء كما سمعت ذلك من شفتيه.
-«وعلى أية حال-» أضاف «بيتر» وهو يتظاهر بتبجحه المعتاد،«لم أكن نائما!»
رفع القنينة، لكن «تنك» كانت ماتزال تحوم حولها. لم يكن هناك وقت للجدال. حطت على حافتها، ثم ظهر ضوءها داخلها، وشربت الدواء حتى فرغت القنينة من أخر قطرة.
-«كيف تتجرأين على شرب دوائي!» صاح «بيتر»، لكن السم بدأ يؤثر فيها. أخذ ضوء «تنك» يخفت، ثم راحت تترنح وهي مصابة بدوار.
-«مالذي حدث يا«تنك»!«سألها في نبرة مختلفة،

وقد اصيب بالخوف فجاة.
-«كان مسموماً» اعادت القول بضعف، «واعتقد انني سأموت الآن.»
-«شربتيه لتنقذيني!اه يا« تنك»! لماذا، اه، لماذا؟»
ورن في اذنيه صدى ضعيف ردها المغفل: «أيها الحمار المفضل!»
ثم خفقت بضعف طائرة الى حجرة نومها، ونشرت نفسها بارتخاء على الاريكة. كان «بيتر» مسعورا. لو ذهب ضوءها، فستموت حقا. كان جرسها يقول شيئا لم يفهمه. ثم فهمه، لو كان هناك اطفال كافون يعتقدون حقا بالجنيات، ويقولون ذلك فانها تظن، انها قد تتحسن حالها.
وثب« بيتر»على قدميه. كان الموقف ليلا، ولايوجد هناك أطفال في أي مكان قريب، لكنه راح يصرخ :-«انتم جميعا الذين هناك، أذا كنتم تعتقدون بالجنيات، فصفقوا بأياديكم صفقوا بها بقوة، واستمروا في التصفيق. لو لن تفعلوا ذلك. ستموت «تنكر بيل».
كانت هناك لحظة صعبة ان يشق الصمت فجأة وباعجوبة، بتصفيق اياد هائل.
-«أكثر،»صرخ بفرح.

ارتفع صوت التصفيق اعلى..الاصوات مسرورة، واشرق ضوء «تنك» ثانية. اصبح وضاء جدا، ثم ملأت السرير بجلجله مرحة من أجراسها..انها هي نفسها مرة اخرى ثم تذكر «بيتر» ماقالته له.

–«وندي!»قال، «يجب أن ننقذها!»

كان القمر عاليا في السماء ذات الغيوم، عندما خرج «بيتر» من شجرته وجد ان شرائح من الثلج طمست حتى أثار أقدام« خطاف» ، الذي ترك البيت. لم تترك هناك أية علامة أو آثار ولم تبق «تنكر بيل» لتشاهد الأولاد المحشورين داخل البيت الصغير وكان «بيتر» يأمل ان بعضهم سيتذكر ماعلمهم في ترك أثر له. كغصن صغير محني او قبضة بذور على الطريق؛ ولربما حتى منديل «وندي» – لكن كل شيء الان طبعاً سيكون مغطياً بالثلج. لم يكن هناك شيء يفيد سوى ان يتلمس طريقه. راح يخطو خطوات سريعة بشجاعة وهو يعرف ان موتا مفاجئا قد ينتظر خلف أية شجرة، وربما يطارده من الخلف خلسة. لكن الشيء الوحيد الذي قطع عليه صمت الظلام. كان التمساح الذي كان ذاهبا يبحث عن نفس الطريدة. ولربما يعرف شيئا قليلا اين يجده.

–«هذه المرة، أما خطاف، أو أنا.» اقسم «بيتر» ورفع

مديته التي شحذها حديثا. كانت هناك زلاجة أمامه، أظهرها له ضوء القمر. اندفع نحوها بمهارة. هذه لعبة يعرفها وبدأ يسر بها. وفي الحقيقة دبر أمره لأن يوقف صرخة تفاخر!



الفصل الثامن

ليلة الليالي

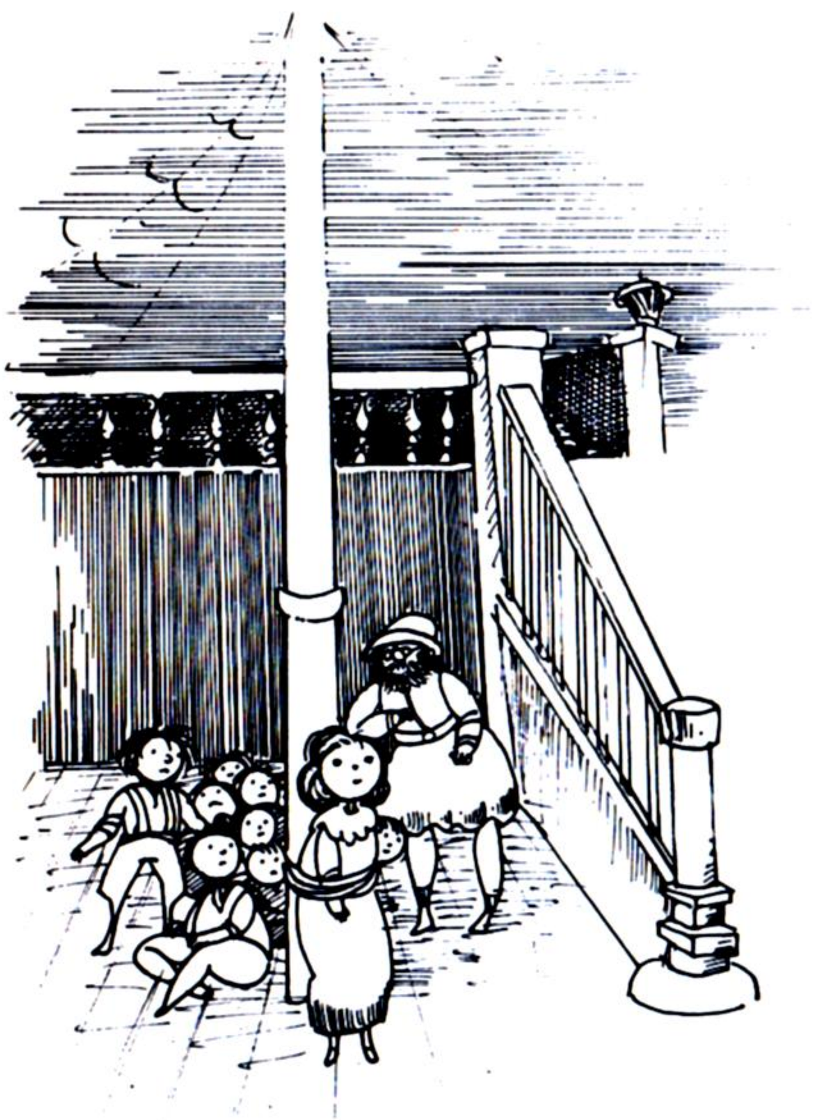
كانت ال «جولي روجر» راسية في المياه المنخفضة، وكان هناك ضوء أخضر ينظر شزراً فوق خليج «كيد»، قرب مصب النهر. كانت سفينة انيقة الشكل، لكن كل شعاع فيها ينتن بالظلم والاثم. ومن صاريتها هبط علمها الاسود ذو الجمجمة والعظمين المتقاطعين كان القمر يومض مصادفة، لكن الغيوم كانت تتجمع وتتقارب. وغطى ظلام حالك الجوار اللهم إلا سلسلة من أضوية الفوانيس.

كان القليل من الرجال ينحنون فوق الوقاء في نوع من الصمت، يبصقون جانباً، من وقت لآخر، وبعضهم أنتشر في غير نظام، وتمددوا بين البراميل، يلعبون النرد. والأربعة الذين حملوا البيت الذي يضم الاطفال، فوق اكتافهم، تمددوا على ظهر السفينة، والذين كانوا، حتى في نومهم، من الذكاء، بحيث ابتعدواعن متناول يد «خطاف»، لئلا يخدشهم بخطافه، وهو يسير جيئة وذهابا.

كان «مولنز» الذي إرتدى رداء فقط، على سطح السفينة المرتفع الموجود في مؤخرتها، يجمع الصخور التي تحيط بالهور، بوساطة ناظوره.

بجانب الفانوس، كانت هناك ماكنة خياطة، ذات مدوس يحرك بالقدم حيث كان «رسمي»، وهو يرتدي تنورة رجالية، يقيس بعناي ويمزق قماشاً من الخام. ويصنع كشاكش طويلة ويخيطها بالماكنة. كان هناك شيء نسوي يبدو عليه، وهو جالس هناك، وقد تدلت نظارته فوق أنفه. كان «سمي» معتاداً دائماً للقيام بالاعمال المنزلية، وكان منظره وهو يعمل، يجلب الدموع إلى عيني «خطاف» احياناً، لانه كان منظراً موثراً.

والآن مال «خطاف» نفسه للحظة، نحو الصارية، ثم راح يجوس الآن اعلى وأسفل، أعلى وأسفل، وقد وضع في فمه سيكارين. كانت هذه ساعة انتصاره. «بيتر» لن يقلقه ثانية، والاولاد جميعاً كانوا في أمان فوق سطح السفينة، ينتظرون حتى أن يتم أستدعاؤهم للسير فوق اللوح - وستكون تلك نهايتهم - الهروب ليس ممكنا بالنسبة اليهم. لقد كان اكثر عمل مروع شروع له، منذ أن جلب «باربكيو» العجوز على عقبيه. كان يشعر بالنصر لكن لم تكن هناك علامة له في مشيته، ولا أثر للتيه في



ملامحه. في تلك اللحظة، كان ضائعاً حقاً في كآبته. كانت تهاجمه غالباً بعنف، حينما يجد نفسه وحيداً على ظهر السفينة –وحتى مع زمرة القراصنة الكلاب الملتفين حوله، كان يشعر بنفسه وحيداً. الحقيقة كانت انه هو وهم ليسوا من طينة واحدة. ذلك ما تعلمه في مدرسته – المدرسة العظيمة.

لم يكن «خطاف» اسمه الذي سمي به بعد ولادته، وفي اوقات، كما هو عليه حاضره الآن، كان عقله متعوداً على العودة إلى الوراء، إلى تلك المدرسة والتقاليد، التي مايزال يتذكرها، ومن ثم جلسته المترهلة المتميزة المعتادة التي كانت ميالة الى ان تصبح طارئة اكثر، واكثر تميزاً في نفس الوقت.

أية عودة إلى «باربكيو»! ، تسره عادة في مثل هذه المناسبات الرجل الوحيد الذي كان يخافه باربيكو أراد أن يذكر نفسه، هو يضع خطافه للحظة فوق قلبه، ذلك كان يرفع معنوياته، غالباً. «وفلنت» نفسه يخاف «باربكيو»، أحب تذكر ذلك. لكن هذه الليلة، حتى ذلك المتباهي خسر قوته. وبالرغم من انه قد سمع قسم «بيتر»: «خطاف» أو أنا هذه المرة!» يشعر شعوراً مسبقاً ساحقاً بموت مبكر. «الليل متوقف،» دمدم مع نفسه في

الظلام. «لاشيء يبدو حياً. الآن هي الساعة التي يكون فيها الاطفال نائمين في بيوتهم، شفاههم بنية زاهية بحلوى الليل اللذيذة، والسنتهم تفتش عن الكسرات الباقية على خدودهم المشرقة. لنقارن حظه مع اولئك الأطفال الذين في هذا المركب، والذين سيسيرون فوق اللوح قريباً.. انها ساعة النصر!» رقص خطوة أو خطوتين، ثم راح يتحدث بكآبة، مرة ثانية:

«ياللأسف، بعض الارواح المظلمة تجبرني الآن على جعل كلامي الخامد، أقل خموداً، فلم يعد هناك وقت. الرجال يحسدونني – من الافضل لـ «خطاف» ان يكون له طموح أقل! آه للشهرة، الشهرة!».

في هذه الكلمات المؤثرة، كان «سمي» يمزق من طول الخام بصوت تعارض مع تأمل «خطاف» وتفكيره في أن شيئاً صعباً قد حدث لثيابه. تحسس نفسه بعناية، لكنه لم يكتشف أي عطب، فاستمر: «لايوجد أطفال صغار يحبون «خطاف». اخبرت انهم يلعبون مع «بيتر بان»، والاقوى دائماً يختار ان يكون «بيتر بان» وليس «خطاف». انهم يفضلون أن يكونوا توأماً على أن يكونوا «خطاف». يجبرون الطفل على أن يكون «خطاف». انهم يحبون «سمي». «سمي»!».

ومرة اخرى جاء صوت شق القماش.. يمزق بيدي «سمي» القويتين، ورجع «خطاف» إلى الوراء بكياسة، باتجاه القمرة التي جاء منها «ستاركي» لتوه. تكلما بهمس. دار «ستاركي» حوله، وتفحصه من أعلى إلى أسفل، واخبره ان كل شيء على مايرام. غير ان فصاحة «خطاف» قد تخلت عنه، فانسحب للحظة.

لقد كانت حقيقة ان الاطفال يحبون «سمي». في تلك الليلة، لم يكن هناك واحد من الاولاد المفقودين يخاف منه. حتى «ميشيل» تناول نظارته مجرباً اياها وسط صيحات الضحك. البقة سارت حوله، يبتسمون ابتسامات عريضة على كشكش تنورته. مشى نحوهم، وهو لم يكن يرفع قبضته عليهم، ثم هرب منهم إلى ماكنة خياطته.

ظن القراصنه الآخرون ان «خطاف» قد نزل إلى اسفل، عندما توقف عن الرواح والمجيء، وانطلقت اغنية تصاحب بضربات اقدام، عندما أخذ واحد أو أثنان في الرقص، لكن الضوضاء اعادته.

-«هدوء ايها الاغبياء!» صاح، «او سأرمي مرساة عليكم.».

ساد الهدوء في الحال، تساءل بنعومة: «هل السجناء

مقيدين بالسلاسل، فلا يستطيعون الهرب؟».

-«نعم، نعم،» قالوا له مؤكدين.

-«احضروهم الى الاعلى اذن،» امرهم، «ودعونا ننجز العمل.».

بعض الاولاد كانوا قد انسحبوا الى السطح، البعض ركض، وقد تدافع من الخلف.

-«انتم تتعثرون ايها المغفلون،» صاح «ستاركي»، ونظمهم في صف للتفتيش. ولكن لفترة، لم ينظر اليهم «خطاف». كان يتدلى في كرسي، بجانب برميل، وفكر وتكلم بنشاط:

-«ثم الآن يارجالي الممتازين، ستة منكم يحضرون اللوح الليلة، ونكن عندي مجال لصبيين يعملان في القهارة. من سيكونان؟».

قبل ان يغادروا السجن، حذرتهم «وندي» قائلة:

-«لاتغضبوه في أشياء غير ضرورية. لاتنسوا ذلك.».

كان «صافر» أول المتحدثين:- «من فضلك ياسيدي،» قال بأدب، «لا أظن أن أمي تحب أن أكون قرصاناً. هل تحب امك، يا «نحيل»، أن تكون قرصاناً؟».

-«لا..لا،» قال «نحيل» بحزن. «أنا لا أظن ذلك.

هل امكما تحب ان تكونا قرصانين؟».

«لا أظن ذلك،» قال التوأمان بحرج. «يا ريشة الكتابة»، هل...».

-«احتفظوا بثرثرتكم،» زمجر «خطاف» عليهم..«انت، أيها الولد،» خاطب «جون»، «تبدو كان لديك القليل من الشجاعة. ألم ترغب في أن تكون قرصاناً ياعزيزي؟».

لقد فكر «جون» غالباً، بذلك بينما كان ينجز واجب الحساب البيتي، كيف سيكون ذلك عظيماً، وقد غره اطراء «خطاف»، الذي اختاره من بينهم.

-«في الحقيقة،» اجاب بثقة، «فكرت في ان اسمي نفسي «جاك ذو اليد الحمراء»،».

-«اسم جيد، بما فيه الكفاية» سندعوك به ايها الولد الممتاز، اذا اصبحت معنا.».

حدق «جون» ب «ميشيل».

-«ماذا ستسمونني اذا ارتبطت بكم؟» تساءل «ميشيل».

-«جو ذو اللحية السوداء»، قال «خطاف».

استثير «ميشيل»، «ما الذي تقوله يا «جون» عنه؟ همس.

-«ماذا عن الملك؟» قال «جون»؟.

جاء الجواب من بين اسنان «خطاف».. «عليك ان تقسم «هيا مع الملك!».

-«أنا أرفض،» صرخ «جون» وضرب بعنف البرميل أمام «خطاف».

-«وكذلك أنا»، اطلق «ميشيل» صوتاً قصيراً. «أنا أرفض.».

اندفع القراصنة-الحانقون نحوهم، فصاح «خطاف» مدمدما:

- «هذا يحتم نهايتكم. اجلبوا امهم. جهزوا اللوح».

كان «جوكز» و «سيكو» يعرفان عملها، فثبتا اللوح قبل ان تظهر «وندي» من الاسفل.

- «اذن»، قال «خطاف»، «سترين الآن اطفالك يسيرون اللوح، ياجميلتي»! باعظم ثبات، ثبتت «وندي» عينيها على لطخة فوق سترة «خطاف»، وسألته بهدوء:

- «هل عليهم ان يموتوا؟».

- «نعم»، زمجر «خطاف»، واضاف بينما كان ينظر حواليه باعجاب: «اصمتوا جميعا، الأم ستقول كلماتها الاخيرة لاطفالها».

- «هذه هي كلماتي الاخيرة»، قالت «وندي» بشجاعة،

وهي ترمق «خطاف» بنظرة احتقار. «اولادي الاعزاء. اشعر انني اتكلم معكم الآن، من اجل امهاتكم الحقيقيات – ونقول لكم: «نحن نامل ان ابناءنا سيموتون كالانكليز المهذبين». حتى القراصنة تأثروا، وصرخ «صافر» مهتزا: «سأفعل ماتأمله امي. ماذا ستفعل يا «ريشة الكتابة»؟

– «ماتامله امي»، قال «ريشة الكتابة» باخلاص. «وماذا عنكما ايها التوأمان»؟

– «ماتأمله امنا»، اجاب التوأمان سوية.. «جون.. » لكن «خطاف» تكلم ثانية ايضا: «اوثقوها»، زمجر قائلا:

جلب «سمي» حبلا وربطها في الصارية، ولكنه عندما مرر الحبل فوق كتفيها همس: «استمعي ياعزيزتي، سأنقذك، اذا وعدت ان تكوني امي».

لم تستطع ان تقطع مثل هذا الوعد، لكنها رفعت ذقنها في الهواء، وقالت في صوت واضح عال: «لايوجد عندي اي اطفال، ابدا».

لم يسمع الاطفال شيئا من هذه المحادثة. كانوا ينظرون نحو اللوح.. وقد التف حوله القراصنة، وهم ينشدون بمرح: «يوهو»، يوهو، اللوح الطروب!» لم تكن عندهم ثقة انهم سيسيرونه. كانوا يحدقون

ويرتعشون. كان «خطاف» يبتسم، وخطى نحو «وندي» محاولا ان يدير وجهها نحو اللوح، لترى اولادها يموتون. لكنه لم يصل اليها ابداً. بين خطوة والاخرى.. توقف مشلولا، لان ماسمعه ليس صوت اول ولد فوق سطح السفينة، ولا اوامر القراصنة، يحثون الواحد للآخر. لقد كانت «تك توك، تك توك» التمساح.

كلهم سمعوها، القراصنة، الاولاد، «وندي» واستدار كل رأس في اتجاه واحد: «خطاف». وامام عيونهم، بدأ ينهار بالرغم من ان اعصاب كل مفصل كانت مشدودة، فتكوم على ظهر السفينة.

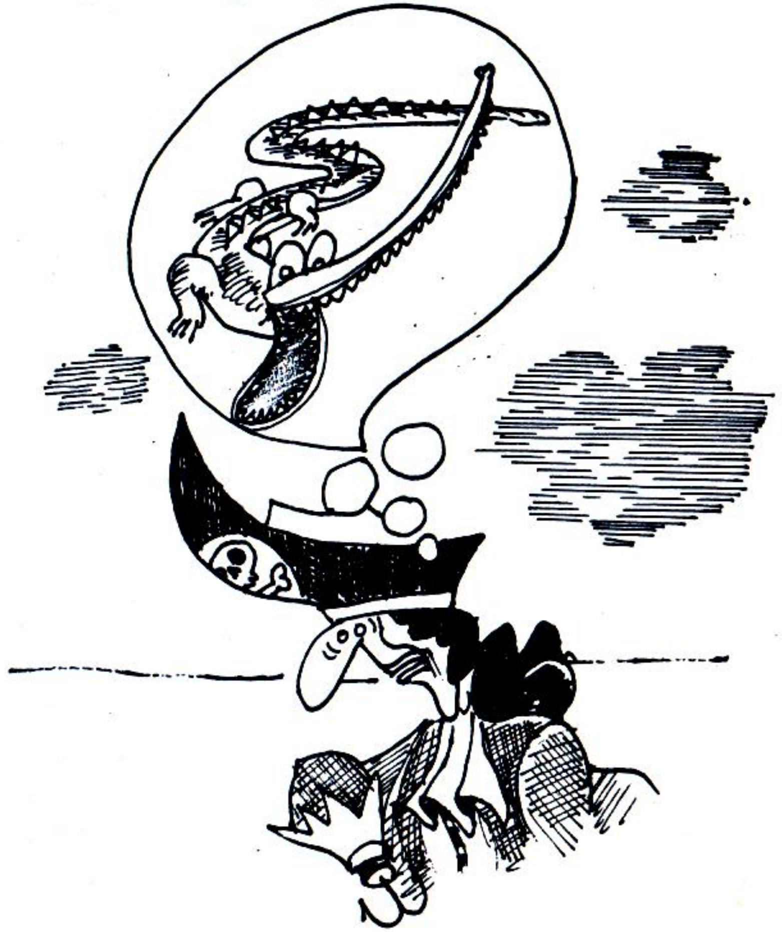
اقتربت التكتكة، ودخلت الفكرة في اكثر من رأس، ذلك ان التمساح على وشك الصعود على ظهر السفينة.

نهض «خطاف» على ركبتيه، وزحف مبتعدا عن الصوت، على ابعد مايمكن وصرخ بصوت مستغيث: «اخفوني!»

ولكن لم يفكر واحد بمساعدته، او في محاربة قدره المرعب. تجمع القراصنة، وهم يراقبونه. وعندما اداروا ظهورهم، اندفع الاولاد الى جانب السفينة، لمشاهدة فيما اذا كان التمساح يتسلق حقا. لقد كانت ليلة الليالي

حقا!

لم يكن هناك تمساح. كان «بيتر»، واشر اليهم ان لايفضحوه، وهو مستمر في صنع صوت ساعة متقدمة.



الفصل التاسع

نحيل يعد الاهداف

ترك«بيتر» مسافة كبيرة بينه وبين التمساح في الغابة، قبل أن يعرف انه جاء وذهب من غير أن يعكر الصمت! لم يكن هناك: تيك توك، تيك توك هل كانت حيلة؟ أو هل ان الساعة كانت معطلة؟

وعندما اكتشف النتيجة الصحيحة، صاح من الفرح. لقد كان التمساح الصامت كان أبعد خطرا بكثير بالنسبة الى «خطاف»من ذلك التمساح الذي يتكتك. وراح يتساءل كيف يستطيع ان يحول هذا الظرف الجديد لصالحه. وكما فكر بدأ يتكتك ومنحته ال«تك توك»قناعة خاصة إذا ما استمر الحفاظ عليها، فانه قد يجد طريقا أمنا. خلال المنطقة الخطرة التي أمامه، وهذا ماحصل إذ ان جميع الحيوانات المفترسة، ابتعدت عن طريقه عندما كان يتكتك. لكن واحدة من النتائج القريبة قد حدثت إذن التمساح نفسه سمعه، وتبعه، واستمر يتبعه.

وعندما استمر «بيتر» يقول «تك توك» عاليا في الصمت الذي حوله، كان يردد: « خطاف»أوأنا هذه



المرة.« خطاف»أو أنا هذه المرة.» وبعد وقت كان يسبح متجها نحو ال«جولي روجر».

واصبحت التكتكة عادته الثانية. لدرجة انه لم يكن يعرض انه كان يحدثها، رغم انها كانت تعمل بانتظام مثل انتظام تكتكة الساعة.

لقد فكر، وفي الحقيقة أمل انه كان يتسلق جانب السفينة بصمت، كما يفعل أي فأر. وفي الحقيقة استرد وعيه، عندما استطاع ان ينظر فوق سطح السفينة، ويشاهد القراصنة ينكمشون مرتعدين بعيدا عنه،و« خطاف» وسطهم. وهو مقنط ومرعوب كما لو انه كان يجابه التمساح حقيقة.

وحالما خطرت كلمة التمساح في ذهن «بيتر» عرف مالذي حدث وراح يدرك ماكانت تفعله تكتكه. وبسرعة أشار الى الاولاد في أن يتراجعوا عن اعجابهم وحذرهم بصمت: «من غير تصفيق، رجاء!»

لم يره أحد غير الأولاد وهو يجيء الى سطح السفينه. ولكن في اللحظة التالية ظهر رئيس البحارة، فتلقى ضربة من«بيتر» وفي اللحظة الحاسمة تلك وضع «جون» يديه فوق فم القرصان ليخمد صرخة، وفي اشارة من «بيتر» رمى بقية الاولاد الجثة فوق . وكان هناك صوت سقوط في

الماء ثم صمت.

كان «نحيل» يقف بين الظلال وبدأ يعد الأهداف : «واحد!» صاح مترنماً. اندفع «بيتر» نحو القمرة بعد ذلك لقد لاحظ ان بعض القراصنه كانوا يلملمون شجاعتهم لينظروا خلفهم، لانهم سمعوا ان التكتكة قد انقطعت، لكن «بيتر» اختفى عن البصر، قبل أن يتحرك أي واحد منهم مسح« سمي» نظارته وقال:

-«لقد ذهب، أيها القبطان كل شيء هاديء.»

وببطء، جعل«خطاف» رأسه يظهر من اعماق طوق رقبته المكشكش. وراح يصغي بانتباه لأي صوت لتكتكة. ولما لم يسمع سوى الصمت نهض ووقف عمدا على طوله. وصاح: «والآن الى اللوح أيها الأولاد!»انه يكرههم الان أكثر من أي وقت لأنهم قد شاهدوه وهو خائف، وراح يغني اغنيته الخسيسة:

«يوهو، يوهو..ايها اللوح المرح.

ستسيرون عليه.

إلى ان ينزل الى اسفل وتنزلون ألى أسفل، الى «ديفي جونز» في الاعماق!»

وليرعبهم أكثر تظاهر انه يسير متبختراً بمحاذاة لوح خيالي، وكشر بوجه الاولاد عندما كان يغني. ثم، في

صوت مرعب، زمجر:

-«هل تريدون أن تلمسوا القطة، قبل أن تذهبوا؟»

-«لا!«زمجروا وصاحوا. لا، لا!» «أحضر القطة ياجوكز» قال «خطاف» وهو يبتسم: «انها في القمرة.»

-«نعم. نعم.»قال« جوكر» بمرح.

تبعته عيون الأولاد.وسمعوا، بالكاد، انشودة« خطاف» التالية بمصاحبة كلابه:

«يوهو، يوهو القطة المخربشة،

أذيالها تسعة. كما تعرفون-»

ولكن سرعان ما اعترضت الانشودة، صرخة مرعبة من القمرة. كان هناك عويل في السفينة. ثم اختفى وتبعه صياح ديك. فهمه الاولاد جيدا. لكنه كان بالنسبة للقراصنة. صوت أشباح.-«ما..ماذا هناك؟»تلعثم« خطاف» واهتز.

ومن زاويته. كان «نحيل»يعد بهدوء: «اثنان؟»

تردد« سيكو» واندفع نحو القمرة، فخرج وهو يترنح ومنهك وقد جحظت عيناه.

-ما أمر «بل جوكز»،ايها الكلب؟ هسهس« خطاف» وهو يدور فوقه.

-«امره هو انه قد مات،» أجاب «سيكو» في صوت

أجوف، «طعن.»
-«بل جوكز» ميت! صرخ القراصنة، وهم مرعبون. وغير مصدقين ذلك.
-«القمرة سوداء مثل نواة،» قال«سيكو»وكأنه يهزر،
-«وهناك شيء مخيف. الشيء الذي سمعتموه يصيح.»
أظهر الاولاد جدلهم، وشاهد «خطاف» ذلك كماشاهد عبوس نظرات القراصنة.
-«سيكو» قال في صوته الفولاذ الناعم احضر ذلك الذي يصيح مثل الديك، صحيح أن سيكو كان شجاعا. لكنه جبن عند سماع ذلك الامر. وصرخ: «لا. لا!»لكن« خطاف» همهم: «قلت انك ستذهب، ياسيكو»؟»
رفع «سيكو»ذراعيه يائسا، وذهب. لم يعد هناك غناء الكل كان يصغي وسمعوا ثانية صرخة الماء، ثم صياح الديك.
لم يتكلم أحد، غير ان «نحيل»قال «ثلاثة!»
أراد« خطاف» أن يلم شعث كلابه: «ايها الاسماك الميتة الغريبة!» أرعد.« من سيخرج ذلك الديك؟»
-«انتظر حتى يخرج «سيكو»همهم« ستاركي» واظهر البقية موافقتهم.
-«اظن انني متطوع يا«ستاركي»قال «خطاف وهو يخرخر ثانية.
-«اقسم انك لم تسمع!»صراخ« ستاركي».
-«خطا في يظن انك قلت ذلك،» أجاب«خطاف».
وهو يسير نحوه..«ألن يكون شيئا ناصحا مداعبة الخطاف!»
-«سأشنق قبل أن أذهب الى هناك،»أجاب «ستاركي» بعناد..ومرة أخرى غمغم القراصنه معه.
-«هل هو تمرد؟»سأل «خطاف» وهويبدو اكثر انشراحا..«هل ان«ستاركي» زعيم فتنه؟»
راح العرق يتصبب من« ستاركي»..«الرحمه أيها القبطان.همهم وكل شيء فيه يرتجف.
«لنتصافح يا«ستاركي»قال« خطاف» وهو يظهر مخلبه. نظر «ستاركي» حوله طلبا للنجدة.لكن البقية تخلت عنه الان تراجع الى الخلف،و« خطاف» تقدم، وشرر أحمر يتطاير من عينيه. وبصرخة يأس قفز «ستاركي فوق فوهة المدفع وغاص في البحر.
-«أربعة!» قال شاركي ؛ تساءل «خطاف» بدماثة، «والآن» «هل يوجد رجل مهذب أخر يقر

بالتمرد؟».

التقط فانوسا، ورفع خطافه برعب. وهو ينظرهم. وقال:

-«سأجلب ذلك الديك. بنفسي!».

انتظر الجميع وقد انقطعت أنفاسهم. لم تسمع الصرخة، ولكن في الحال، جاء« خطاف» يترنح خارجا من غير فانوسه.

-«شيء ما اطفأ الضوء،» تمتم من غير ثبات.

شيءٌ ما. هل قال ذلك ردد مولنز.

-«ماذا بشأن«سيكو؟ تساءل«نودلر».

«ميت»قال«خطاف»باقتضاب..ميت مثل«جوكز».

وند بالقرب منهم شيء يشبه الألم، لأن القراصنه يؤمنون بالخرافات صاح «كوكسون»: «يقولون ان السفينه تصبح ملعونه عندماتظهر فيها علامة اكيدة. وهي وجود واحد اضافي فوق سطحها. لم يحسب له حساب.»

-«لقد سمعت بذلك، «تمتم» «مولنز»..هل له ذيل. أيها القبطان؟»

-«هل له خطاف، يا. قبطان؟ تساءل«كوكسون» بوقاحة.

وصاح الرجال الواحد بعد الأخر السفينة ملعونة!

ملعونة!»

في تلك اللحظات لم يتمالك الاولاد نفسهم في اظهار انشراحهم. وقد نساهم«خطاف» تقريبا لكنه دار حولهم الان وقد انشرح وجهه.

-«ايها الرجال، قال لرجاله، « هذه فكرة افتحوا باب القمرة، وقودوهم الى هناك. دعوهم يحاربون الديك أذا قتلوه، فانه شيء رائع،» وإذا قتلهم فلسنا نحن الأسوأ..هاهاها!» نظر اليه القراصنة الكلاب باعجاب. لأخر مرة– ونفذوا أمره تظاهر الأولاد بالممانعة والصراع. عندما كانوا يدفعون ويساقون الى داخل القمرة وضربت الباب خلفهم.

-«اصغوا الآن!»ناشد«خطاف»رجاله.

اصغى الجميع للصرخات المتوقعة، ولكن لم يجرأ احد على مواجهة الباب غير«وندي».كانت ماتزال مربوطة في الصحاري، لكنها أدارت رأسها، لالتصغي، ولكن لمراقبة«بيتر».

كان يبحث طوال هذا الوقت عن المفتاح ليفتح السلاسل التي قيد بها الاولاد، وفي الاخير وجده. ولذلك عندما أصبحوا احرارا. سلحوا أنفسهم، بما استطاعوا أن يجدونه هناك وتسلل «بيتر»خارجا. من غير

أن يلاحظه أحد، ليقطع حبال«وندي».

لم يكن هناك شيء أسهل له من قيادة والاولاد.خارجا وطاروا فوق رؤوس «خطاف» ورجاله لمكان آمن ولكن ماتزال فكرة خطاف أو أنا هذه المرة.» ماتزال في رأسه. وأخيرا «وندي» والأولاد أن ينتظروا حتى تجيء اللحظة. وعندما كانت داخل القمرة، أخذ مكانها في الصاري، ولف نفسه بردائها، لكي يستطيع المرور. ثم أخذ نفسا طويلا، وصاح مثل الديك. فظن القراصنة انها دلالة على ان جميع الاولاد قد قتلوا، وخافوا من«من سيكون القادم،» حاول «خطاف» أن يشجعهم، ولكنه كما صنعهم مثل الكلاب فقد كشروا عن أنيابهم، وعرف انه لو غض نظره عنهم فانهم سيثبون عليه.

-«ايها الرجال»قال مخادعا،«اعرف ماهذا لدينا«جونا»على سطح السفينة.

-«جونا»والخاطف سلاحانا» زمجر قرصان وبصق.

تجاهله«خطاف»..فقال موضحا: «فتاة».

«لايكون الحظ أبدا مع سفينة قراصنة. على ظهرها امرأة. ولكننا سنكون على مايرام عندما نذهب».

البعض تذكر انهم سمعوا «فلنت» يقول الشيء نفسه. لكن البقية كانوا نافذي الصبر.

«من الأفضل أن نجرب،»قالوا بشك.

اتقدت عينا«خطاف».

«ارفعوا الفتاة الى ظهر السفينة.«صرخ. وكان هناك اندفاع باتجاه الصاري.

-«لن يستطيع أحد أن ينقذك هذه المرة، يا آنستي،» هسهس «مولينز».

-«يوجد هناك واحد»، جاء الجواب من اسفل رداء «وندي».

-«من ذلك؟».

صرخت عدة أصوات.

-«بيتر بان» المنتقم.. جاء الجواب المرعب. وعندما تكلم، رفع «بيتر بان» الرداء، وعرف الجميع، من فكهم في القمرة.

حاول «خطاف» مرتين أن يتكلم وفشل مرتين. وفي المحاولة الثالثة، نجح وصرخ: «افلعوه حد الصدر!» ولكن من غير اقتناع.

-«ليصعد الأولاد الى الآعلى،» انطلق صوت «بيتر»، فاندفع الأولاد من مخابئهم، حول السفينه.

تبعثر القراصنة.. وتراكضوا هنا وهناك في الضوء الخافت، يصطدم بعضهم ببعض بوحشية، وكل واحد

منهم يظن انه الشخص الآخير الذي ترك. حارب الأولاد في أزواج، يختارون طرائدهم. بعض الرجال تظافروا فوق ظهر السفينة بهلع. واختفى البقية بين الظلال، حيث وجدهم «نحيل» الذي لم يحارب لكنه ركض بين الاعداء وهو يحمل فانوساً، يضيئه بوجوه المتسللين، وفي عيون المقاتلين. لقد كانوا يقاتلون بصمت، في الغالب، لكن صليل الأسلحة وسقوط الأجسام، وصوت سقوط الرجال وهم يذهبون إلى اسفل، إلى «ريفي جونز»، ملأ الجو بالضجيج، ومن خلال كل ذلك، كان صوت «نحيل» الهادئ البطئ، الذي يرتفع في الوقفات، مايزال بعد: «خمسة... ستة.. سبعة... ثمانية، تسعة، عشرة، احد عشر...».

وبدا ان جميع الرجال قد ذهبوا عندما أحاط الأولاد ب «خطاف». لقد كان من الواضح انه يريد ان يحيا حياة هانئة، من خلال القتال، والآن، رغم ان الأولاد قد فعلوها مع الكلاب، بدا القبطان وهو طرف منازل لهم المتحدين سوية.

رفع أحد الأولاد بخطافه، وكان يستعمله كدرع، عندما جاءت صرخة تقول: «هذا الرجل لي. ارفعوا سيوفكم ياأولاد.».

لذلك وجد«خطاف»نفسه وجها لوجه مع «بيتر»ورجع الاخرون الى الوراء وشكلوا دائرة حولها. كانت هناك لحظة طويلة.، عندما راح الاثنان ينظران الى بعضهما، لكنهما لم يتحرك..

-«هذا عملك إذن يا«بان» قال«خطاف»أخيرا وهو يرتعد.

-«نعم، يا«جميس خطاف»جاء الجواب الصارم..«كل شيء من صنعي».

-«شاب متبجح ومتغطرس،»قال«خطاف»..تهيأ لتلقى نهايتك.»

-«أيها الرجل المظلم الضئيل.»، أجاب «بيتر»..تلقاها!»

عندها اشتبك الاثنان، ولفترة من الوقت لم يكن الموقف لصالح أي من المتبارزين. كان «بيتر»سيافا ماهر، ويتفادى الضربات بسرعة باهرة. واتبع ذلك بهجوم وطعنات واستطاع أن يمر بدفاع عدوه، لكن قصره أعاقه. كان «خطاف»متألقا أيضا، لكنه لم يكن فيها بما فيه الكفاية. في مباراة الرسغ..لكنه امل ان ينهي كل شيء فجأه بطعنه مفضلة علمه اياها منذ فترة طويلة «باربكيو»، في «ريو»لكنه وجد ان طعنته تحيد جانبا لست لمرة واحدة، ولكن ثانية واخرى. أراد ان ينهي

القضية بخطافه، الذي راح يمزق به الهواء معظم الوقت. لكن «بيتر»كان ينعطف فجأة ويميل اسفله، ثم يطعن بضراوة في ضلوعه.

وعند رؤية دمه وهو يراق أمامه. وكان دمه أصفر كما كانت تقول الشائعات دائما. ترك «خطاف»سيفه يسقط واصبح تحت رحمة«بيتر».

-«هيا الآن!» صرخ الأولاد في انتصار لكن «بيتر»بحركة فخورة. وقف جانبا داعيا«خطاف»الى أن يلتقط سيفه. فعل ذلك من غير تردد. لكنه قبل أن يبارز ثانية، ثم سأل بصوت أجش:

-«بان»..من انت ومن أي شيء؟»

-«أنا شاب انا مبتهج صرخ«بيتر»..أنا ولد! أنا ولد»

لم يعر للأمر أهمية، فصرخ«خطاف»بيأس: -«الى النزال ثانية!» راح يقاتل بعنف..وكل حركة ناشطة من ذلك السيف المرعب تستطيع ان تقسم إلى نصفين أي رجل او ولد يقف في طريقها. لكن «بيتر»كان يرقص حوله، متجنبا كل ضربة بسهوله. وكان الريح تميله عن الخطر.

مرة اخرى واخرى اندفع بسرعة وطعن كان«خطاف»يقاتل بهياج، مثل رجل فقد الأمل. لم يعد يهتم فيما إذا كان حياأو ميتا. وعلى أية حال، عندما استعاد عقله امكانية خاصة، كان قادرا على الهرب وركض باتجاه مخزن البارود، ليفجره.

-«في دقيقتين،» صاح وهو ينظر بنظرة شيطانية ومنتصرة..«في دقيقتين ستنفجر السفينة الى أجزاء لكن بيتر تبعه وعاد هو منتصر أيضا، حاملا في يديه قذيفة، وبهدوء رماها في البحر. ثم تقدم ببطء نحو خصمه، وقد شهر مديته، وعرف «خطاف»انه قد اندحر فقفز فوق الحاجز، متجاهلا وجود التمساح الصامت الذي كان ينتظره في تلك اللحظة، ولكن قبل أن يرمي بنفسه في البحر نظر من وراء كتفه ألى «بيتر».على الاقل ان تلك اليد سوف لن تسدد الضربة القاتلة لكن«بيتر» جاء خلفه، وبضربة قوية رماها من فوق جانب المركب الى البحر- الى فكي الموت في الحقيقة.

وهكذا، انتهى«خطاف».

-«سبعة عشر!» جاء صوت«نحيل» الحزين- رغم ان عده لم يكن دقيقا.

الفصل العاشر

يا لـ «ستاركي البائس»

أخطأ «نحيل» في العد، بعد أن هلك كل القراصنة، الذين قفزوا، أو تم رميهم في البحر في تلك الليلة. اثنان منهم قد هربا. «ستاركي» الذي دفعه خطاف «خطاف» من السفينة، سبح باتجاه الشاطيء، وبالرغم من ان انه كان يسير على اليابسة، الا انه سار ووقع في ايدي الأفعى الصغير العظيم، ورجاله الشجعان، الذين كانوا يخيمون قريباً، ومعهم «زنبقة النمر»، والاطفال الذين بقوا مع القبيلة، تحت الرعاية الخاصة.

جبه «ستاركي» بعد مشاهدة الهنود الحمر، بعد أن تعرضوا اللاعتداء الغادر عليهم من قبل القراصنة. بكي وتوسل طلباً للرحمة، فحافظوا على حياته بازدراء، لكنهم قيدوا رسغه بكاحله، بحبال طويلة، ولا لحاقه بعار نهائي، جعلوا مربية لجميع الصغار.

بعد ليلة أو اثنين من الامساك به، كان «ستاركي» يجلس خارج كوخ «زنبقة النمر» وهو ما يزال مقيد، ويجتر

اصواتاً حزينة كئيبة، كان يعول ويئن، وهو جالس على لوح خشبي، يحرك نفسه الى الأمام والخلف، انسجاما مع موسيقاه، وهو يقول: «ستاركي» البائس! يا ل «ستاركي البائس!»

– «لا تقل ذلك!» صرخ الافعى الكبير، الذي خرج من الكوخ، وهو يلوح بفأسه: «غني «ستاركي» السعيد، لا «ستاركي» البائس.»

راح «ستاركي» يهتز من الخوف، ونفذ ما طلب منه، وارتعش، وراح صوته يصر بصوت عال، كان خارج سيطرته:

– «سعيد، سعيد، سعيد، «ستاركي»! سعيد، سعيد «ستاركي»...! أوه!...»

– سننام الأن» قال الثعبان وهو يعود... «وانت تغني بسعادة حتى أعود – والا!» وقام بحركة مرعبة في سكينة: «اوه اوه.. واه واه» انهى كلامه.

وللحظة راح الرجل المحطم يغني «يا «ستاركي» السعيد»، ثم عاد مرة أخرى: «يا «ستاركي» البائس»، ولكن برز الى الخارج رأس رجل هندي ليذكره، فصرخ ثانية: «يا ستاركي» السعيد، السعيد.»

كان ما يزال يغني – مرة سعيد ومرة بائس



«ستاركي»، عندما جاء رقصه قصير يرتدي تنورة قرصان، يزحف باتجاهه، من بين الاشجار، وهو يغمغم مع نفسه: «رعب فوق رعب! رعب مرعب، يرعبني جداً!» لقد كان «سمي»، الذي توقف ليصغي بانتباه، بعد ان سمع صوت «ستاركي».

– «أوه.. ايكون هو؟» صرخ وهو يندفع بسرعة بالغة، وبتهور، نحو صديقه القديم.. ««ستاركي».. أهو أنت؟»

توقف «ستاركي» عن نواحه، وترنح على قدميه، وصرخ:

– «سمي»! أهو انت! «سمي»! أنا «ستاركي»! «ستاركي البائس!»

– «كنت اظن انك غرقت.»، حياه «سمي»، وهو يهز رأسه.. «لقد سحبت باتجاه الشاطيء.»

وفي الحقيقة، انسل «سمي» بهدوء جانباً عندما شاهد ما كان يجري ل «خطاف».

– «وأنا أيضاً فعلت ذلك،» قال «ستاركي». «مباشرة في ايدي الهنود الحمر. اقطع قيودي يا «سمي».»

– «واحسرتاه!» قال «سمي».. «وويل لي، لا أستطيع أن أقطع قيودك يا «ستاركي»، ياصديقي القديم. لا توجد عندي شفرة موسى ولا سكين.»

جلس فوق اللوح، وربت عليه ليجعل «ستاركي» يجلس عليه ثانية ايضاً وراح يهز رأسه «لستاركي» الفقير الحزين.

– «أيها الروح الفقير!» صاح.. «فقير ملعون. ولكن دعنا نتحدث عن أشياء أخر. عن «زنبقة النمر» الأن. هل تعرف ما حل بها؟»

– «نعم. انها هنا.» قال «ستاركي»، نفتش عن ارض اخرى ليخيمون عليها، مع الافعى وقليل من الشجعان. «سمي»...» نظر اليه «ستاركي» ملتمساً، لأن «سمي» لم يسمع لحد الأن الشيء الأسوأ. «سمي»، علي أن اعتني باطفال الهنديات الحمر.»

نظر «سمي» بعينين طارفتين نصف مغمضتين. ارتعشت زاوية فمه. هز رأسه: «أنت؟» تمتم. «مربية أطفال؟ انه هبوط بالنسبة لقرصان يا «ستاركي».. نعم، انه كذلك.»

بعد أن تواسا الاثنان قليلاً، تساءل «ستاركي» فيما إذا كان «سمي» يعرف شيئاً عن قدر القبطان.

– «لا، » أجاب، «لكن التمساح كان قريبا، وربما حصل عليه – لأن الساعة توقفت، يا ستاركي»، أخيراً.»

هذا رفع من معنويات «ستاركي» اللحظة، ورفع عينيه عن الارض - لينكمش الى الوراء فقط - وكان خائفاً لدرجة لم يستطع معها أن يطلق صرخة.. لقد كان التمساح، يصل ببطء.

- «ارتاح الآن،»، قال «سمي» بسرعة. «لا تخف، يا «ستاركي» انه لن يغرز سناً في أمثالنا. انه ذواق طعام لذيذ. انه يصطاد القبطان وأمثاله.»

تحرك التمساح ببطء نحوهما، وكأنه ثعبان. ذهب «سمي» لملاقاته، ومديده، لكنه أدار رأسه بعيداً، وحرك عينيه.

- «هل رأيت ذلك الأن؟» قال «سمي»، وبجرأة عظيمة، مد ساقه، فرفضها التمساح كذلك.

- «لقد كان شيئاً محظوظاً بالنسبة لي، تمتم «سمي». - غير انه يناكد، كما تعرف. أريد أن أعرف فيما إذا كان «خطاف» السنبل في بطنه.

- «انه يعرف ذلك جيداً،» أجاب «ستاركي» بقنوط. «لكنه لا يستطيع أن يتكلم. هناك شيء يحزن الحيوانات البكماء، جداً، كما أفكر بذلك، يا «سمي».

- «أوف» - تمتم «سمي»، وهو يفكر بشيء أخر، وفي الحال تقدم شيئاً فشيئاً نحو «ستاركي»، وهمس في اذنه

- «يقولون ان الموسيقى تجعلها تنعس. هل تعزف واحداً من انغامك الجميلة يا «ستاركي»، وسأحاول معه؟ إذا نجحت الفكرة، فسأصل اليه، واحيي القبطان.»

التقط «ستاركي» الآلة، لكنه لم يكن يملك البراعة في ان يعزف موسيقى جميلة منها. لكنها على اية حال كانت وافية بالغرض لأن تجعل التمساح يتثاءب، ويالمشهد اسنانه الذي رأوه! ثم اغمض عينيه برقة.

- «نام!» همس «سمي» في نبرة اعجاب عظيمة. لكن صوتاً أخر تناهى الى سمع «ستاركي»، ونطق بسرعة: «اسكت!» انتظرا بشوق لدقيقة أو دقيقتين، ولكن لم يظهر أحد من مخيم الهنود، فتنفسا ثانية.

ذهب «سمي» بحذر الى التمساح، وطرق على خاطرته، ثم وضع اذنه عليها و أصغى. ثم نادى بهمس عال: - « أيها القبطان، هل أنت هناك؟ هل أنت هناك، أيها القبطان؟ انه أنا «سمي»، اناديك!»

لم يأت جواب. «لا أظن انه هناك.»

- «تحسسه،» اقترح «ستاركي»، «تحسسه يا «سمي».»

وبحذر، ضغط «سمي» يده على الجلد السميك، وكان هناك صوت مفاجيء مثل عجلات الساعة تعمل. هذا جعل «سمي» يرتد راجعاً، ثم ضحك. «اللهاث الاخير

للساعة!» قال، «لكنني لا اظن ان القبطان هناك..

– «جلد التمساح سميك،» قال «ستاركي». «ربما لن يستطيع القبطان السماع من خلاله. افتح فمه وناده يا «سمي».»

رفع «سمي» بلطف الفكين الضخمين، لكنه وجد انه من الصعب جداً حملهما وهما مفتوحان بينما هو يحتاج الى يد واحد للفم حبلها تشابك حول احد الاسنان الطويلة، وحاول التخلص منه، فجعل «سمي» الفك يسقط، ففقد اصبعيه. وكصديق طيب، فتح «ستاركي» الفم وأعادهما اليه.

– «حييه بشعر احد اغنياتنا،» حرض «سمي». «سيجيب على ذلك، إذا كان يستطيع أن يجيب عن أي شيء في هذا العالم.

لكن اصوات الهنديات الحمر الصادرة من المخيم والتي تستدعيه، جعلت «ستاركي» يقنط.

– «انهن يريدنني، «قال، «الهنديات الحمر. علي أن أذهب وأخذ أطفالهن. وداعاً «سمي»، يا صديقي القديم.»

– الى اللقاء يا «ستاركي» المهذب» قال «سمي». «وداعاً!» زحف «ستاركي» على مضض الى الكوخ، ولم يشاهد بعد ذلك.

عندما بقي «سمي» لوحده، جثى التمساح، وفتح فمه، وغنى في حنجرته:

– «انت الذي في الداخل.. هل تسمع؟
ياقبطاني «خطاف»، يوهو!
أما تزال قبطاناً جريئاً؟
أو غرقت؟»

وهناك جاء نوع من الغواق المطول، من التمساح، واشرقت عينا «سمي». فتح فكيه ثانية، من غير خوف، هناك كان الخطاف.

– «أه، لقد اصطاده!» قال «سمي»، وأخذ الخطاف بيده.

– القبطان المهذب بداخله وهو على ما يرام. الجريمة عوقبت، ومات كل الانذال.»



الفصل الحادي عشر

الرجل الذي في الوجار

قضى الأولاد تلك الليلة، على ظهر السفينة «جولي روجر» وبعد دقتي أجراس، في ذلك الصباح، كانوا جميعا يحركون أوصالهم، اذ كان في انتظارهم الابحار الكبير. كان «صافر» يركض بينهم، وهو يمسك في يده نهاية حبل، ويمضع التنباك. كانوا جميعا يرتدون ملابس القراصنة.، يؤرجحون بسيوفهم القصيرة، ووضعوا البنادق على أكتافهم، وربطوا باحكام سراويلهم. كان «ريشة الكتابة» و «جون» وكيلي القبطان الأول والثاني، ولكن كان «بيتر القبطان طبعا، الذي اندفع نحو الدفة. وخاطبهم بأنه يأمل ان يؤدوا واجبهم مثل الأقوياء المهمين، رغم انه يعرف انهم جميعا من حثالة المجتمع، وحذرهم فيما لو أنهم سينطقون بكلمات لاذعة أمامه، فسوف يمزقهم. تلك كانت الكلمات التي فهموها، وحيوه بحرقة.

طلبت (وندي» منهم جميعاً أن يرتاحوا، استعدادا للطيران الطويل، ولكن لم يفعل أحد ذلك. لقد أغاروا

على السفينة الشراعية، وتسلقوا حبال الاشرعة والصواري، وتأرجحوا على الحبال. كان «جون» و «ميشيل» يعيشان الحياة التي يريدان، ولايضيعان لحظة منها. ليس لهناك العديد من الأولاد الحظ ان يعيشوا في معمعان مثل هذا القتال الذي خاضوه، أو مشاهدة نهاية كل قرصان، وخمسة عشر واحد منهم قد هلك في تلك الليلة.

كانوا جميعا يمرحون فوق السفينة، ويعملون كل الاشياء، التي سوف لن يفعلونها ثانية قبل أن ترجع «وندي» الى قمرة القبطان مساء، اخبرها «بيتر» ان «تنكر بيل» ستقود جماعتها في العودة الى حدائق «كنسنكتن»، وشكرته برقة، من غير ان تشك بأي شيءْ آخر في فكرة ؛ سر عهد به الى «ثنك».

في اثناء كل وقت المغامرات في الارض الخيالية، لم تظهر أية علاقة تغيير على البيت المنخفض الابيض، في طريق «بايزووتر»، ظاهريا، فيما عدا ان الشباك الموجودة في الطابق الثاني، المطل على الحدائق، مفتوح ليل نهار، من غير اي اعتبار لحدة الصقيع، وشدة الضباب.. ولكن كانت هناك تغيرات في الداخل ..

منذ الليلة، عندما ظهر «بيتر» في حجرة نوم

الاطفال، وعلمهم كيف يطيرون وعندما شاهدهم السيد والسيدة «دارلنك» وهم يطيرون فوق قمم الأشجار، شعر والدهم ان الخطأ خطأه، اذ ما كان عليه أن يلعب تلك الحيلة الوضيعة مع «نانا» كان عليه ان يتصرف احسن من ذلك التصرف حينما جذب «نانا» الى الطابق السفلي، وترك حجرة نوم الأطفال ، من غير حراسة. لذلك بعد ان فكر في الأمر مليا، قرر ان الشيءْ الذي يفيده حقاً، هو أن يعيش في الوجار، نفسه، حتى يعود الأطفال الى البيت، ثانية.

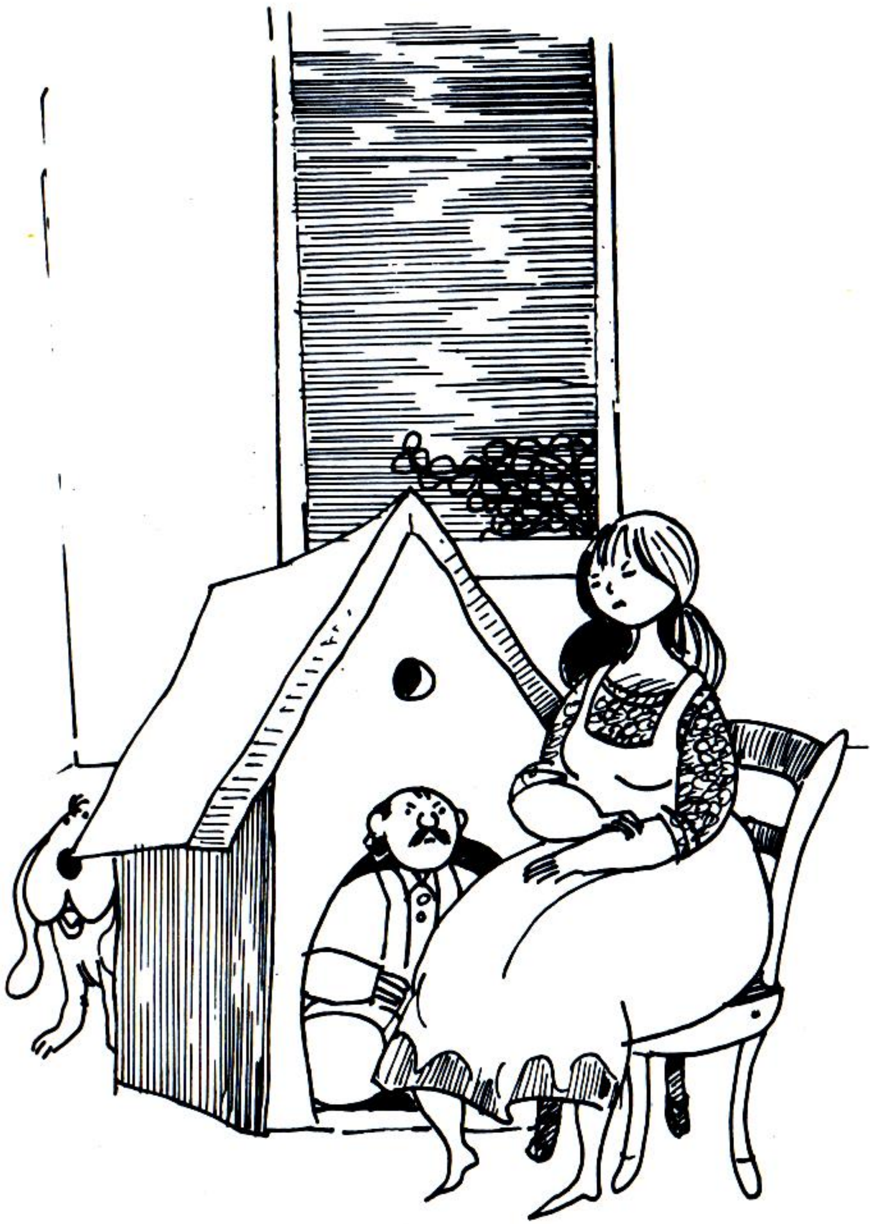
ناشدته السيدة «دارلنك» في أن يتخلى عن تلك الفكرة، اذ انه غير مبجل لرجل مهذب أن يقضي أيامه ولياليه في وجار كلب، لكنه لم يتخل عن قراره.

-« لا ايتها الاعز» - أجاب بصرامة.. «هذا هو مكاني الان.» ونزل وهو يسير على أربع ، وزحف خلال مدخل البهو وجعل من نفسه مؤدبا جدا ومراعيا «نانا» ، فيما عدا السماح لها باالدخول في الوجار. لقد حاولت، مرات قليلة، ان تنبح عاليا وبشدة عليه، وأرادت أن تخرجه وهي تمسكه من مرفقه، كما اعتادت أن تفعل مع الاطفال ، لكن ذلك لم يجد نفعا. تخلت عن ذلك، وذهبت لتعيش في الطابق الاسفل، وحالفها الحظ في ان

تكون عائلة لها.

وفي كل صباح كان الوجار يحمل، وبداخله السيد «دارلنك» الى عربة، وينقله الى دائرته في المدينة. وكان يعاد، كل مساء، في الطريق نفسها. واشتهرت القصة بصورة تدريجية، وبدأ الناس يتعلقون حول الباب، ليشاهدونه وهو يحمل خارجا. وقد قال السيد «دار لنك» انه يكره ان يكون مادة لهكذا غرابة ولكن كان هناك شك قليل قيل في بعض عدم الراحة في حياة الوجار. وراح الناس يكتبون في اسفل بطاقات دعواتهم: «تعال في وجارك!».

في تلك الليلة، عندما خاض الأطفال قتالهم العظيم مع القراصنة، كانت السيدة «دار لنك» تجلس هادئة في البيت، تنتظر في حجرة نوم الأطفال (كما تفعل دائما) عودة زوجها من الدائرة. كانت منحنية الى الوراء على الوسادة بكسل، وقد اغمضت عينيها، وشحب وجهها وسادها الحزن، صعدت «نانا» الى الطابق العلوي، أيضا واضطجعت مرتاحة. تحت قدميها. وفجأة نهضت السيدة «دارلنك» من كرسيها وصاحت: «آه يا «نانا»!» ثم نظرت بعينين طارفتين نصف مغمضتين، عدة مرات ، وقالت بحزن: «ظننت ان الاطفال قد عادوا! انني كنت



أحلم.»

كانت على وشك البكاء، تقريبا، من الخيبة، فنهضت «نانا» ووضعت كفها الكبير على ركبتها، ومدت جسمها لتطبع قبلة مخلصة على خدها الشاحب.

وصل الوجار في تلك اللحظة، وجلب الى الطابق العلوي، ويسمع نخير وصعوبة تنفس كبيرين من الرجال الذين حملوه. انزلوه في زاويته المعتادة وانتظروا الى أن وضع في ايديهم الممتنة شيءٌ كان دائما يوضع .

كان هناك ناس اسفل، في الشارع يصيحون ويحيون بدماثة، وعندما ذهب سائق العربة وزميله، صرح السيد «دارلنك» :

- «اصغي الى ذلك، ياعزيزتي ! شيءٌ مسر، في الحقيقة !»

نظرت «ليزا» وقالت باستنكار:

-«الكثير من الصبية الصغار يصرخون وراءك، في الشارع !»

-«ومعهم العديد من البالغين،» ذكر السيد «دارلنك» بزهو كان يعرف دائما ، ماذا كان يجري، وبأدب جم كان يرفع قبعته لأية سيدة كانت تنحني لتنظر في داخل الوجار.

لكن «ليزا» كانت تكتفي برفع رأسها بحركة مفاجئة، كانت لاتستطيع تحمل تصرفات السيد. كان السيد «دارلنك» ينظم حديثه الودي مع زوجته، نصفه داخل الوجار، ونصفه خارجه، يتكيءُ الان وثانية، ليربت على يدها براحة.

-«لوكنت رجلا ضعيفا-» قال، «بحق السماء، لو كنت ضعيفا ما الذي كان يحدث لنا ، ياحبيبتي؟»

لم تجب، بل كانت تنظر اليه باحثة ، كما كانت تفعل الان.

-«جورج»، قالت بتردد ، لأنها لاتريد أن تجرح مشاعره،

«ماتزال آسفا لحد كبير بالنسبة للمسألة، أليس كذلك؟ ماتزال مملوء بالندم.. أليس كذلك؟»

دهش: «مليء...؟ بالأسف..؟» راح يتمتم.. «ياعزيزتي، إنظري لي ! انظري كيف انني اواصل العيش في وجار «نانا»، لمعاقبة نفسي - وأنا متشبث بذلك. ياعزيزتي..

-«نعم» قالت زوجته، وهي تريد الوصول الى ماتصبو اليه.،

«لكنك متأكد انك لا تستمتع بذلك، بالاحرى؟»

آلمه ذلك حقا، فانسحب في الحال، وكور نفسه ليأخذ سنة من النوم، ولكن عندما أراح نفسه في الوجار، ناداها: «اعزفي لي لأنام»

يا «ماري».. وأضاف عندما استدارت مبتعدة.. «قلت لك اغلقي ذلك الشباك. هناك تيار هوائي مخيف يهب نحوي مباشرة استدارت السيدة «دارلنك» وهي مبتلاة، وصرخت بنعومة:

-«جورج» كيف تقول ذلك! انت تعرف ان ذلك الشباك يجب أن لايغلق أبدا. انه مفتوح دائما للاطفال. لاتسلني لأن أغلقه يا «جورج»..

وبسرعة اعطاها الحق، وذهبت الى احدى الغرف، حيث كان البيانو، وراحت تعزف الالحان الناعمة التي يحبها كثيرا. وفي الحال نام، ولم يسمح صوتا حينما طار في الحال شخص ما، خلال النافذة. جاءت بقعة مضيئة صغيرة، أيضا. وراحت تطير بصورة متعرجة نحو الأرضية.

-«اغلقي الشباك يا «تنك» نادى «بيتر» بنعومة.

-«بسرعة، وضعي عليه الرتاج. هذا صحيح. سنجد طريقة اخرى لنخرج بها، لكن «وندي» الأن لن تستطيع الدخول عندما تجيءُ. ستظن ان امها قد اغلقته، وستطير

عائدة الى «الأرض الخيالية».

كان مبتهجا جدا لنجاح خطته لدرجة انه رقص ووثب مرحا حول الغرفة. ثم سمع الموسيقى، وانسل من الباب ليشاهد من كان يعزفها.

-«انها أم «وندي»..: همس بذلك لـ«تنك». «انها لطيفة، ولكن ليس مثل لطافة أمي، وفمها مليءُ بالكشتبانان، ولكن ليس مملوء مثلما كان فم أمي.»

لم يكن «بيتر» يعرف اللحن، لكنه كان «البيت.. البيت الجميل.» لم تكن تصاحبه بأي كلمات غناء، ولكنها كانت تدندن قليلا مع الموسيقى. لكن «بيتر» كان يعرف ماتعني.

-« انها تقول: «تعالي يا«وندي» !تعالي!». همس «بيتر» لنفسه، ثم خرج مبتعدا من الباب وهو يرقص ، وصاح بجذل:

-«لن ترين «وندي» ثانية ايتها السيدة! الشبابيك مغلقة، والرتاج مثبت فيها!».

وبالرغم من انها سمعته ، فانها نشجت قليلا، ووضعت رأسها فوق الألة الموسيقية. عرف «بيتر» ان دموعا كانت تسيل من عينيها. فتمتم:

-«أنا أعرف ماتقولين - تريدين مني أن أفتح الشباك

، لكنني لن أفعل ذلك، لن افتحه يا «تنك»، لن أفعل!»

لكنه نظر اليها ثانية، وفكر: «انها تحب «وندي»، «ولكن أضاف في الحال بجرأة: «أنا احبها أيضا. لانستطيع كلانا ان نمتلكها، السيدة وأنا نريدها.»

بعد ذلك لم ينظر الى أم «وندي» أبدا، وانسل كما لو انه مسرور جدا بنفسه، حقا. صنع وجوها مضحكة ل«تنك» وراح يتظاهر بانه كل شيء كان لطيفا – ولكنه في اللحظة التي سكن فيها. شعر وكأن أم «وندي» تقرع في داخله مثل واحد يقرع بابا، ملتمسا اياه بأن يدع «وندي» تعود.

–«آه، حسن، «طحن ذلك الكلام بين أسنانه المطبقة باحكام.. –« تعالي يا «تنك» لنذهب . لا نريد اية امهات حمقاوات!» ثم فتح الشباك وطار .تاركا اياه مفتوحا على مصراعيه.

فتح الشباك اذن، بعد كل ذلك، ل «وندي» و«جون» و «ميشيل» طاروا باتجاهه، وهبطوا بدقة، على رؤوس اصابع اقدامهم، فوق سجادة غرفتهم. حمل «جون» و«ميشيل» على كتفيه، في الجزء الأخير من الطريق، لأنه كان نعسانا جدا، ولم يكن «جون» ذكيا

مثل «بيتر» تقريبا، في الامساك به عندما نام نوما خفيفا وبدأ يسقط من السماء. كان «ميشيل» في الحقيقة دائخا. ونظر حوله ببلاهة، وهو يتمتم: «اظن انني كنت هنا من قبل.»

–«بالطبع كنت هنا» نطق «جون» ذلك بلذاعة. «انه البيت!».

–«ألا تذكر سريرك القديم؟» سألته «وندي» وهي تتذكر كيف كان يتحدث عنه غالبا، عندما كان يعترض على وضعه في المهد، في البيت الذي تحت الأرض. لكن «ميشيل» تساءل:

–«هل هو؟» وهو مايزال غير قادر على اظهار قدرة احتماله.

–«اقول،» صاح «جون»، «هناك الوجار!» واندفع نحوه لينظر داخله. نزل على يديه وركبتيه، وذقنه كان يلامس الارض تقريبا عندما كان يحدق. ثم تحول نحو «وندي» وهو مستغرب وقال: «يوجد رجل فيه!»

انحنت «وندي» أيضا، وعرفت رقعة الصلع الموجودة في قمة رأس الرجل. «انه بابا!» قالت ذلك وهي متعجبة أيضا ومرتبكة تماما.

–«آه، دعيني انظر »توسل «ميشيل» ودفعها، ودفع

رأسه فجأة في الوجار وهو في غاية التحرق، لكنه اخرجه وهو خائب جدا.

–«أوه، انه ليس كبيرا كالقرصان الذي قتلقه.»

كان السيد «دارلنك». الذي لم تقلقه هذه الملاحظات، نائما.

–« أنا لا اذكر بابا ينام في الوجار،» قال «جون» في صوت مرتبك.

–«ولا أنا،» وافقت «وندي» على كلامه، وأضافت بحزن: «آه ياعزيزي! لا ادري اذا كنا قد نسينا أكثر مما نظن يا «جون»!»

احمر وجهه فجاءة وقال:

–« انا ادعوه انها لامبالاة مرحة من الام، ان لاتكون هنا عندما نعود؟»

لقد كانت اللحظة ذاتها التي جففت فيها السيدة «دارلنك» دموعها. وبدأت تعزف ثانية. نظرت «وندي» و «جون» الى بعضهما. «ماما!» قالت «وندي». وقف «جون» على اطراف أصابعه بالقرب من الباب لينظر، وأوما برأسه، وابتسم ابتسامة عريضة. غير ان «ميشيل» نظر اليهما وكأنهما يحتالان عليه. «الست انت امنا حقا اذن؟» تساءل بامتعاض شعرت «وندي» فجأة بالذنب،

وتمتمت:

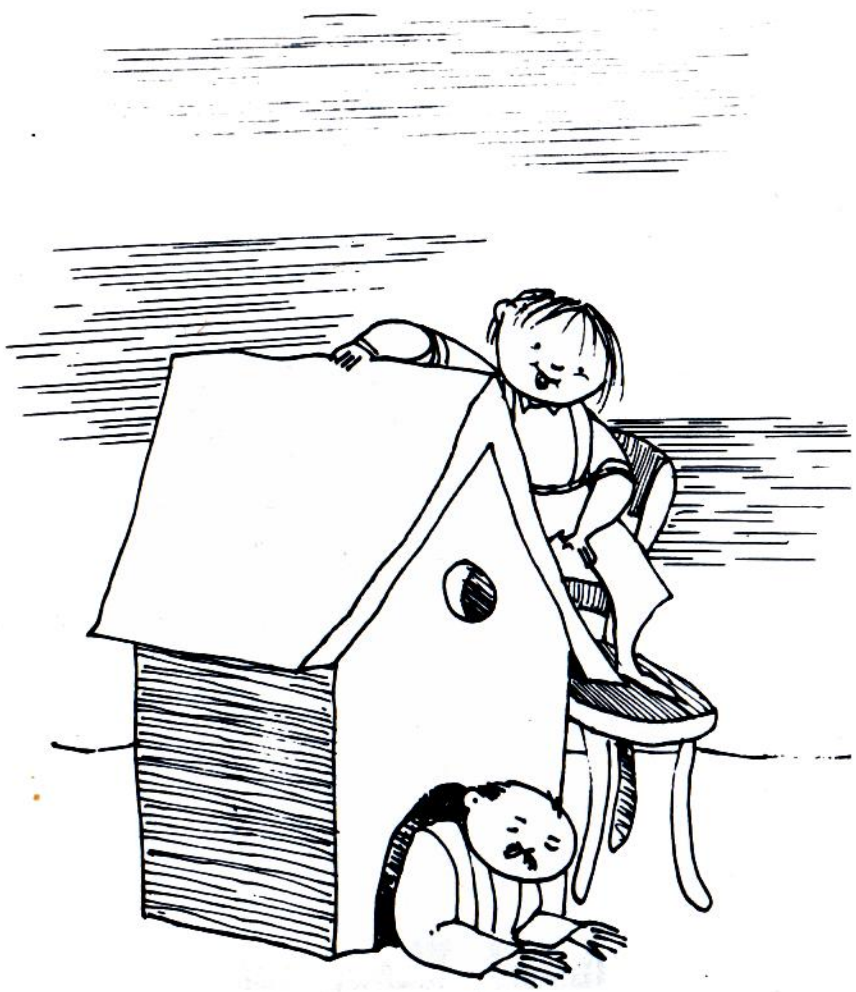
–«لا ياعزيزي! ان الوقت المناسب لعودتنا الى البيت!».

–«أنا أعرف!» صاح «جون» فجأة، «لنزحف نحو الداخل، ونضع ايدينا حول عينيها.»

هزت «وندي» رأسها، وهي تفكر بطريقة أفضل ثم وقع بصرها على الأسرة، وبكلمة الى «ميشيل» انسلوا تحت اللحاف، وهم يربكون اغطية السرير، اقل ما يمكن، رغم انه من السهولة جدا مشاهدة اكوام اجسامهم الطويلة النحيلة، تحت الفراش.

جاءت السيدة «دارلنك» تتجول، في الحال تقريبا، لترى ان كان «جورج» مستيقظا. شاهدت اكوامهم، لكنها غمغمت بنعومة جدا: «اراهم يعودون في الغالب، لكنهم لم يعودوا!» ثم عادت الى الكرسي القريب من النار، حيث كانت تحكي القصص منذ فترة طويلة. اختلست «وندي» النظر، ولم تفهم لماذا فشلت الحيلة. وثبت من السرير، وركضت مع «جون» و «ميشيل» على عقبيها نحو الباب، وصرخت بمرح: – «ماما»! ماما!».

– «كانت «وندي»... قالت السيدة «دارلنك» بنعومة،



ورأسها مايزال مدارا، غير مصدقة اذنيها.

-«انا أقول، ماما!» صاح «جون»، لكنها رغم انها تعرف صوته ايضا، فانها ماتزال غير مصدقة لما كان يحدث. وعرف «ميشيل» فجأة أين كان أيضا، فصاح:

-«ماما!» ولدهشتها، وجدته السيدة «دارلنك» في ذراعيها. في اللحظة التالية، وكان الثلاثة يلتفون حولها، وكانت تعانقهم بقوة يستطيعون تحملها.

ثم صاحت: «جورج! جورج!» فاستيقظ الأب، وأخرج رأسه من الوجار، وحدق.

-«ماذا هناك؟ قال، وزحف بعناية، خارج الثقب الذي كان صغيرا جدا تقريبا، بالنسبة لاجزاء الأكبر، من جسمه. صرخ «ميشيل» فرحا بذلك المشهد، وتوسل اليه وهو نشوان: -« افعلها ثانية، يا أبي!».

الفصل الثاني عشر

بيتر يرفض

وصل الاولاد المفقودون الستة، مع «وندي»، «جون» و «ميشيل»، ولكن عندما اقتربوا اكثر من البيت، بدأت «وندي» تتساءل ماذا سيقول أبواها عندما سيواجهان حقا صفا من ستة اولاد غرباء. اضافة الى ذلك، جاءوا في مثل هذه الملابس المضحكة، حاجات قرصان مختلطة مع جلد دب، ويبدون فعلا رائعين.

– «سأخبرك،» بدأت تتحدث بعطف، حينما وصلوا الى سياج المرأة بائعة النفاخات، حول الحدائق.. «انتم تبقون في الاسفل، بينما سنطير نحن الى الحجرة، ونستوضح الأمر».

– «نعم، نعم» قال «نحيل» في صوته الحزين.

– «انتظروا في البهو».

– «لن تتأخرين، أليس كذلك؟» تساءل «ريشة الكتابة» بعصبية.

– «لا.. لا» وعدت «وندي».. «عشر دقائق او نحو ذلك، كما اعتقد».

– «كم يستغرق ذلك؟» تساءل «صافر».

– «تك توك، تك توك،» غمغم «أجعد»، «ولكن ليس عندنا ساعة».

– – «حسن»، أجابت «وندي» بنشاط.. «احسب الى..» ثم توقفت ونظرت فوقهم. «من يستطيع ان يعد الى الف؟».

نظروا اسفل، الى اصابع اقدامهم، فيما عدا «نحيل» الذي تباهى فرحاً :

– «استطيع ان اعد، واحد اثنان.. واحد اثنان..»

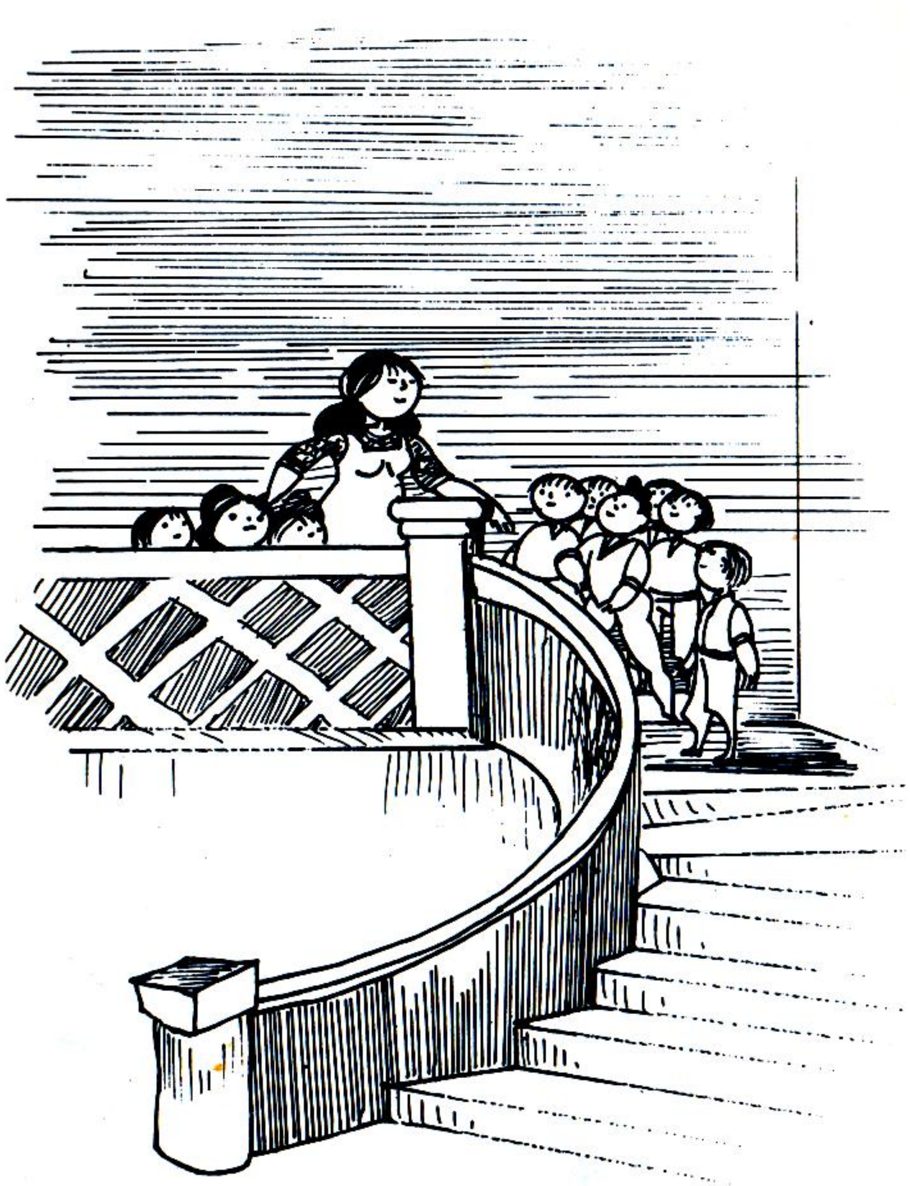
– «لا، ذلك لن يفيد،» اخبرته «وندي» بحزم.

– «اظن انني استطيع ان اعد،» قال «ريشة الكتابة..»، ولكنه لم يكن يبدو متحمساً.

– «حسن.. قل حتى خمسمائة،» اقترحت «وندي».

– «نعم، نعم،» وعد «نحيل». جميعهم وعدوا، ولكن كانوا يبدون مثل اناس يعرفون انهم يؤدون اختبارا فوق طاقتهم ؛ مهمة فوق طاقة الانسان.

– «حسن جداً،» وافقت «وندي». «بعد ان تعد الى خمسمائة، اصعدوا وستجدوننا. ذلك الشباك هناك. المفتوح. والان لاتبتعدوا وتظلوا الطريق.. هل تفعلون ذلك؟ سننتظركم وكذلك بابا و ماما».



ولذلك، بينما كان الثلاثة مايزالون في ذراعي امهم، وكان الاب يمط نفسه بعد ان كان محشورا فترة طويلة في الوجار، كان هناك ضرب بسرعة وتكرار لستة ازواج من الاقدام على السلم الذي يقود الى حجرة نوم الاطفال.

نظرت «وندي» فوق كتف امها، وقالت :

– «قلت يطير!» وقال «جون» :

– «كيف دخلوا؟».

لكن ضرب الاقدام لم يستمر فترة كافية لان يجيب اي واحد. كانت الباب مفتوحة، واحتشد الأولاد فيها، وكانوا خجولين عندما وجدوا ان عليهم ان يواجهوا شخصين بالغين. لكن «بيتر» كان يهتم بسلوكهم، فرفعوا قبعاتهم، وشكلوا صفا منظما يواجه السيدة «دارلنك»، لأن أهم شخص في الغرفة. كان عليهم، بالطبع، ان يضيفوا السيد «دارلنك»، لكنهم لم يستطيعوا أن يرفعوا أعينهم عن أم «وندي». تساءلوا في ان واحد، اذا كانت ستقبلهم، وأجابت في الحال : – «كان شيئا حبيباً أن تعيدوا لي اطفالي».

بدا «نحيل» وكأنه يريد أن يناقضها، لذلك داس «صافر» على قدمه. أومأ التوأمان برأسيهما بنشاط، وكأنهما فعلا ذلك لوحدهما، وكانت على وجه «ريشة الكتابة»

ابتسامة زهو.

لكن السيد «دارلنك» لم يكن مسروراً. كل من يرى ذلك، يظن ان ستة كانت عدداً كبيراً. قال متذمراً لـ «وندي» : – «علي أن اقول لاتفكري بانصاف الحلول!»

ظن التوأمان انه يعنيهما، فقالا حالاً : «اذا ظننت اننا كثيران، فسنذهب، ياسيدي».

– «أبي!» صاحت «وندي»، لأن مشاعر ضيافتها قد ازدريت.

– «نستطيع أن ننام بصورة مزدوجة،» اقترح «ريشة الكتابة،» «هذا يشغل مساحة أقل».

– «وأنا اعد انني سأحلق شعرهم بنفسي،» قالت «وندي» متطوعة.

– «جورج،» بدأت السيدة «دارلنك» قولها بزهو – وأسرع «جورج» ليجد عذراً لنفسه : «بالطبع،» قال بصراحة، «بالطبع أنا مسرور ان يضاف ستة أولاد الى اهل بيتي. أنا فرح مثل أي واحد. لكنني اظن، يا «ماري»، انني يجب أن استثار. لاأحد يريد أن يعامل مثل صفر في بيته الخاص».

– «لاأظن انه صفر»، انفجر «صافر» قائلاً.. «هل تظن انه صفر، يا «أجعد»؟».

– «لا، لاأظن ذلك،» وافق «أجعد» على كلامه بحرارة.. «هل تظن انه صفر، يا «نحيل»؟».

– «بالـ.. بالاحرى لا،» قال «نحيل وهو يتمتم في شوقه.

– «أيها التوأمان.. هل تظننان...» ولكن لم ينتظر أحد حتى انتهاء جملته. حدثت جلبة كاملة، من كل واحد لايظن ان السيد «دارلنك» كان صفراً في بيته الخاص، لذلك أجبر على الابتسام، وتأنق قليلاً. لقد كان مسروراً بالحشد الأكبر الذي كان يحيي وصوله في الوجار، لذلك ابتسم، ووعد ان عليهم جميعا ان يبقوا.

– «والان الى : اتبعوا القائد، ياأولاد!» صرخ بمرح. «ليكن في علمكم، أنا لست متأكداً انني استطيع ان اعدكم بغرفة الاستقبال – أو حتى ذلك اننا مانزال نمتلك غرفة استقبال – ولكن دعونا نتجول في البيت، ودعونا نرى ماذا نستطيع ان نفعل بذلك».

مر من الباب، وهو يرقص قبلهم. امسك «صافر» بذيل سترته، وجاءت بقية الاولاد خلفه، وكل واحد منهم يحمل جزء من الثياب في المقدمة. أما «جون» و «ميشيل» فقد جلبا المؤخرة، وبينما كان الجميع يقعقعون – لايضربون بسرعة وتكرار الان – في الطابق السفلي، ذهبت «وندي» الى الشباك. لقد كان لديها شعور ان

«بيتر» ربما يكون في مكان ما، وكان هناك.

– «وداعاً يا «وندي»،» ناداها وكأنه طائر في تلك اللحظة الى نهايات الأرض.

– «اه، لم يحن الوقت بعد، يا «بيتر».» نادته.. «تعال للحظة».

طار باتجاهها، يمشط بمرح، غديم الشعور، كما عرفته غالباً.

– «بيتر»، قالت له متلعثمة.. «أليس هناك شيء ترغب أن تقوله لوالدي قبل أن تذهب؟».

قال «بيتر» ببراءة وقد فتح عينيه : «لا».

– «لاشيء.. عني، يا «بيتر»؟».

– «عنك؟» ردد متعجباً. «لا».

كانت السيدة «دارلنك» تنظر الى ابنتها بتوق، وجاءت هي الان الى النافذة، كذلك.

– «أنت «بيتر»،» قال بصوتها الشفوق الرقيق.. «سنحتفظ ببقية الأولاد. ألا تود البقاء معنا، أيضاً؟».

لم تكن تعرف انه قد استسلم لها مرة في ذلك اليوم، وتألقت عيناه الان، عندما نظر اليها.

لقد كان في اعظم حالات شخصيته «البانية» عندما قال :

– «هل سترسلينني الى المدرسة؟».

– «نعم، كما أتوقع،» قالت السيدة «دارلنك».

– «وتوظفينني في دائرة؟».

– «ربما – نعم».

راقبته وهي محتارة.

– «وكما افترض انني سأكون رجلاً في الحال؟» تساءل.

– «في الحال، تماما،» أجابت السيدة «دارلنك».

– حسن، اخبرها بانفعال.. «لاأريد. لاأريد أن أذهب الى المدرسة. ولااريد أن اذهب الى اية دائرة لاأريد أن أنمو وأكون رجلاً».

– «بيتر!» ناشدته «وندي»، ومدت السيدة «دارلنك» ذراعها لتسحبه الى الداخل، لكنه ابتعد عنها، وقد رفع يديه، وكأنه يريد أن يتقيها.

– «ارجعي الى الوراء، ايتها السيدة،» قال لها. «لاأحد يستطيع أن يمسكني ويجعلني رجلاً!».

– «ولكن ماذا ستفعل؟» ناحت «وندي».

– «أعيش مع «تنك»،» صاح وهو شديد الابتهاج.. «في البيت الذي بنيناه لـ «وندي». انه سيرفع عاليا، بين اعالي الأشجار، حيث تنام الجنيات في الليل».

– «اه، رائع!» صاحت «وندي»، وهي تواقة للذهاب

أيضاً. عند ذاك، اتخذت امها موقفاً صلباً. سوف لن تخاطر ثانية لتفقد ابنتها، في مثل هذه السرعة.

– «سيكون شيئاً لطيفاً!» تباهى «بيتر» مفتخراً، وهو ينظر الى «وندي».

– «ستشعر بالوحدة في الليالي،» قالت «وندي»، «رغم انك ستجلس بالقرب من النار.. لوحدك».

– «ليس وحدي،» أغاظها «بيتر».. مع «تنك».».

– «لن تفيدك «تنك» كثيراً وأنت وحيد». أخبرته «وندي» بنبرة لاذعة. وعبرت «تنك» عن حضورها فجأة، برنين أجراسها.

– «هذا لايهم،» قال «بيتر» ضاحكاً.. «لن أكون وحيداً».

– «بل ستكون،» اخبرته «وندي».

– «حسن، تعالي». صاح «بيتر» وهو نصف منتصر، لأن ذلك مايريد.

أطبقت «وندي» يديها، وصاحت: «اوه! ماما، هل استطيع؟»

– «بالطبع لا،» قالت أمها بحدة، وهي تفكر بان هذا الهراء قد أخذ أكثر من مداه.. «لن أدعك تذهبين عن بصري الان، فقد عدت بأمان».

- «لكنه في حاجة ماسة الى أم»، قالت «وندي» ملتمسة.

- «وأنت كذلك، ياحبيبي»، قالت أمها.

- «اه.. حسن..».. لم يدع «بيتر» صرخة فيه.

وفهمت السيدة «دارلنك» شعوره، فقالت بلغة مهذبة :

- «هل تحب أن تأتي «وندي» لمدة اسبوع، كل ربيع، لتنظف البيت الصغير؟ ماذا تقول عن ذلك؟».

لقد كانت منحة فقيرة بالنسبة لـ «وندي»، لكن «بيتر» كان مسرورا وجذلاً، وعادت اليه ذروة حيويته ثانية.

- «لن تنسى؟» نادته «وندي»، بعد أن توادعا.. «ستأتي لي كل ربيع، يا «بيتر»؟ أتعد بذلك؟».

ولكن مع صياح مرتفع، طار مبتعداً فوق رؤوس الأشجار. وكان اخر شيْ سمعوه منه، اضعف صدى لاخر صيحة له مثل صيحة الديك!.

مطبعة سومر هاتف ٧١٩٩٧٤٣

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٨٥٦ لسنة ١٩٨٧

السعر ٢٥٠ فلساً